

بسم الله الرحمن الرحيم

الأداء السياسي لحركة المقاومة الإسلامية (حماس)  
1987-2006م

**The political performance for the Islamic  
Resistance Movement (Hamas)**

1987-2006

رسالة ماجستير مقدمة من الطالب:  
أحمد عبد الله محيسن عطاونة

تاريخ المناقشة

2007/12 /17

لجنة الإشراف والمناقشة:

د. صالح عبد الجواد (رئيساً)

د. جورج حقمان (عضواً)

د. هيلغى باومغرتن (عضواً)

قدمت الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في الدراسات العربية المعاصرة من كلية  
الدراسات العليا في جامعة بيرزيت - فلسطين  
لعام 2007

الأداء السياسي لحركة المقاومة الإسلامية (حماس)  
1987- 2007

**The political performance for the Islamic  
Resistance Movement (Hamas)**

1987-2006

رسالة ماجستير مقدمة من الطالب:

أحمد عبد الله محيسن عطاونة

تاريخ المناقشة

2007 /12/17

لجنة المناقشة:

د. صالح عبد الجواد (رئيساً)

---

د. جورج جقمان (عضواً)      د. هيلغى باومغرتن (عضواً)

---

## الإهداء

إلى الروح الطاهرة التي ترافقني وتظلي برعايتها و توجيهها...

إلى المؤدب والأستاذ والأخ والقدوة ...

إلى روح شقيقي الكبير محمد عبد الله العطاونة ...

## شكر وتقدير

لا يسعني هنا إلا أن أتقدم بجزيل الشكر والتقدير لكل من ساهم مادياً ومعنوياً في إنجاز هذه الرسالة، وأخص منهم

- زوجتي الغالية سائدة، التي بذلت جهداً استثنائياً في متابعة إنجاز الرسالة وبالذات في مراحلها النهائية.

- الأستاذ نصر الله الشاعر الذي قام بتدقيق الرسالة لغوياً.

- الصديق العزيز محمود مهنا على مساعدته العملية وبالذات في السجن.

## شكر خاص

- د. صالح عبد الجواد الذي تمتع بصبر جم وطول نفس في إشرافه على الرسالة، فلم تنسه طول المدة

والانقطاع الذي سببه الاحتلال والاعتقال، بل شكل مصدر تحفيز وتشجيع كبيرين. إضافة إلى ما أدين له

به من منهجية ناقدة ترفض التقليد وتحرص على سير غور الأحداث والوقوف على فلسفتها وما وراءها؛

فالأستاذي ولمن احتضن مشروعني ورعاه كل التقدير والاحترام.

- الصديق محمود جرابعة الذي بذل جهداً استثنائياً في مراجعة ومتابعة البحث وقدم من وقته وجهده ما

يستحق بالغ التقدير والعرفان.

بارك الله في جهود الجميع وجعلهم ذخراً لمسيرة العلم

## المحتوى

الإهداء..... ت

الشكر..... ث

قائمة المحتويات..... ج-د

ملخص باللغة العربية..... ذ-ر

ملخص باللغة الإنجليزية..... ز-س

المقدمة ..... ش-ظ

**الفصل الأول: إشكاليات الفكر والتنظيم والممارسة السياسية لدى حركة الإخوان المسلمين.... 1**

- الإشكالية الأولى: النزعة الفردية وضعف العمل المؤسسي وغياب حرية التعبير.... 1-12

- الإشكالية الثانية: الضبابية السياسية..... 12-15

- الإشكالية الثالثة: أزمة العلاقة مع القوى والسلطات السياسية ..... 15-20

- الإشكالية الرابعة: الموقف المتأرجح من القضية الفلسطينية ..... 20-25

- الإشكالية الخامسة: الموقف من المرأة ..... 25-28

## الفصل الثاني: الجذور التاريخية لحركة (حماس): الإخوان المسلمون في فلسطين.....29

- المرحلة الأولى: الإخوان المسلمون في فلسطين ما قبل عام (1948م) ..... 30-31

- المرحلة الثانية: الإخوان المسلمون في الضفة والقطاع (1948-1967م) ..... 31-35

- المرحلة الثالثة: الإخوان المسلمون في الضفة والقطاع (1967-1987م) ..... 36-39

- انطلاقة حماس (1987م) ..... 39-46

- البنية الإدارية والتنظيمية لحركة (حماس) ..... 46-52

## الفصل الثالث: الموقف والأداء السياسي لحركة المقاومة الإسلامية (حماس).....53

• برنامج (حماس) وتطبيقه كبرنامج حركة تحرر وطني ..... 54

أ. تقوية الجبهة الداخلية وتحسينها ..... 54-56

ب. اللاجئون ..... 56-57

ت. القدس ..... 57-58

ث. تفجير واستثمار الطاقات الفلسطينية ..... 59-60

ج. الحفاظ على الثوابت وعزل العدو ومحاصرته وإبقاء جذوة الصراع مشتعلة ..... 60-62

• الوحدة الوطنية وتقوية الصف الداخلي ..... 63-64

- أ. منظمة التحرير الفلسطينية (م.ت.ف) ..... 69-64
- ب. حركة التحرر الوطني الفلسطيني (فتح) ..... 74 -70
- ت. الفصائل الإسلامية (الجهاد الإسلامي) ..... 76-74
- ث. الفصائل اليسارية (الجهتان الشعبية والديمقراطية) ..... 80-76
- أ. (حماس) والمعارضة (حماس وزعامة أو قيادة المعارضة) ..... 81
- أ. معارضتها نهج (م.ت.ف) ..... 83-81
- ب. معارضة اتفاق أوسلو وما تلاه من اتفاقيات ..... 85-83
- ت. تحالف الفصائل العشرة "زعامة المعارضة" ..... 87-85
- ث. معارضة (حماس) في ظل السلطة ..... 93-87
- أ. التعامل مع الأحداث الوطنية والاستثمار السياسي لها ..... 103-94
- أ. قلة التخطيط لصناعة الأحداث ..... 99-95
- ب. ضعف الاستثمار السياسي ..... 103-100
- أداء حماس على الساحات العربية والإسلامية والدولية (شعبياً ورسماً) ..... 104
- أولاً: الساحة العربية والإسلامية ..... 110-104

- 114-110 ..... ثانياً: الساحة الدولية
- 115 ..... • عوامل ضعف الأداء السياسي لحركة حماس
- 116-115..... أولاً: عوامل ذاتية (حماسية)
- 117..... ثانياً: عوامل موضوعية
- 119-118..... • الخاتمة
- 124 - 120..... • المصادر والمراجع



## ملخص الرسالة

عانت حركة المقاومة الإسلامية (حماس) الفرع الفلسطيني لجماعة الإخوان المسلمين -ولا تزال- من بعض الإشكاليات التاريخية لجماعة الإخوان (مثل النزعة القيادية الفردية، وأسلوب التعامل مع القوى السياسية الأخرى، والموقف من المرأة... إلخ) حيث ترتبط هذه الإشكاليات بالجوانب الفكرية والتنظيمية التي ورثتها حركة (حماس) عن حركة الإخوان المسلمين. وقد قدمنا موجزاً حول نشأتها وبنيتها التنظيمية، لتسهيل فيما بعد عملية المراجعة و التقييم للأداء السياسي لحركة المقاومة الإسلامية (حماس) التي تشكل حالة إخوانية استثنائية ومتقدمة تجاوزت كثيراً من التعقيدات والعقبات والإشكاليات التي رافقت مسيرة الحركة الأم، فهي اليوم حركة تحرر وطني فلسطيني في طريقها، على ما أرى، للعب دور بارز في قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية في مواقعها وميادينها المختلفة، لذا فهي أمام تحد كبير ومهمة معقدة وصعبة كما هو حال القضية التي تناضل من أجلها.

هذا الدور الحماسي يتطلب من الحركة الاستمرار في التطور والإبداع والعمل الدعوى لتنمية القدرات والإمكانات البشرية والمادية والعقائدية والسياسية والفكرية والعلمية. وعدم التردد في التخلص من معوقات النمو والتطور الذاتي والفكري والتنظيمي والتاريخي لكي تكون على قدر دورها ومهمتها الجديدة المتوقعة.

انطلاقاً من الرؤية الآنف الذكر كانت فكرة الدراسة لتسليط الضوء على الأداء السياسي لحركة (حماس)، دراسة تستند إلى السلوك على الأرض، وتقييم المواقف والممارسات الحماسية من القضايا الوطنية الفلسطينية، والمحطات التاريخية المفصلية لتطور هذه القضية منذ اللحظة الأولى لتأسيس (حماس) وحتى قرارها التاريخي بالمشاركة في السلطة الوطنية الفلسطينية بشقيها التشريعي والتنفيذي. هذا السلوك الذي تناولناه بنوع من التفصيل، حاكمناه وعالجناه ضمن إطار ومعياري الأداء السياسي المفترض لحركة تحرر وطني فلسطيني تحمل عبء قضية لها أبعادها الدولية والإقليمية والأيدولوجية والسياسية.

فبالاجتون والاستيطان والقدس والدولة المرحلية والمهدنة (م.ت.ف) والانتفاضة الأولى والثانية وأوسلو

وغيرها من المحطات والقضايا تم تناولها في هذه الدراسة بشكل علمي ومنهج.

وقد دلت الدراسة على ما كنا قد افترضناه منذ البدء وهو أن حركة (حماس) رغم تطورها المستمر والمضطرد وتجاوزها كثيراً من الإشكاليات التي تعاني منها حركات الإسلام السياسي؛ إلا أنها لا تزال تفتقر إلى الكثير من الأدوات النظرية والعملية اللازمة والضرورية للحركة الوطنية الفلسطينية وقيادتها لبلوغ الأهداف الوطنية المرجوة.

**Abstract**

The movement of the Islamic resistance (Hamas)- the Palestinian branch for Muslim brotherhood- has been suffering some of the historical challenges that faced Muslim brotherhood. But now it is forming an exceptional and advanced brother hood case. And it managed to pass a lot of obstacles and challenges which attended the brother's history. As I see, Hamas today as national Palestinian liberation movement is in its way to lead the Palestinian national movement in the different fields. And that put the movement in a big challenge and complicated duty as the situation of the Palestinian issue which we struggling for.

This role for Hamas requires continues development and labor from the movement to improve its human, material, ideological, political, intellectual and scientific abilities. And requires from Hamas not to be hesitated in getting rid of improvement obstacles and self development to be able to achieve its role and duties.

Out of the previous vision, the idea of this study was to focus on the political performance for Hamas movement. This study based on the behavior on the ground and evaluation of Hamas's position and practice in the Palestinian national issue. And the important historical stages in the Palestinian question from the first moment of the establishment until its historical decision to

participate in the Palestinian Authority in both legislative and executive branches.

The refuge, settlement, Jerusalem, stages state, armistice, PLO, first and second intifada, Oslo and other issues were studied in this research. That after we focused on the intellectual on the intellectual and organizational problems, which Hamas has inherited from the Brotherhood. Also I presented a summary about the establishment and structures of Hamas to make the political evaluation easier.

I studied this behavior in detail, prosecuted it and deal with it in the assumed political performance framework for a Palestinian national liberation movement. This movement is bearing the burden of the Palestinian issue with its international, regional, ideological and political dimensions.

This study indicated and proved what I had assumed from the beginning, that is despite of the continues improvement and passing a lot of problems and obstacles which most of the Islamic movement suffering from, despite all that, Hamas still needs a lot of theoretical and practical tools and means, that are important required for the Palestinian national movement and its leadership to achieve the national hoped goals.

## المقدمة

التنامي المضطرد لنفوذ الحركات الإسلامية في العالم العربي والإسلامي وشعبيتها، وتصاعد التأثير السياسي للحركات السياسية الإسلامية أو ما يعرف بـ "الإسلام السياسي"، والعداء المتصاعد بين هذه الحركات، على مختلف مشاربها، مع إمبراطورية هذا العصر، الولايات المتحدة الأمريكية ومن ورائها العالم الغربي، لاعتقادها بأن هذه الحركات تشكل خطراً على مستقبل دورها وهيمنتها على العالم العربي والإسلامي، وعلى نفوذها في العالم بشكل عام؛ هذا العداء انسحب على الأنظمة العربية، فمعظم هذه الأنظمة تقف من الحركات الإسلامية موقف العداء والرفض والمنع أو الحظر، وموقفها يتفاوت من الحركات الإسلامية بتفاوت قوة هذه الحركات وحجم الخطر الذي تشكله على النظام.

فالمدقق في عالمنا العربي والإسلامي اليوم يجد معادلة سياسية شديدة الوضوح، يقف على طرفها الأول الأنظمة الحاكمة، التي في غالبيتها موالية للغرب وتسير في ركبه، والولايات المتحدة الأمريكية بشكل خاص، وهي كذلك أنظمة شمولية استبدادية، وإن أخذ بعضها من الديمقراطية بعض أشكالها الفارغ من أي مضمون، وعلى الطرف الثاني للمعادلة السياسية العربية نجد الحركات الإسلامية، باتجاهاتها المختلفة، تحمل راية التغيير وتبذل جهداً كبيراً وعلى مستويات عدة، سياسية وثقافية واجتماعية وعسكرية أحياناً، من أجل إنجاز التغيير الذي تنشده. لذا فهي تحظى بعداء غربي عربي رسمي واضح لكنها في الوقت ذاته تحظى بشعبية كبيرة ومتصاعدة، لدرجة أنها أصبحت تخيف الولايات المتحدة الأمريكية والأنظمة الموالية لها وتشكل خطراً جدياً وحقيقياً على نفوذها في العالم، فبدأت الولايات المتحدة والأنظمة الموالية لها تتعامل مع هذه الحركات كعدو يحظى بالأولوية في التعامل معه.

وفي بؤرة هذا الحراك السياسي الإسلامي في عالمنا العربي والإسلامي تقف جماعة الإخوان المسلمين، إذ تهيمن على صدر المشهد ومركز الحالة الإسلامية العالمية، ذلك أنه كان لها شرف السبق. فقد بدأت هذه الحركة نشاطها الإسلامي في مرحلة كان الشارع العربي والإسلامي يزخر بالأفكار والمبادئ المختلفة، من علمانية وقومية وشيوعية، وهي أفكار بعيدة عن الإسلام ولا يشكل لها مرجعاً أو مصدرراً، وقد نتج عن هذه الأفكار أحزاب وحركات سياسية خاصمت الإسلام ورفضته عقيدةً سياسية، فشقت جماعة الإخوان المسلمين طريقها في وسط بيئة

صعبة ومعادية من النواحي المختلفة، لكن وبما أنها رفعت الإسلام شعاراً لها، وطالبت الجماهير بتبني أحكامه ومبادئه وعملت على ذلك، ونظراً لكون الدين الإسلامي يستقر في أعماق ومكونات الشعوب الإسلامية فقد لاقت هذه الجماعة وأفكارها قبولاً شعبياً. ورغم القمع المتواصل في معظم أماكن تواجدها إلا أن مسيرتها استمرت وقد أثمرت في هذه الأيام حالة إسلامية متقدمة، جعلت الإسلاميين طرفاً مهماً في المعادلة التي أشرنا إليها آنفاً.

ورغم ما انبثق عن هذه الجماعة من أفكار نحت منحى التطرف، وأدت إلى ظهور جماعات متشددة تنزع إلى ممارسة العنف الداخلي، وتتبنى منهج التكفير لقطاعات كبيرة من المسلمين حركات وشعوباً؛ إلا أن الجماعة الأم وفروعها المختلفة في كافة أماكن تواجدها بقيت وفية للمنهج الوسطي المعتدل، الذي يحترم الآخر، ويتفاعل معه، وينادي بتطبيق قيم الحرية والعدالة، حتى وصل الأمر إلى أن تكون هذه الجماعة هي الحركة السياسية الكبرى والبارزة في عالمنا العربي والإسلامي التي تطالب بتطبيق مبادئ الديمقراطية والتعددية والحريات، وغيرها. ولعل هذا المنهج الوسطي المعتدل هو الذي ساهم في بقاء هذه الجماعة وزيادة شعبيتها وعدم قدرة الأنظمة على التخلص منها، كما حدث مع بعض الجماعات الإسلامية في غير دولة.

جماعة الإخوان المسلمين وبتمسياتها وفروعها المختلفة ("الإصلاح في اليمن، النهضة في تونس، الرفاه في تركيا، جبهة العمل الإسلامي في الأردن، حماس في فلسطين، وغيرها") شكلت أيضاً في عيون الجماهير بديلاً عن حالة التخاذل والانحزام والتبعية المفرطة من قبل الأنظمة للغرب وبالذات للولايات المتحدة، فقد كشف موقف الحكام من القضايا العربية والإسلامية المركزية كفلسطين والعراق ولبنان حجم الضعف والاهتراء في النظام العربي، لا بل كشف عن مستوى معين من العمالة لبعض هذه الأنظمة، ناهيك عن الموقف من القضايا الداخلية في كل قطر، فالفساد "الإداري والمالي والأخلاقي" وسرقة ثروات البلاد والفقر، الذي طال حتى أجزاء من شعوب الدول البترولية، والقمع وسلب الناس حرياتهم المختلفة، واحتكار السلطة... كل ذلك جعل من الحكام جزءاً معزولاً وغريباً في بلدانهم.

ض

كما أن الحركة الإسلامية وعلى رأسها الإخوان المسلمين شكلت بديلاً مهماً كذلك للأيديولوجيات والأفكار والحركات اليسارية والعلمانية التي أفل نجمها، وأفلست سياسياً وفكرياً؛ مما سهل مهمة الحركات الإسلامية في تعبئة هذا الفراغ الذي لا يستطيع الإنسان بطبيعته أن يعيش فيه.

استناداً إلى الاعتبارات السابقة مجتمعة (النهج الإسلامي لجماعة الإخوان، عدااء الغرب لها وعدائها له، تبعية الأنظمة الرسمية، النهج الوسطي، وأقول نجم الأيديولوجيات الأخرى)، وكذلك إلى خصوصية وضع القضية الفلسطينية وطنياً، التي سنأتي على ذكرها بالتفصيل في هذه الدراسة، لمع في الأفق الفلسطيني في العقدين الأخيرين من القرن الماضي نجم الإخوان المسلمين كحركة سياسية وطنية ممانعة، ورافضة مقاومة لاحقاً، حيث قامت جماعة الإخوان المسلمين في فلسطين بتأسيس حركة المقاومة الإسلامية (حماس) عام 1987م ذراعاً سياسياً مقاوماً لها.

ونظراً لما تحظى به القضية الفلسطينية من أهمية ومركزية في عالما العربي والإسلامي، ولأنها مفتاح السلم والحرب والاستقرار والتوتر في المنطقة، وتؤثر تأثيراً مباشراً على علاقة المنطقة مع بقية العالم، شرقه وغربه، وباعتبار حركة (حماس) لاعباً مركزياً في معادلة القضية الفلسطينية، أو الصراع العربي الإسرائيلي، كان هذا البحث وهذا التمعن والتدقيق في الأداء السياسي لحركة المقاومة الإسلامية (حماس)، وقد انطلق هذا البحث للإجابة على إشكالية أساسية تطرح أسئلة عدة حول هذا الأداء، مركزها ومحورها، هل ارتقى مستوى الأداء السياسي لحركة (حماس) كحركة تحرر وطني إلى مستوى مركزية وتعقيدات وأهمية القضية الفلسطينية؟ فمن المعلوم لدى الجميع أن القضية الفلسطينية يحيط بها ويرافقها جملة كبيرة من التعقيدات والتحديات المحلية والإقليمية والدولية، وتشابك فيها المصالح الإقليمية بالدولية، والداخلية بالخارجية، ويتداخل فيها الأيديولوجي والعقدي، مع المصالح والسياسي، والتكتيكي مع الإستراتيجي، والقيمي مع الإمبريالي....، وقد ظهرت هذه القضية نتيجة لتغيرات في معادلات دولية ورؤى إستراتيجية لقوى عظمى لطبيعة مصالحها في العالم بشكل عام، والمنطقة التي نعيش فيها بشكل خاص، وكذلك رؤيتها لطبيعة الصراع مع بعضها وأدواته وآلياته.

لذلك فإن الحديث عن القضية الفلسطينية، وحركات التحرر الوطني فيها، وطبيعة أدواتها يطرح أسئلة كبيرة ومعقدة، بقدر تعقيد القضية، فحماس التي تعتبر الآن وبعد نتائج الانتخابات التشريعية الفلسطينية الأخيرة التي

جرت في كانون الثاني عام 2006م الفصل الفلسطيني الأكبر، والتي تسير باتجاه قيادة المشروع التحرري الوطني الفلسطيني، يجب أن تخضع لدراسة ونقد ومراجعة كل المهتمين بالشأن الفلسطيني وقضيته الوطنية، لأنها ببساطة تؤثر على مجمل القضية الفلسطينية، لهذا فنحن في هذه الدراسة نحاول تسليط الضوء على أدائها السياسي من حيث القدرة والإمكانية على قيادة الشعب في معركته التحررية، ومدى الوعي والقدرة السياسية للتعامل مع تحديات القضية الفلسطينية، وصياغة توازنات سياسية داخلية وإقليمية ودولية تمكنها وتمكن الشعب الفلسطيني من بلوغ أهدافه في التحرر والاستقلال وتقرير المصير.

للقوف على طبيعة أداء (حماس) السياسي والتعرف على حقيقته والمعرفة ما له وما عليه وحتى تتمكن من الإجابة على التساؤلات التي طرحها هذا البحث، فقد تعرض البحث إلى ثلاثة محاور مركزية، شكل كل محور فصلاً من فصوله، والفصل الأول تناول "إشكاليات الفكر والتنظيم والممارسة السياسية لدى الإخوان المسلمين"، حيث نحاول من خلاله التعرف على طبيعة الرحم الذي ولدت منه (حماس)، والبيئة الفكرية والسياسية والتنظيمية التي خرجت منها، مركزين على ما هو محوري وما كان له تأثير على سلوك وأداء (حماس) لاحقاً، بما يخدم هدف البحث، وقد تناول هذا الفصل خمسة إشكاليات هي: (النزعة الفردية وضعف العمل المؤسسي وغياب حرية التعبير، والضبابية السياسية، وأزمة العلاقة مع القوى والسلطات السياسية، والموقف المتأرجح من القضية الفلسطينية، والموقف من المرأة).

أما الفصل الثاني فيتحدث عن "النشأة والبنية التنظيمية لحركة (حماس) حاولنا من خلاله رسم صورة أقرب إلى الحقيقة في محاولة لإخراج هذا الجسم السياسي الفلسطيني من هلاميته في أعين الناس، التي فرضتها ظروف موضوعية مرتبطة بالاحتلال كذلك ظروف ذاتية مرتبطة بطبيعة الفكر السياسي والتنظيمي لدى حركة الإخوان، وقد عالجتنا هذا المحور في البحث؛ لاعتقادنا بضرورة إدراك طبيعة وبنية وتركيبه الأشياء حتى تتمكن من الحكم السليم عليها، وحتى لا تكون أحكامنا جزافاً وعن غير إدراك، بل تكون على بصيرة ووعي كامل بطبيعة ما نتحدث عنه. ولأن للبنية التنظيمية أثرها البالغ على الأداء وتشكل عاملاً مهماً في صياغة التوجهات والمواقف ورسم



السياسات التكتيكية والإستراتيجية. فقد تعرض هذا الفصل إلى إرهابات النشأة ومن ثم الانطلاقة والبنية الإدارية والتنظيمية لحماس.

وتناول الفصل الثالث "الأداء السياسي لحركة المقاومة الإسلامية (حماس)" وتم معالجة هذا الموضوع بمنهجية يغلب عليها الرؤيا أو الدراسة النقدية، التي تسلط الضوء على الأجزاء والقضايا التي لا يرغب الكثيرون، وبالذات من داخل التنظيم، في كشفها أو التركيز عليها، وكذلك التركيز على القضايا الكلية التي قد لا تجد حظاً في الدراسة والتدقيق في زحمة الحديث عن الجزئيات الكثيرة. ولم يكن ذلك رغبة في الإساءة بقدر ما هي رغبة في الوقوف على الإشكاليات للمساهمة في إدراكها والتعاطي معها، في ظل كثرة الحديث والتركيز على الإنجازات والإيجابيات. وقد اشتمل هذا الفصل على أبواب هي: (برنامج حماس) وتطبيقه كبرنامج حركة تحرر وطني، الوحدة الوطنية وتقوية الصف الداخلي، (حماس) والمعارضة، التعامل مع الأحداث الوطنية والاستثمار السياسي لها، الأداء الحماسي على الساحات العربية والإسلامية والدولية، وعوامل الضعف في الأداء الحماسي).

وإننا نعتقد أن هذه الدراسة هي الأولى التي تتناول (حماس) بهذه الطريقة، فهي محددة الموضوع، إذ عالجت الدراسات السابقة حركة (حماس) من حيث البنية والفكر السياسي في إطارها النظري محاولة صياغة تصورات عامة دون الوقوف على دقائق الأمور و تفصيلاتها. لكن ما يميز هذه الدراسة وبعد أن بحثت في الجذور النظرية و الفكرية عالجت و ناقشت الأداء والفعل على الأرض، وكان لها ميزة إضافية بأنها سجلت الكثير من المواقف ودرستها معتمدة على مقابلات ومناقشات عدد لا بأس به ممن كانوا في الميدان وشاركوا في هذا الأداء السياسي، كما أنها ناقشت بموضوعية عددا من المواقف التي بنيت حول هذه الحركة وتم التعامل معها وكأنها مسلمة وقد تبين لاحقا أنه يشوبها الكثير من الضعف و عدم الموضوعية.

## الفصل الأول

### إشكاليات الفكر والتنظيم والممارسة السياسية لدى الإخوان المسلمين

لسنا هنا في موضع البحث في مراحل تطور جماعة الإخوان المسلمين ومعالجة تاريخها الفكري والسياسي، مع أننا سنتطرق للكثير منه في معرض نقاشنا للإشكاليات التي عانت منها الحركة على الصعيد السياسي والتنظيمي بما يخدم هدف هذه الدراسة التي تدور حول الأداء السياسي لحركة المقاومة الإسلامية (حماس)، نظراً لما تركته هذه الإشكاليات الاخوانية من أثر على هذا الأداء. فالدارس لفكر وسلوك تنظيم الإخوان المسلمين بفروعه المختلفة، والتي كان لها تأثير مباشر على حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، يجد أن التنظيم عانى ولا يزال يعاني من العديد من الإشكاليات، على مستوى الفكر السياسي والتنظيم والممارسة، وهو بهذه الإشكاليات وإن كان يشترك بشكل كبير مع غيره من الهيئات والأحزاب في العالم العربي والعالم الثالث، إلا أنه لا زال غير قادر على تجاوزها والتغلب عليها. الأمر الذي أثر بشكل ملحوظ على الأداء السياسي العام لهذه الجماعة، وانعكس فيما بعد عند تشكيل حركة (حماس) التي انبثقت عن تنظيم الإخوان في فلسطين. لذلك سنحاول وباختصار حصر هذه الإشكاليات، التي نتج جزء هام منها -وفق اعتقاد عبد الله النفيسي وغيره من الكتاب والنقاد- عن طبيعة شخصية وسلوك مؤسس الجماعة الإمام حسن البنا، فيما يلي:

#### الإشكالية الأولى: النزعة الفردية وضعف العمل المؤسسي وغياب حرية التعبير

"إني والله لا أخشى عليكم حديداً أو ناراً ولا أخشى عليكم مالا ولا نساء... بل أخشى عليكم أنفسكم فلا تختلفوا... " من كلمات الإمام حسن البنا<sup>1</sup>. لقد عانت جماعة الإخوان المسلمين الكثير بسبب استشراف ظاهرة الفردية في القيادة واتخاذ القرارات، ورسم السياسات وتحديد الأولويات وعدم الاحتكام إلى العمل المؤسسي. الفردية التي نعني بها ذلك الشعور الذي يرافق المسؤول أو القائد بأنه وحده القادر على اتخاذ القرارات الصائبة وهو وحده الذي يستطيع أن يحدد أين تكمن المصلحة وما هي آليات العمل الممكنة للوصول إليها وينظر للآخرين على

<sup>1</sup> نقلاً عن: العسال، فتحي. الإخوان المسلمون بين عهدين. القاهرة، 1992م، ص27.

أنهم ليسوا شركاء وإنما إتباع ما عليهم إلا أن يطيعوا قائدهم الفذ، كما أن القائد لا يرى ضرورة للاحتكام إلى لوائح داخلية وأنظمة وقوانين لإدارة شؤون الجماعة أو الحزب فهو يمتلك من القدرات ما يمكنه من ذلك. هذه الظاهرة رسخها حسن البنا منذ الأيام الأولى للحركة، منذ وقت مبكر، وبالتحديد منذ عام 1932م، وقد عبر البنا عن التفاعل بين مفهومي "المرشد" الكلمة ذات المرجعية الصوفية و"الزعيم" حيث يحيل مضمون هذا التفاعل إلى نمط كاريزمي للشخصية الرسولية الآسرة.<sup>2</sup>

فالمرشد العام هو أمير الجماعة ورئيس المكتب التنفيذي ورئيس مجلس الشورى، وبذلك يكون المرشد قد أعطى دوراً رئيسياً وصلاحيات واسعة، فهو يجمع بين رئاستي السلطة التنفيذية (المكتب التنفيذي) والسلطة التشريعية (مجلس الشورى) وله وحده الحق في طرد أي عضو من الجماعة مما يعني أن الجماعة بنظامها العام قد رهنّت نفسها لشخص واحد بقي على رأسها مدى حياته واحتزل فكر وسلوك وشخصية كل أعضائها في فكره وسلوكه وشخصيته.<sup>3</sup>

ونلاحظ أن النظام الأساسي لجماعة الإخوان في مصر ينص على أن يقوم المرشد العام بمهمته مدى الحياة، ما لم يطرأ سبب يدعو إلى تخليه عنه "مادة 7"<sup>4</sup>. هذه المادة بالإضافة لكونها منافية للديمقراطية وتداول السلطة وتسد الطريق أمام قيادات الجماعة للتنافس الخلاق وتحسين الأداء فإنها تقونن وتأسس ظاهرة الفردية لدى الجماعة مما يجعل هذه الظاهرة صفة أصلية وليست عابرة، تتوارثها الجماعة جيلاً بعد جيل.<sup>5</sup>

يعتقد البعض أن الصفات القيادية التي تمتع بها البنا والتي شهد له الجميع بما قد ساعدته في سيطرته الشاملة على الجماعة، فقد كانت شخصيته متعددة الجوانب كثيرة المواهب والصفات، ورغم تناقض وتباين الآراء والأقوال والتحليلات حولها، من فرط الإعجاب والتقديس من جانب أتباعه إلى التهامه من قبل أعدائه بالشعوذة والسقوط في

---

<sup>2</sup> أبو طه، أنور عبد الهادي (وآخرون). الأحزاب والحركات والجماعات الإسلامية. الجزء الأول، المركز العربي للدراسات الإستراتيجية: دمشق، 2000م، ص52.

<sup>3</sup> غرايبة، إبراهيم. جماعة الإخوان المسلمين في الأردن. دار سندباد للنشر: عمان، 1997م، ص36؛ كوهين، أمنون. الأحزاب السياسية في الضفة الغربية في ظل النظام الأردني 1949 - 1967م. مطبعة القادسية: القدس، 1988م، تعريب: خالد حسن. ص222؛ السيد، يوسف.

الإخوان المسلمون: هل هي صحوة إسلامية. مركز الخروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات: المعادي، 1994م. ص179 - 185.

<sup>4</sup> السيد، مصدر سبق ذكره. ص181.

<sup>5</sup> غرايبة، مصدر سبق ذكره. ص36، 40، 14.

يد الرجعية والاستعمار. إلا أن الجميع يعترفون بقدراته الفائقة على التأثير في أتباعه وبنشاطه الجهم وحماسه المنقطع النظر وبشبكة علاقاته الشخصية الواسعة، والتي مكنته من الهيمنة على جماعته<sup>6</sup>.

وإذا كانت هذه الصفات قد مكنت الأستاذ البنا من أن يجمع كل مريديه ببساطته وعلاقاته الشخصية ومكنته من السيطرة المطلقة على جماعته، إلا أن ذلك كان من أهم عوامل ضعف الجماعة بعد وفاته لعدم وجود الشخصية البديلة بنفس مستوى الكفاءة، خاصة وأنه لم يكن يثق كثيراً بقدرات وكفاءة من حوله ويتدخل في كل صغيرة وكبيرة من أعمال الجماعة.<sup>7</sup> كما أن العديد من أفراد وقيادات الجماعة كانت تحاول الحد من نفوذه وانفراده وقد حاولوا بشتى الوسائل الحد من سلطاته واستخدموا في سبيل ذلك الوسائل الملائمة (كالرجوع إلى مؤسسات الجماعة) وغير الملائمة (كالتشهير والإساءة والشكوى للنيابة) فانشقاقات 1932، 1939، 1940، 1948م جلها كان سببها المركزي تفرد البنا<sup>8</sup>.

هذا النهج امتد إلى الهيئات القيادية المختلفة في الجماعة، فالمرقب العام في أكثر من بلد وموقع -حتى وإن لم يحظ بنفس كاريزما البنا- سار على خطاه في موضوع الفردية والانفراد بالرأي والإصرار عليه. ومكتب الإرشاد العام طبقاً للنظام العام للتنظيم العالمي للإخوان لعام 1982م تمتد ولايته لـ (4) سنوات هجرية، ويجوز اختيار العضو لأكثر من مدة، أي يجوز عملياً أن تتحول عضوية مكتب الإرشاد إلى عضوية مدى الحياة مثلها مثل المرشد العام<sup>9</sup>، وحتى النائب وهو رئيس اللجنة الإدارية التي ترأس الشعبة لم يكن يعين لفترة محددة وكان النواب يقضون فترات طويلة على رأس الشعب<sup>10</sup>.

---

<sup>6</sup> خلف الله، أحمد ربيع عبد الحميد. الفكر التربوي وتطبيقاته لدى جماعة الإخوان المسلمين. مكتبة وهبة: القاهرة، 1984. ص 63؛ السيد، مصدر سبق ذكره. ص 7-8، 10، 12؛ النفيسي، مصدر سبق ذكره. ص 219-220.

<sup>7</sup> السيد، مصدر سبق ذكره. ص 170، 169؛ خلف الله، مصدر سبق ذكره. ص 63.

<sup>8</sup> أبو طه، مصدر سبق ذكره. ص 71-72 و 104-105.

<sup>9</sup> النفيسي، مصدر سبق ذكره. ص 246.

<sup>10</sup> ميتشل، ريتشارد. الإخوان المسلمون. مكتبة مدبولي: القاهرة. 1982م، ص 174-175؛ العبيدي، عوني جدوع. جماعة الإخوان المسلمين في الأردن وفلسطين 1945-1970م، صفحات تاريخية. عمان، 1991م، ص 108؛ كوهين، مصدر سبق ذكره. ص 216، 219-220؛ أبو طه، مصدر سبق ذكره. ص 172.

أما العمل النيابي والنقابي الذي كان ينبغي أن يؤدي إلى الحد من ظاهرة الفردية ويعزز إمكانية العمل المشترك داخل الجماعة وتوزيع المهام واحترام التخصص؛ فقد عانى هو الآخر من هذه الأزمة، فعلى الرغم من النفقات التي تبذلها الجماعة على العمل النقابي والنيابي (مكاتب النواب وغيره) فإن عمل هذه المكاتب لا يتجاوز السكرتاريا ولا يزال نواب الحركة الإسلامية في مواقع عديدة لا يرون حاجة لمساعدين سوى الشبان الذين ينسخون الأوراق ويحيون على ويجرون المكالمات الهاتفية، ولم يخطر ببالهم أهمية الباحثين ولجان الدراسات والاستشارات وقواعد البيانات والمعلومات... إلخ من وسائل وأساليب العمل المهني والمؤسسي<sup>11</sup>.

إشكالية القيادة الفردية عند الإخوان يبدو أنها إشكالية تربية بالإضافة لكونها إشكاليات أفراد قيادية، هذه التربية تنشئ أشخاصا يتمتعون بتبعية عالية للقائد ونظرة تختلط فيها المسؤولية في بعدها الإنساني بالبعد الديني لها، فأفراد وقيادات الإخوان من الصفوف الثانية فما دون كانوا وما زالوا يتنازلون عن حقوقهم للقيادة فهم الذين حولوا البنا بصياغة النظام العام وتعيين مجلس الشورى وتحديد مهامه وتعيين مكتب الإرشاد... إلخ من صلاحيات، وهم كذلك الذين ساعدوا حسن الهضيبي المرشد العام الثاني للجماعة على ممارسة نفس الدور، فعلى أثر محاولة الانقلاب على الهضيبي عام 1953م وبعد مصادقة الهيئة التأسيسية على قرار فصل كل من محمد الغزالي وأحمد عبد العزيز وصالح عشموي وهم من أبرز قيادات الإخوان، فوضت الهيئة المرشد فصل أي عضو دون الرجوع إليها إذا تطلبت مصلحة الجماعة ذلك<sup>12</sup>، وهنا لم يخولوه فقط بالانفراد بفصل من يريد بل والانفراد بتحديد أين تكمن مصلحة الجماعة.

لقد جلبت هذه الظاهرة الويلات على جماعة الإخوان، وأدت إلى وقوع الجماعة في شبكة معقدة من المآزق قادت في بعض المراحل إلى القضاء على الوجود الفعلي للجماعة، وهنا لا بد من الإشارة وباختصار شديد إلى موضوعة التنظيم الخاص للجماعة، فقد اتخذ البنا قرار تشكيل الجهاز السري بشكل منفرد، ودون علم أي من أعضاء قيادة الإخوان<sup>13</sup>، ووضع له الأهداف والآليات دون مشاورة احد، مما خلق لدى الجهاز وقائده إحساساً

<sup>11</sup> غرايبة، مصدر سبق ذكره. ص 126.

<sup>12</sup> أبو طه، مصدر سبق ذكره. ص 182.

<sup>13</sup> النفيسي، مصدر سبق ذكره. ص 216-219.

بالنخبوية والدور الإستراتيجي في حماية الدعوة وردع خصومها، وقد عزز ذلك مكانة عبد الرحمن السندي، الذي كلف بتشكيل الجهاز، شخصياً، وأدى إلى تعامله ندياً ليس مع قيادات الجماعة فحسب بل ومع البنا نفسه<sup>14</sup>. فقد قام الجهاز بجملة أعمال عنيفة دون الرجوع إلى قيادة الجماعة، مما ورت الجماعة في صدام مع الحكومات المصرية المتعاقبة وساهمت في إثارة الكثير من الفتن الداخلية وتسببت في خلافات غاية في الخطورة، أخرجت البنا كثيراً، ودفعته إلى الاعتذار العلني عن بعض ما قام به، مثل قتل القاضي أحمد الخازندار، ورئيس الوزراء النقراشي، وحامد جوده رئيس مجلس النواب... إلخ من الأعمال التي ورت الجماعة في شبكة من المآزق السياسية، وعرضتها للحل، ودفعت باتجاه اغتيال إمامها حسن البنا عام 1949م، مع أنه لا ينبغي أن نغفل رغبة ودور الاستعمار وعملائه في التخلص من البنا، وهذا ما أثبتته التحقيقات بعد الثورة، كما استفاد كل خصوم الجماعة، وعلى رأسهم عبد الناصر، من حالة الفوضى والاضطراب التي تسبب بها الجهاز السري<sup>15</sup>.

وكإفراز طبيعي لهذه الظاهرة، برزت خلافات حادة بين أفرع أو تنظيمات الجماعة في الأقطار المختلفة حول طبيعة العلاقة بينهما، وآليات اتخاذ القرارات، فقد أراد القطر الذي يتواجد فيه المرشد العام، وهو دائماً، القطر المصري، الهيمنة على التنظيم في بقية الأقطار، خصوصاً بعد أن تحولت الجماعة إلى تنظيم عالمي. وعلى الرغم من تلاشي ظاهرة الكارزمانية، لغياب قيادات تتمتع بتلك الصفات المؤهلة، إلا أن ظاهرة الفردية تمثلت فيما بات يعرف "بمصرنة" التنظيم العالمي، مما أدى إلى انشقاقات قطرية، كما حدث مع تنظيم السودان<sup>16</sup>. كما أن النزعة الفردية، والتي ينجم عنها شعور القيادة بامتلاك الحقيقة دائماً، قادت إلى الخلافات الداخلية، خاصة إذا ما وجد عدد من الأفراد الذين يحترمون أنفسهم ويعتقدون بمقدرتهم على المشاركة في القيادة وصنع القرار، وهذه الخلافات تؤدي في الغالب وفي مثل هذه الحالات إلى الانشقاق والانفصال. وتاريخ الإخوان المسلمين، في مختلف الدول، حافل بفصل العناصر، والقيادات الذين كانوا في معظمهم أعضاء في الهيئات القيادية (مكتب الإرشاد، الهيئة التأسيسية، مجلس

<sup>14</sup> أبو طه، مصدر سبق ذكره. ص 132؛ ميتشل، مصدر سبق ذكره. ص 252؛ النفيسي، مصدر سبق ذكره. ص 227.

<sup>15</sup> السيد، رفعت. "جماعة الإخوان ... استعادة الإرهاب". مجلة النهج. العدد 54، ربيع 1999م، مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي: دمشق، 1999م، ص 80؛ أبو طه، مصدر سبق ذكره. ص 133، 141، 180-182؛ النفيسي، مصدر سبق ذكره. ص 212-217، 229؛ ميتشل، مصدر سبق ذكره. ص 115، 116، 119، 196-199؛ العبيدي، مصدر سبق ذكره. ص 11؛ غرايبة، مصدر سبق ذكره. ص 61.

<sup>16</sup> النفيسي، مصدر سبق ذكره. ص 245؛ أبو طه، مصدر سبق ذكره. ص 215-216.

الشورى..). وكان كثيرا ما يتهم المفصلون بعدم التقوى وحب المنصب، وعدم احترام مبادئ الجماعة، والعمل لصالح الأحزاب الأخرى... إلخ، وهي تمم كانت في الحقيقة تشكل غطاء لظاهرة تكاد تكون أصلية عند الإخوان، وهي عدم احترام الرأي الآخر أو حرية التعبير داخل الجماعة. وعدم السماح لأي شخص مهما كان موقعه أو مهما قدم من خدمات للجماعة بأن يقف موقفا مغايرا لموقف القيادة، التي كثيرا ما كانت تختزل في شخص المرشد العام أو من يقوم مقامه<sup>17</sup>، حتى صارت عملية "فصل العناصر المتبرمة" أو تجميد عضويتها أو عزلها عزلا تدريجيا صارت شيئا عادياً تمليه مزاجية فلان أو إعلان في الهيئة القيادية. وهكذا تم فصل وتجميد وعزل مئات من العناصر الرشيدة الواعية والواعدة والمعتدلة دون أن تشكل لجان تظلم أو تحقيق أو مساءلة<sup>18</sup>.

كما أن حالة الركود السياسي وعدم ديناميكية أداء الجماعة، وكذلك عدم صياغة وطرح برامج متجددة تلائم المرحلة التي يعيشونها، حالت دون حدوث أي تطور على وضع الكوادر والطاقات الذين لم تليي الجماعة طموحاتهم. مما دفعهم للانفصال عنها، فخرج من الجماعة عدد كبير من الطاقات المبدعة التي مارست أدوارا سياسية واجتماعية وثقافية على مستوى بلدانها.

وكما يرى عبد الله النفيسي فإن الإخوان لم يتمكنوا من التفريق بين الدين كاعتقاد وغاية، وبين التنظيم كحشد ووسيلة. فالدين لا يمكن القول بنقده، لكن لأن الخلط حاصل بين الدين والتنظيم، صار أيضا ليس مقبولا نقد التنظيم، وهنا مكنم الخطر على الدين والتنظيم والمجتمع السياسي الذي يتجاذبان فيه<sup>19</sup>، وهذا الأمر ينطبق أيضا على الفكر الديني الذي يستند إليه الفكر السياسي وبالتالي الممارسة السياسية عند الإخوان، فهم يخلطون بين "الدين" كمعطى سماوي وبين "الفكر الديني" وهو بالضرورة معطى إنساني، الدين مطلق الصحة. والفكر الديني

---

<sup>17</sup> أبو طه، مصدر سبق ذكره. ص 49-50، 71-93، 101-173؛ النفيسي، مصدر سبق ذكره. ص 248-253؛ خلف الله، مصدر سبق ذكره. ص 68، 71؛ ميتشل، مصدر سبق ذكره. ص 39-40، 136، 199، 228؛ يوسف، مصدر سبق ذكره. ص 178؛ غرايبة، مصدر سبق ذكره. ص 49-59.

<sup>18</sup> النفيسي، مصدر سبق ذكره. ص 260.

<sup>19</sup> النفيسي، مصدر سبق ذكره. ص 260.

نسي الصحة (لأنه رؤية إنسانية)، لكن البنا والإخوان خلطوا بين الاثنين مما صبغ أفكارهم بالقداسة، والحصانة ضد النقد، الأمر الذي عرض البنا للنقد من قبل خصومه الذين اتهموه بتعمد فعل ذلك<sup>20</sup>.

لذا فإن الجماعة، لا تكتفي بمنع المعارضة الداخلية وقمع الآراء المخالفة لآراء القيادة، بل تمنع أيضاً محاسبة المسؤولين أو حتى لومهم. فنظام الجماعة الأساسي يكاد يخلو "في نسخته المتعددة" من أي بند يضع آلية لمحاسبة المسؤولين في الجماعة وخاصة المرشد العام.

إن التنظيم يطالب أعضائه بتأدية واجباتهم تجاهه دون أن يسمح لهم بالمطالبة بحقوقهم عليه، وهذا يبدو واضحاً في النظام العام للإخوان المسلمين الصادر في 29 تموز 1952م، فهو يؤكد على واجبات العضو، ابتداء من البيعة "مادة 45" مروراً بدفع الاشتراك المالي "مادة 5"، وصولاً إلى الإجراءات الجزائية في حال التقصير في الواجبات "مادة 6"، دون أن نجد مادة تعطي الحق للعضو في التظلم، ودون أن تحدد مادة أخرى الجهة التي يتظلم إليها العضو، وهذا فتح الباب للقيادة لتفصل وتعاقب وتجمد كل من يختلف معه<sup>21</sup>، دون إعطاء الفرصة للدفاع عن النفس.

ولعل غياب المساءلة لم ينتج فقط عن عدم وجود بنود تضمنها في النظام العام، وإنما نتج أيضاً عن نمط التربية الذي ساد في الجماعة، التربية القائمة على الطاعة المطلقة للقائد، الطاعة التي لا يكون معها نقاش، ومن يناقش يشك في انتمائه ويتهم، هذه التربية هي التي تربي أفراد لا يطالبون بحقوقهم الأساسية، كحقوقهم في إبداء الرأي ومحاسبة المسؤولين<sup>22</sup>، وهذا ينطبق على مساءلة أو انتقاد القيادة، فتحت مبررات عدم الوقوع في "الغبية" و"النميمة" و"حرمة عدم الطاعة لأولي الأمر" يمنع الكثيرون من مداولة أو نقاش إساءات القيادات، وتوجيه النقد لهم، مع أن مساءلة المسؤولين هي حق العضو الذي ينبغي أن يقاتل من أجل الحصول عليه كما يفعل من أجل غيره من الحقوق، والإسلام خط منهجاً مغايراً، وحث على ضرورة النقد والمراجعة والمحاسبة للذات، وإلا فما هو المقصود بالنفس

<sup>20</sup> رفعت، مصدر سبق ذكره. ص 77.

<sup>21</sup> النفيسي، مصدر سبق ذكره. ص 31.

<sup>22</sup> المصدر السابق. ص 24.



اللوامة التي أقسم بها الله عز وجل "لا أقسم بيوم القيامة، ولا أقسم بالنفس اللوامة"<sup>23</sup>. تلك النفس دائمة المراجعة والمحاسبة والنقد لذاتها، حتى تتعلم من أخطائها وتصحح مسارها بشكل مستمر ودائم.

فلماذا لم يراجع أو يحاسب البنا ابتداء على تشكيله للجهاز السري دون علم أحد، وانفراده بإدارته وتنظيمه دون الرجوع إلى مؤسسات الجماعة؟! ولماذا لم يحاسب أو يُسأل حسن الهضيبي، المرشد الثاني للجماعة، على تسمية ثلاثة من أعضاء الجماعة ليكونوا وزراء في حكومة عبد الناصر دون الرجوع إلى الهيئات المسؤولة؟! ولماذا لم تحاسب قيادة الجماعة في سوريا على مأساة حماة، التي هي في الأساس، ودون إغفالنا لدور النظام السوري، مأساة قرار غير مسؤول وغير مدروس في مواجهة لم تستكمل شروطها الموضوعية؟! هذا إذا سلمنا بضرورة المواجهة<sup>24</sup>.

ورغم أن جماعة الإخوان بادرت ومنذ فترة مبكرة إلى وضع نظام داخلي ينظم شؤون الجماعة ويحدد المهام والصلاحيات، لكن هذا النظام لم ينجح في وضع هيكلية مؤسسية حقيقية، وكانت تنقصه قضايا هامة جدا أدت إلى وقوع إشكاليات كبيرة في صفوف الجماعة لاحقا، ومن ذلك عدم تحديد آلية لاختيار المرشد العام، وآليات تداول السلطة داخل التنظيم، انعدام روح الديمقراطية، وغياب لوائح داخلية تصون حرية الرأي والتعبير... إلخ. ولم تقتصر المشكلة على غياب بعض الأمور الهامة من النظام العام، بل تعداه إلى عدم الالتزام والالتفاف على العديد من البنود الواردة أساسا في النظام، مما أدى إلى إشكاليات كادت تعصف بالجماعة وتقضي على وجودها، كما حدث عند تعيين حسن الهضيبي مرشدا عاما<sup>25</sup>.

لم تنته أزمة (غياب هيكلية مؤسسية حقيقية وعدم احترام النظام الأساسي) بوفاة الهضيبي 1973م، مما يؤكد أن المشكلة عميقة وهي جزء من الفكر والتربية، فبعد وفاة الهضيبي خرجت إلى الوجود فكرة المرشد السري، في تجاوز جديد للنظام العام وللعمل المؤسسي، وتحت ملاءة المرشد السري تمكن عناصر النظام الخاص، وعلى

<sup>23</sup> سورة القيامة آية (2+1).

<sup>24</sup> النفيسي، مصدر سبق ذكره. ص248

<sup>25</sup> العسال، مصدر سبق ذكره. ص44، 208؛ خلف الله، مصدر سبق ذكره. ص72؛ النفيسي، مصدر سبق ذكره. ص226، 227؛ العبيدي، مصدر سبق ذكره. ص80-82؛ ميتشل، مصدر سبق ذكره ص141-145، 189-190؛ يوسف، مصدر سبق ذكره ص180.

رأسهم مصطفى مشهور المرشد السابق للجماعة، من إحكام سيطرتهم على شؤون الجماعة، وتم خلال هذه الهيمنة إبعاد كل العناصر المستنيرة التي تتمتع بالشرعية والأهلية، وشكل عناصر النظام الخاص مكتب الإرشاد من بينهم، وقد اختار "مكتب الإرشاد السري" عام 1977م عمر التلمساني مرشداً عاماً، وهذا الاختيار جاء لطبيعة شخصية التلمساني اللينة والهادئة التي يمكن السيطرة عليها، وقد تم دون الرجوع إلى الهيئة التأسيسية أو النظام الأساسي وهذه الإشكالية "النسق القيادي الذي يميل لتركيز السلطة القيادية في يد شخص واحد أو مجموعة أشخاص، بحيث يتم الإلغاء الفعلي والواقعي للمؤسسات الإدارية الشرعية رغم وجودها الاسمي "مستمرة حتى اليوم". فما حدث مع التلمساني تكرر مع محمد حامد أبو النصر (المرشد الرابع) 1986م ومع مصطفى مشهور (المرشد الخامس) وهذه المرة اختار الإخوان مرشداً عاماً لهم طاعناً في السن ولا يبدو أنه رجل فكر أو عمق أو دهاء والبسطة سمته البارزة<sup>26</sup>.

أما التنظيم العالمي فبدلاً من أن يتعظ بالتجربة التاريخية للحركة الأم في مصر، ويتجاوز إشكاليات التركيبة القيادية، كرس عبر نظامه العام لعام 1982م نفس الظاهرة، فقد أحدث خلطاً شديداً بين السلطات، بل ساعد السلطة التنفيذية (مكتب الإرشاد) في الهيمنة على السلطة التشريعية المتمثلة في مجلس الشورى، فقد شكل أعضاء مكتب الإرشاد 37% من أعضاء مجلس الشورى<sup>27</sup>، مما يعني سلب المؤسسة التشريعية دورها الحقيقي في مراقبة ومتابعة ومحاسبة السلطة التنفيذية، فكيف يمكن لها ذلك وعدد كبير من أعضائها هم أعضاء السلطة التنفيذية.

نحن نعيش اليوم في عصر المؤسسات، عصر يتراجع فيه دور الزعيم أو الإمام الأوحده، فجراء ثورة المعلومات أصبحت المعرفة في متناول من يتغيها، ولم تعد حكراً على فرد أو زعيم، ففكرة الإمام والمرشد صاحب الحجة والعلم المحيط الذي ينهل منه الجميع الحكمة والمعرفة لا تتلاءم وواقع الحال، وبفضل تعقد الحياة وتشابك العلاقات لم يعد بمقدور شخص واحد مهما بلغ شأنه أن يحيط وحده بمسائل الاقتصاد والسياسة والإدارة والحرب والعلاقات بين الدول والعلم والتعليم... إلخ، فدولة اليوم هي غير دولة المدينة (يثرب)، رغم أن دولة المدينة أسست للعمل المؤسسي وبالذات في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، وهي دولة تحتاج إلى مؤسسات وأهل اختصاص ولا

<sup>26</sup> النفيسي، مصدر سبق ذكره ص 234 - 235 - 238.

<sup>27</sup> المصدر السابق. ص 245، 259.

مركزية في القيادة والصلاحيات. لذا فعلى جماعة الإخوان أن تكيف نفسها لتتناسب مع الواقع الجديد، وهو تكيف ما زالت الجماعة بعيدة عنه في صيغتها الحالية<sup>28</sup>، لقد خاطب البنا مؤيديه يوماً قائلاً: "...في الوقت الذي يكون منكم — معشر الإخوان المسلمين — ثلاثمائة كتيبة قد جهزت كل منها نفسها روحياً بالإيمان والعقيدة وفكرياً بالعلم والثقافة، وجسمياً بالتدريب والرياضة، في هذا الوقت طالبوني بأن أخوض بكم لبحر الجحش وأقتحم بكم عنان السماء، وأغزو بكم كل عنيد جبار، فإني فاعل بإذن الله<sup>29</sup>.

فقد كان البنا يريد من الرجال كماً ونوعاً، فهو لم يرد عدداً من الإخوان فحسب، بل وأراد منهم أيضاً أن يكونوا مؤهلين ومدربين، وهو يؤكد أنه في حال توفر ذلك، فسيكون قادراً على تحقيق كل ما يصبو إليه وتصبو إليه الجماعة، بمعنى أنه سيكون قادراً على الوصول إلى السلطة وتحكيم شرع الله في الأرض، والقضاء على الفساد وتحرير الناس من كل مصادر وأسباب ذلهم وعبوديتهم، سواء من الفقر والجهل أو من الاستعمار، لكن ورغم بلوغ الإخوان هذه المرحلة التي باتت تعرف بـ "المرحلة المليونية"، أي وصلوا إلى الحد الذي يشكلون فيه ثلاثمائة كتيبة، وفي ظل وجود البنا، إلا أنهم لم يتمكنوا من بلوغ أي من أهدافهم، فلم يخض بهم لبحر الجحش ولم يفتح بهم الأفق، وهذا يضع علامة استفهام كبيرة على التربية والمنهجية والوسائل والطرق التي اتبعت. والمدقق هنا يجد أن الإخوان عانوا أيضاً، ولا يزالوا يعانون، من مشكلتين أساسيتين مرتبطتين بالطاقات البشرية في الجماعة، الأولى: تكمن في كيفية بناء الأفراد والكفاءات اللازمة والضرورية لتحقيق الهدف فلم يقيم الإخوان بناء الطاقات اللازمة لتحقيق أهداف دعوة عالمية شاملة كدعوتهم، والثانية: تكمن في عدم الاهتمام بالحفاظ على الكفاءات والموجودة عندهم، أو التي دخلت إليهم، وعدم استغلالها بالشكل الصحيح. والاهتمام بأهل الطاعة والولاء على حساب أهل المقدره والكفاءة، مما أدى إلى انفصال وتسرب وفصل عدد كبير من هؤلاء<sup>30</sup>.

فبناء الفرد لا يعتمد فقط على تربيته وحشوه بجملة من القيم والقواعد والمبادئ، بل لا بد من تربيته عملياً على تطبيق هذه القيم، عبر ممارستها من خلال حياته التنظيمية، وهذا ما لم يتح لكفاءات الإخوان، فظلت

<sup>28</sup> النفيسي، مصدر سبق ذكره. ص 259.

<sup>29</sup> ميتشل، مصدر سبق ذكره ص 36؛ البنا، حسن. مذكرات الدعوة والدعاية، القاهرة: دار التوزيع للنشر.

<sup>30</sup> أبو طه، مصدر سبق ذكره ص 90؛ النفيسي، مصدر سبق ذكره، ص 219.

مكبوتة ومقهورة، لا يسمح لها بتجاوز الدور الذي ترتبه لها القيادة، وإذا ما حاولت غير ذلك، نبذت وطردت وشهر بها. فمنذ اللحظة الأولى سلب البنا ومن خلفه في مكتب الإرشاد الآخرين حقهم في المشاركة في القيادة ورسم سياسات الجماعة، وتحديد مواقفها، واختزل كل طاقات الجماعة في شخص المرشد العام، وفي أحسن الأحوال في (شخص) مكتب الإرشاد العام، وهذا قاد إلى الإخفاق في بناء كوادر مهنية ومتخصصة وشاملة تناسب عملية الفكرة التي حملوها، فالغالبية العظمى من نشطاء وكوادر الحركة هم من "المشايع"<sup>31</sup>، وهذا أدى إلى خلل في إدارة أمورهم السياسية والاجتماعية وغيرها، وعلى سبيل المثال ففي تنظيم الأردن "قبل عام 1967" الوجود الطاعني هو للموظفين الدينيين في لجنة الحياة الإدارية، ففي فرعي القدس والخليل في الخمسينيات كان حوالي ثلثي أعضاء اللجنة المحلية يحملون لقب "شيخ" أو "حاج" وكان الوضع شبيهاً بذلك في فروع أخرى<sup>32</sup>. وهذا مؤشر على خلل واضح، حيث يظهر افتقار القيادة إلى التخصصات الضرورية للعمل البرلماني والسياسي، فلا تجدد أيما من أصحاب تخصصات العلوم الإنسانية، كعلم الاجتماع والتاريخ والعلوم السياسية أو الفلسفة أو الصحافة... إلخ من هذه العلوم التي تزود الإنسان بكل ما هو ضروري ليتمكن من ممارسة عمله السياسي بشكل واع وناضج. ويبدو هذا عائد إلى خلل قدم في النظرة لتلك التخصصات، فحتى فترة قريبة كان الإخوان في مواعظهم ودروسهم يسخرون من هذه التخصصات ويقللون من قيمتها، فعلم الاجتماع لقب بعلم الانجماع، وعلم النفس عرف عندهم بعلم النَّفْس، والسياسة شر لم ينقطع الحث للبعد عنه، و كليات العلوم الإنسانية حتى فترة قريبة حلت من الطلبة الذين ينتمون للجماعة<sup>33</sup>.

أخيراً فقد قاد هذا الموقف من أهل الكفاية والاقتدار، وعدم الاهتمام بتدريب طاقات متخصصة، وعدم الاستغلال الصحيح للطاقات المتوفرة، وإعطائها الفرصة لأخذ دورها الحقيقي والاستمرار في الاعتماد على الفرد الفرد إلى أن يكون سوء تقدير الموقف داء في ممارسات "مكتب الإرشاد العام"، خاصة في مجالات العلاقات السياسية

---

<sup>31</sup> المشايخ: مصطلح يرمز إلى الملتزمين بأحكام الشريعة الإسلامية والذين يدعون إلى تطبيقها والالتزام بها في المساجد وغيرها عبر الخطب والمواعظ وهم في غالبيتهم ممن درسوا العلم الشرعي.

<sup>32</sup> كوهين، مصدر سبق ذكره. ص226، 228؛ غرابية، مصدر سبق ذكره. ص133 - 125.

<sup>33</sup> مقابلة الباحث مع د. محمود الرمحي، رام الله، 2003/5/13.

وتفسير الأحداث الكبيرة والخطيرة، مثل ثورة يوليو المصرية والثورة الفلسطينية وأحداث حماة وحتى الثورة

الإيرانية<sup>34</sup>.

### الإشكالية الثانية: الضابطة السياسية

البداية الدعوية لحركة الإخوان المسلمين وتأثر البنا الشديد بالصوفية، التي بدأ حياته بها، كان لها أبلغ الأثر على ماهية الحركة، وأثارت اللبس حول طبيعتها السياسية. فقد التقى البنا ببعض رفاقه الذين شاركوه فيما بعد بتأسيس "جماعة الإخوان المسلمين"، ومنهم أحمد السكري الذي أسس معه "جمعية الحسنية الخيرية"، التي تهدف، وفق البنا، إلى نشر الأخلاق الفاضلة ومقاومة المنكرات كالخمر والقمار وغيرهما، ومقاومة الإرساليات التبشيرية، التي تبشر بالمسيحية، في الزوايا الصوفية وحلقات الذكر. فقد ذهب البعض إلى حد الاعتقاد بأن البنا لم يقم بحركته لعوامل سياسية تتعلق بالدستور أو الاستقلال، أو رفض النظام القائم، إنما قام بها لأسباب سلفية تعارض التغريب والتبشير المسيحي، الذي كان يوظف الجهل والفقر والمرض في سبيل التبشير بالنصرانية، وقد كان البنا في النهار مدرسا وفي الليل "صوفيا" في حلقات الذكر<sup>35</sup>، ومما يدل على ذلك أنه بعد أشهر من تأسيس الجماعة عام 1928م، بذل الشيخ حافظ وهبة، مستشار عبد العزيز آل سعود ملك السعودية، مساعي لدى الحكومة المصرية لتوظيف البنا كمدرس في الحجاز، وقد أبدى البنا حماسا لمساعي الشيخ حافظ وهبة، إلا أن عراقيل إدارية حالت دون ذلك. وقد تكرر هذا الأمر مع السيد محمد الحسن، أمير الديوان الملكي في اليمن، وهذا يؤكد غياب رؤية سياسية مصرية محددة يرغب البنا في تبني الجماعة الجديدة لها، بل كان يريد أن يزرع فساتل الدعوة الإسلامية في كل مكان يصل إليه<sup>36</sup>.

<sup>34</sup> النفيسي، مصدر سبق ذكره. ص 248.

<sup>35</sup> المصدر السابق. ص 205 - 206.

<sup>36</sup> المصدر السابق. ص 208؛ أبو طه، مصدر سبق ذكره. ص 49.

كما أن اهتمام المؤتمر العام الأول للإخوان عام 1933م، تركز على المشكلة الخاصة بنشاط البعثات التبشيرية المسيحية، وأساليب مواجهتها، وأرسلت الجماعة خطابا إلى الملك فؤاد أعربت فيه عن اعتقادها بضرورة إخضاع نشاط البعثات التبشيرية الأجنبية للرقابة الحكومية الصارمة<sup>37</sup>.

ورغم قيام البنا في عام 1938م في أعقاب المؤتمر الرابع للحركة الذي عقد عام 1937م، بإشهار جماعته كمنظمة ضغط سياسي وأيديولوجي على الأحزاب والحكومات المصرية، كي تبني إقامة دولة إسلامية، حيث اضمحل اسم الجمعية لصالح بروز اسم جماعة الإخوان المسلمين<sup>38</sup>، وقيامه في المؤتمر الخامس بإعلان الإخوان "هيئة سياسية" أي حزب بمصطلح الثلاثينيات<sup>39</sup>، إلا أن ذلك لم يمهّد الجدل الذي كان دائرا حول ماهية الحركة، وسنجد أنه سيستمر إلى عقود طويلة بعد هذا المؤتمر، إذ استمر بعد وفاة البنا، خاصة في عهد المرشد الثاني حسن الهضيبي. ولم يستطع الإخوان إزالة هذا الغموض أو اللبس حول ماهية الجماعة، وطبيعتها السياسية، فعندما طرح موضوع تسجيل الجماعة كحزب بعد نجاح ثورة يوليو، وإثر صدور القرار الحكومي في سبتمبر 1952م بحل الأحزاب، ومع أن القانون قد استثنى الجماعة من الحل، مما كان يؤشر إلى العلاقة الطيبة بينهم وبين مجلس الثورة<sup>40</sup>، اعتكف الهضيبي وهدد بالاستقالة في حال إصرار الهيئة التأسيسية على موقفها من تسجيل الجماعة كحزب سياسي<sup>41</sup>، بحجة أن الجماعة كهيئة إسلامية عالمية لا يمكن أن تقيد نفسها بقانون الأحزاب المصرية، وقد دار الخلاف في حقيقة الأمر حول ما إذا كانت الجماعة حزبا سياسيا أم جماعة دينية<sup>42</sup>.

وقد أدى هذا التردد وعدم الوضوح السياسي في النهاية إلى "الكارثة" الناتجة عن قناعة الضباط الأحرار بعدم إمكانية التعاون مع الجماعة في ظل وضعها الحالي، وترافقت هذه الضبابية مع رغبة عبد الناصر بأن لا يكون له شريك في الحكم، وفق ما أكده عدد كبير من الضباط الأحرار الذين تحدثوا في موضوع الثورة، وكل المبررات التي

<sup>37</sup> ميتشل، مصدر سبق ذكره، ص 33، 35، 36.

<sup>38</sup> أبو طه، مصدر سبق ذكره، ص 61، 55.

<sup>39</sup> المصدر السابق. ص 64.

<sup>40</sup> خلف الله، مصدر سبق ذكره. ص 74.

<sup>41</sup> ميتشل، مصدر سبق ذكره. ص 191م.

<sup>42</sup> أبو طه، مصدر سبق ذكره. ص 172-174.

صيّغت ما هي إلا غطاءً للتخلص من الجماعة<sup>43</sup>، فقد تخلص عبد الناصر من معظم أعيانه سواء أكانوا جماعات أم أفراداً<sup>44</sup>. ومع مرور الوقت كان على الجماعة أن تحدد موقفها الفكري من القضايا السياسية العامة، وعندئذ برزت لها أيديولوجية متكاملة، تختلف عما بدأت به، وتقوم على فكرة الحكومة الإسلامية، وشمول الإسلام للدين والدولة<sup>45</sup>. لكن بالإضافة إلى الضبابية في الرؤيا وعدم وضوح ماهية الحركة، فإن الوسائل التي استخدمها الإخوان قد خلت من الآليات اللازمة لتحقيق كثير من أهداف الجماعة، وعلى رأسها إقامة نظام حكم إسلامي<sup>46</sup>، فالمنهج الإصلاحى للإخوان يستمد فكرته من إعداد الفرد المسلم وتربيته، مما سيؤدي إلى تكوين البيت المسلم ثم المجتمع المسلم، وقد اهتمت الجماعة بموضوع تربية الفرد تربية إسلامية<sup>47</sup>. وطبقاً لهذا المنهج يتم التركيز على "إعداد الفرد وتربيته" مما سيقود إلى تغيير المجتمع مع إهمال واضح لوسائل التغيير الأخرى، لا بل لم تعمل على تحقيق أهدافها عندما كانت قريبة جداً منها "ثورة يوليو"، فكما ذكرنا من قبل، كانت الجماعة ترفض تصنيف نفسها كحزب سياسي وأنكرت على الآخرين ذلك، مع أن العديد من أهدافها، لا يمكن إنجازها دون تعاملهم وعملهم كحزب سياسي بكل ما يعنيه الحزب من تربية ومؤسسات وسلوك.

المطلع على مناهج التربية عند الإخوان يرى التركيز الواضح على ما هو ديني أخلاقي وقيمي، وفقر وتقصير فيما هو سياسي، مما أدى إلى ضعف في التعبئة والوعي السياسي، وقصور في فهم طبيعة العمل السياسي، ونقص في امتلاك وسائله وأدواته. كما أدت إلى وجود ضبابية في الكثير من المواقف الإخوانية، فلا هم عرفوا دعوتهم بالشكل الصحيح، ولا هم عرفوا الناس بما بشكل واضح وصريح<sup>48</sup>.

وقد قاد هذا المنهج إلى تخلف الأداء التنظيمي والبرامجي لنواب الحركة الإسلامية (الإخوان) عن أدائهم الميداني، فقد أظهر نواب الإخوان في الأردن على سبيل المثال قدرة على المناورة والحوار والتنسيق، ولكنهم لم

<sup>43</sup> فوزي، محمود. الضباط الأحرار يتحدثون. مكتبة مديبولي: القاهرة، 1990م، ص 45.

<sup>44</sup> حبيب، طارق. ملفات ثورة يوليو : شهادات 122 من صناعتها ومعاصريها. مركز الأهرام للترجمة والنشر: القاهرة، 1997م، ص 174 ; أبو طه، مصدر سبق ذكره. ص 200 - 201.

<sup>46</sup> يوسف، مصدر سبق ذكره. ص 57.

<sup>46</sup> خلف الله، مصدر سبق ذكره. ص 68.

<sup>47</sup> غرابية، مصدر سبق ذكره. ص 112.

<sup>48</sup> يوسف، مصدر سبق ذكره. ص 175.

يقدموا برامج ورؤى تبلور برامج الحركة الإسلامية ومواقفها وطرحها السياسي العام، وهذا قد يفسره عدم وجود مركز دراسات ومعلومات واحد، حتى بداية التسعينيات من القرن الماضي، يرفد الجماعة ونواحيها بالدراسات والبيانات والتقارير اللازمة لتأصيل العمل ومنهجيته<sup>49</sup>.

### الإشكالية الثالثة: أزمة العلاقة مع القوى والسلطات السياسية.

مع أن الإخوان يؤكّدون سيرهم على نهج النبي محمد عليه السلام في دعوتهم وحركتهم ومراحل عملهم، إلا أن الواقع يشهد بأنهم لم يوفقوا في ذلك حتى اللحظة، وليس أدل على صحة ما نقول من أن محمد عليه السلام قد تمكن من تحكيم شرع الله، وتأسيس دولة إسلامية، في 13 عاما، أما الإخوان فعلى الرغم من مرور 78 عاما على تأسيس جماعتهم فلم يستطيعوا أن يصلوا إلى السلطة في أي من الدول التي وجدوا فيها. وقد يرى البعض أن هذه المحاكمة غير موضوعية، وفيها إسقاط مبسط للحاضر على الماضي، لأن العمل السياسي اليوم أكثر تعقيدا وتشابكا مما كان عليه زمن الرسول عليه السلام، وسيكون هذا الاعتراض صحيحا لو أن وسائل أدوات وطرق العمل السياسي لم تتطور أيضا، لكن التعقيد في الواقع يقابله تقدم مذهل في المناهج والآليات والوسائل التي تمكن من التغلب عليه. وهذا الإخفاق الذي عانت منه الجماعة في ميدان العمل السياسي، لم يأت من فراغ، فكما يرى البعض: "أن الحركة الإسلامية لم توفق في البعد السياسي ( كما في البعد الخيري)، وذلك نظرا لغياب الرؤية السياسية الواضحة. فمن الواضح في هذا المجال استعدادها الغريزي للصدام مع الفرقاء السياسيين، وضعفها في مقاومة الاستدراج للمعارك السياسية الجانبية، التي أكلت منذ عام 1945م معظم طاقاتها الحركية. أضف إلى ذلك الاستخفاف التام الذي تبديه تجاه "الآخر" في الساحة، والجهل الواضح في موازين القوى الفعلية، وسيطرة الخطاب في صياغة العقل العام للحركة، عوضا عن الموجهين الفكريين"<sup>50</sup>.

<sup>49</sup> المصدر السابق، ص 126.

<sup>50</sup> النفيسي، مصدر سبق ذكره. ص 27.



الموقف من الأحزاب والحزبية كان أيضا واحدا من إخفاقات الإخوان ومشكلاهم، فقد ركز الإخوان على البعد عن الحزبية، وتميزت الجماعة إبان إمامة البنا لها بموقفها العدائي منها، حيث دعا المؤتمر الخامس (يناير/كانون ثاني 1939) إلى حل جميع الأحزاب، ودججها في هيئة وطنية سياسية واحدة<sup>51</sup>. ومن نقاط ضعف البنا التي يراها البعض، هي عدم تقبله الدائم للحزبية والأحزاب، مما يعكس لديه غياب النظرية المتكاملة لعلاقاته السياسية داخل مصر، حيث أكد البنا في أكثر من رسالة ومقالة وخطبة وحديث أن الإخوان ليسوا حزبا من الأحزاب، وأن الإخوان ينكرون على الأحزاب حزبيتها.. وهم الآن في مصر يبحثون عن كافة المخارج القانونية لكي يصبحوا حزبا معترفا به من قبل السلطات<sup>52</sup>.

الإخوان المسلمون رغم محاولاتهم بناء علاقة مع بعض الأنظمة، على اعتبار أن البنا يقول في رسائله "يمكن أن نقول في اطمئنان إن القواعد الأساسية التي قام عليها الدستور المصري لا تتنافى مع قواعد الإسلام، وليست بعيدة عن النظام الإسلامي ولا غريبة عنه، حيث دين الدولة الإسلام... وحرية الاعتقاد مكفولة". وحسن الهضيبي يقول "المجتمعات والحكومات القائمة إسلامية، ولا ينفي عنها الإسلام مخالفتها لأحكام الشريعة الإسلامية في أنظمتها وقوانينها، إلا أنها تكون في عملها جاحدة منكرة، ذلك أن قوله تعالى "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون" لا يمكن أن يحمل إلا معنى الاعتقاد"<sup>53</sup>، لكن مع وجود المواقف السابقة وجدت أيضا داخل الإخوان آراء مغايرة، تعتبر الحكومات العربية القائمة كافرة والمجتمعات التي نعيش فيها جاهلية، وصاحب هذه الآراء ومنظرها هو سيد قطب، في كتابه الشهير "معالم في الطريق"، وقد انتشرت هذه الفكرة في عقد السبعينيات من القرن الماضي حيث تم تبنيها من قبل جماعات مختلفة<sup>54</sup>. إلا أن الاختلاف في النظرة إلى المجتمع والحكومات ترتب عليه اختلاف في النظر إلى المشاركة السياسية من خلال هذه الحكومات التي يعتقد أنها ليست إسلامية، وقضية المشاركة السياسية لدى الحركة تحتاج إلى حسم وتوضيح صريح، لأنها تعني مجموعة أسئلة ومراجعات لمنهج الحركة

<sup>51</sup> أبو طه، مصدر سبق ذكره. ص 67.

<sup>52</sup> النفيسي، مصدر سبق ذكره. ص. 221 - 222؛ أبو طه، مصدر سبق ذكره ص 221 - 223؛ كوهين، مصدر سبق ذكره، ص 256.

<sup>53</sup> غرايبة، مصدر سبق ذكره، ص 108.

<sup>54</sup> المصدر السابق، ص 119 - 111.

ومواقفها، مثل فكرة المجتمع الجاهلي، التي سادت بشكل كبير جدا في أوساط الجماعة، تحريم المشاركة السياسية هل تخص الحركة أم الفرد، وأين ومتى تكون.

لقد نجح الإخوان في بعض الأحيان في بناء علاقة متميزة مع الأنظمة القائمة، وصلت إلى حد الشراكة في بعض الحالات "مصر (الثورة) والأردن" إلا أنهم لم يستطيعوا أن يستثمروا هذه العلاقة ويجندوها لخدمة أهدافهم، وبالذات السياسية منها، بل على العكس تماما فقد كانت النتيجة هي الصدام والافتتال وتلقي الضربات، التي أدت إلى إضعاف الجماعة وحلها غير مرة<sup>55</sup>، فمصادر اخوانية وغير اخوانية عديدة تؤكد على مشاركة الجماعة في تخطيط وتنفيذ ثورة 23 يوليو المصرية عام 1952م. كما تؤكد على وجود تلك العلاقة الخاصة جدا بين تنظيم الضباط الأحرار وتنظيم الإخوان<sup>56</sup>، وتنسب تشكيل الخلية الأولى لتنظيم الضباط الأحرار في تموز 1949م إلى الإخوان، حيث إن مؤسسها الخمسة وهم، جمال عبد الناصر، عبد المنعم عبد الرؤوف، خالد محيي الدين، كمال الدين حسين، وحسن إبراهيم، كانوا ممن انظموا بين عامي 1944 - 1945 م إلى الجهاز الخاص لجماعة الإخوان المسلمين، وتؤكد المصادر أن عبد الناصر، ورغم إنكار البعض لذلك، قد أقسم أمام عبد الرحمن السندي في غرفة مظلمة على المصحف والمسند<sup>57</sup>. لكن الجماعة أخفقت فيما نجح فيه بعض الأحزاب والحركات الإسلامية كحركة الإمام الخميني في إيران والترابي والجهة القومية السودانية في السودان وحزب الله في لبنان، حيث تمكنوا من استغلال الفرص المتاحة على أفضل وجه.

ولعل من الغريب في سياسة الإخوان هو رفضهم المشاركة في السلطة في مصر بعدما عملوا جاهدين على انجاح الثورة ورغم أنهم يرفعون شعار، الإسلام دين ودولة، وأن من أبرز أهدافهم تحكيم شرع الله في الأرض، الذي لا بد له من سلطة حتى تطبقه، فقد عرض مجلس قيادة الثورة على المهضيبي مشاركة الإخوان في وزارة محمد نجيب

<sup>55</sup> العبيدي، مصدر سبق ذكره، ص 166؛ غرايبة، مصدر سبق ذكره، ص 126.

<sup>56</sup> النفيسي، مصدر سبق ذكره، ص 223؛ أبو طه، مصدر سبق ذكره، ص 175؛ حبيب، مصدر سبق ذكره، ص 21.

<sup>57</sup> حمودة، حسين أحمد. أسرار حركة الضباط الأحرار والإخوان المسلمين. الزهراء للإعلام العربي: القاهرة 1985م، ص 32 - 35، 105، 152؛ شادي، صلاح. صفحات من التاريخ "حصار العمر" الزهراء للإعلام العربي: القاهرة، 1987م، ص 163 - 214 - 215؛ رائف أحمد. سراديب الشيطان: صفحات من تاريخ الإخوان المسلمين. الزهراء للإعلام العربي: القاهرة، 1990م، ص 317؛ محي الدين، خالد. والآن أتكلم. مركز الأهرام للترجمة والنشر: القاهرة، 1992م، ص 225؛ جريدة القدس العدد 1185، بتاريخ 2002/7/23م.

ممثلين بثلاثة وزراء، إلا أن مكتب الإرشاد رفض بالإجماع المشاركة في الوزارة<sup>58</sup>، وقد علل الإخوان عدم مشاركتهم في الوزارة على لسان وكيل الجماعة بأنه عائد إلى سببين، أولهما: خشية الجماعة من فقدان صفتها "الشعبية"، أي أن تلوث نفسها بالسلطة، وثانيهما: الخوف، الذي ألمح إليه محمد نجيب، رئيس الجمهورية، خلال مقاومته فكرة إشراك الجماعة في الوزارة، من تعريض النظام لمعاداة الأحناب والأقليات مما يعقد مشاكله، وقد شارك الهضيبي نجيب هذا الرأي في معرض تبريره لعدم مشاركة الإخوان، بالإضافة إلى أنه رأى بأن المشاركة تعني إبراز الجماعة بصفة الحزب السياسي، وهي الصفة التي ظل حتى نهاية 1954م يؤكد استقلال الجماعة عنها، وأن الجماعة لا تسعى إلى الحكم أو المشاركة في السلطة<sup>59</sup>.

ويبدو في هذه الأعدار أو الأسباب تناقض وسوء تقدير واضح وجلي، فالنظر إلى السلطة بأنها شر وقذارة سوف تؤدي إلى تلوين الحركة، فيه ظلم لمفهوم السلطة وعدم دراية بطبيعتها وما يمكن أن تنجزه الجماعة جراء وصولها إليها. ثم إذا كان الأمر كذلك فما هو قصد الجماعة بالدولة وبتحكيم شرع الله في الأرض؟ كذلك لماذا الخوف من أن السلطة ستفقد الجماعة شعبيتها، أليس من خلال السلطة يمكن تقديم الخدمات للناس، وتزيد إمكانية الاحتكاك بهم ومعرفة همومهم، ومحاولة وضع حلول لها، ورفع الظلم عنهم، والدفاع عن حقوقهم ومحاولة تحقيق آمالهم وطموحاتهم الوطنية، مما يؤدي إلى زيادة الشعبية وليس العكس. وقد أثبتت تجربة عبد الناصر بعد الثورة ذلك بكل وضوح، فانحسار شعبية الإخوان وتحول عبد الناصر إلى زعيم وبطل قومي خير دليل على فاعلية السلطة، وضرورة الوصول إليها. ولعل هذه النظرة عائدة أيضا إلى فهم تربوي وفكري يقوم على أن التغيير لا بد وأن يكون فقط من الأسفل إلى الأعلى، بمعنى إصلاح الفرد ثم الأسرة ثم المجتمع ومن ثم السلطة، وكأن الفرد والأسرة والمجتمع يعيشون في فراغ ولا ينتظرون إلا الإخوان حتى يؤثروا فيهم، وكأن المجتمع قد خلا يوما من التجاذبات الفكرية والسياسية المختلفة التي تؤثر في الفرد والأسرة. وقد دفع هذا الموقف الكثيرين إلى الاعتقاد بأن السبب الحقيقي

<sup>58</sup> ميتشل، مصدر سبق ذكره، ص 174-175؛ خلف الله، مصدر سبق ذكره، ص 74؛ النفيسي، مصدر سبق ذكره، ص 224؛ عاصم دسوقي. "الإخوان وثورة يوليو" مجلة الهلال. العدد 3، 2002م. دار الهلال: القاهرة. ص 31؛ محي الدين، مصدر سبق ذكره. ص 196.

<sup>59</sup> ميتشل، مصدر سبق ذكره. ص 175؛ أبو طه، مصدر سبق ذكره. ص 172.

للمصادمة والاختلاف مع عبد الناصر هو عدم امتلاك الإخوان لبرامج حقيقية في السياسة والاقتصاد وغيرهما في حين امتلك عبد الناصر ذلك.

أخفق الإخوان في فهم أهمية السلطة في إحداث التغيير، مع أن العديد من التجارب قد أثبتت أن التغيير بالسلطة أكثر فاعلية وسرعة، وليس أدل على ذلك من تجربة الرسول عليه السلام الذي سعى إلى السلطة من اللحظة الأولى، وإلا فما معنى لجوئه إلى المدينة وإقامة الدولة هناك وهجرته لمكة، أحب أرض الله إليه، وأهلها؟ ماذا يعني دخول الناس أفواجا في الدين الله بعد فتح مكة؟ وإذا كانت المشاركة في السلطة التي لا تطبق حكم الله غير شرعي فلماذا المشاركة في برلمانها؟، علما أن البرلمان هو الذي يشرع "ما يخالف حكم الله"، وإذا كانت الجماعة لا ترغب في السلطة فلماذا المشاركة في الثورة؟ ولماذا وافق المهضبي ابتداء على الاشتراك في وزارة الثورة؟ هل كانت المبررات السالفة الذكر غائبة عن باله؟! لذا فلا بد للإخوان أن يقرّوا بسياسية عملهم أكثر من دينيته، حتى يتمكنوا من بناء إستراتيجية واضحة للتعامل مع القضايا السياسية المختلفة.

ويبدو أن موقف حركة الإخوان الأم في مصر قد انعكس على مواقف الإخوان في بلدان أخرى من العالم العربي، فقد أصدر أحمد عبد الرحمن خليفة، المراقب العام للجماعة في الأردن، بيانا صحفيا نشر في 1993/8/26م ذكر فيه أن "الجماعة قررت المشاركة في الانتخابات استجابة لنداء الحسين "ملك الأردن" في الحفاظ على البلد واستقراره وإنجاح مسيرة الديمقراطية والشورى<sup>60</sup>. وهذا يعبر عن تفسير مستغرب لمعنى المشاركة السياسية وأهميتها، ويعبر بشكل جلي عن أن المشاركة أو عدمها لا تحمل معاني عميقة لديهم، وأن المجلس النيابي مؤسسة لا ينظر إليه كأداة هامة وضرورية للتغيير والوصول إلى الأهداف.

في النهاية نرى من الأهمية بمكان أن نرصد خلافا مركزيا وجوهريا بين الجماعة في كل من الأردن ومصر في موضوعة التعامل السياسي، فالعنف السياسي الذي ميز علاقة الإخوان مع النظام في مصر، كان غير موجود على الإطلاق في الأردن، وبالرغم من أن الإخوان في الأردن قد اشتركوا في العديد من المظاهرات الاحتجاجية، إلا أنهم ظلوا "يضبطون أنفسهم". كما ويبرز هذا الفارق "العنف السياسي" في الطريقة التي هيكلت الحركة بها نفسها في

<sup>60</sup> غرايبة، مصدر سبق ذكره. ص 129.

كل من البلدين، ففي الأردن لم تخرج الجمعيات الشبابية التي نظمها الإخوان عن إطار عمل الكشافة والرياضة، أما في مصر فقد تعودوا على التدريبات العسكرية، وهذا انعكس على موقف الحكومة، إذ لا يوجد مقارنة بين ما اتخذته السلطات المصرية في الأعوام، 1945، 1948، 1954، 1966م، بحق الإخوان والإجراءات الاحتياطية التي اتخذتها السلطات الأردنية بحق إخوان الأردن<sup>61</sup>. وكذلك بالنسبة للموقف من الأحزاب الأخرى فقد اهتم إخوان الأردن الأحزاب المناوئة بالخيانة والإلحاد والعداء للإسلام، ومقارنة مع نظيرتها في مصر، فإن إخوان الأردن أشد هجوما على مناوئتهم، بينما كان إخوان مصر مستعدين أن يعترفوا أن الشيوعية على الرغم من أنها معادية للإسلام، تضم جوانب اجتماعية جيدة، والفروق بين إخوان مصر والأردن ساطعة في مجال موقفهما من الأحزاب الأخرى<sup>62</sup>. فقد شهدت مصر تحالفات عديدة بين الإخوان وغيرهم من الأحزاب، بما تمليه مصلحة الجماعة والقرب أو الابتعاد عن برنامجهم السياسي والاجتماعي والفكري، فتارة حالفوا حزب الوفد المصري وتارة تحالفوا ضده وهكذا مع غيره، وقد ألقى ذلك لاحقا بظلاله بشكل واضح على حركة المقاومة الإسلامية (حماس).

### الإشكالية الرابعة: الموقف المتأرجح من القضية الفلسطينية

هيأت الثورات والمواجهات التي وقعت في فلسطين بين الحركة الصهيونية والبريطانيين من جهة، والعرب الفلسطينيين من جهة أخرى، أولى الفرص للتدخل الفعال لجماعة الإخوان في فلسطين والذي تجاوز حدود الدعم المعنوي والدعائي، واتخذ هذا التدخل أشكالا متعددة<sup>63</sup>.

وقد ظلت قضية فلسطين محتفظة بحضورها السياسي لدى الجماعة، وانعكس ذلك من خلال الإشارة الدائمة لها في الصحف والكتيبات والخطب والأحاديث العامة، والاجتماعات الشعبية وفي المظاهرات<sup>64</sup>، وتجنيد المتطوعين والاشتراك ببسالة في حرب 1948م. وقد نسقوا في كثير من الأحيان مع الأحزاب والحكومات المختلفة

<sup>61</sup> كوهين، مصدر سبق ذكره. ص 214.

<sup>62</sup> المصدر السابق. ص 262.

<sup>63</sup> ميتشل، مصدر سبق ذكره. ص 37، 95؛ البرغوثي، إباد. الأسلمة السياسية في الأراضي الفلسطينية المحتلة. مركز الزهراء للدراسات والأبحاث: القدس، 1990م. ص 9.

<sup>64</sup> العبيدي، مصدر سبق ذكره. ص 27.

وجامعة الدول العربية، ونحن في هذا المقام لن ندخل في تفصيلات دور الإخوان في حرب فلسطين لأن الحديث حوله يطول، ولكن ما هو جدير بالذكر أن غالبية من تحدثوا عن الإخوان أبرزوا دورهم المتميز في حرب فلسطين عام 1948م<sup>65</sup>.

لكن بعد سقوط الجزء الأكبر من فلسطين عام 1948م بيد الحركة الصهيونية، وقيام "دولة إسرائيل"، حدثت انتكاسة في دور الإخوان تجاه ما بات يعرف بالقضية الفلسطينية، فقد اضمحل من الدور البارز، أن لم يكن الأبرز، على الصعيد العربي والإسلامي، إلى دور هامشي قائم بالأساس على البيانات والتصريحات الإعلامية والعمل الخيري، وهذا عائد إلى عوامل وإشكاليات عدة، فحواها لا يزال مدار جدل بين الإخوان وغيرهم، وتتمثل هذه العوامل فيما يلي :

**العامل الأول: الخلل في ترتيب الأولويات:** حيث دار الجدل داخل صفوف جماعة الإخوان حول القضية المركزية لديهم، التي ينبغي أن تحظى بالاهتمام الوافر من قبلهم، فهي إعادة إحياء الخلافة أم مقاومة الاحتلال الصهيوني وتحرير فلسطين. ويُعتقد أن هذا الجدل، الذي رححت نتيجته لصالح الرأي الذي يعتبر الأولوية للخلافة وتغيير المجتمعات الإسلامية، هو الذي حال دون ممارسة الإخوان لأي من أشكال المقاومة لعقود طويلة خلت قبل تأسيس حركة المقاومة الإسلامية (حماس). وترفض بعض الآراء الإخوانية كما في مصر، جعل القضية الفلسطينية القضية المركزية للمسلمين، فمحمد قطب، أحد قيادات ومنظري الجماعة السابقين يرى "أن من تعميم الرؤيا وقصر النظر — أو العمالة — أن شغل العرب والمسلمين بالقضية الفلسطينية، وجعلوها محور الصراع بينهم وبين الصهيونية مدعومة بالامبريالية الرأسمالية الغربية! ونسوا أو تناسوا إسقاط الدولة العثمانية"<sup>66</sup>. وفي سياق مشابه يرى الهضبي رداً على سؤال صحيفة الشعب السورية عام 1954م، عن رأي الإخوان في قضية فلسطين، قال: "إن فلسطين لن تعود إلى أهلها إلا بمثل القوة التي سلبت بها، وقد يتراءى ذلك بعيداً لبعض المهتم الضعيفة ولكن الحق لا بد أن ينتصر"<sup>67</sup>.

<sup>65</sup> ميتشل، مصدر سبق ذكره. ص 96، 97؛ أبو عمر، زياد. أصول الحركات السياسية في قطاع غزة 1948 - 1967م. دار الأسواق: عكا 1987م ص 63؛ كوهين، مصدر سبق ذكره. ص 280 - 282؛ أبو طه، مصدر سبق ذكره. ص 102، 115؛ غرايبة، مصدر سبق ذكره. ص 54؛ العبيدي، مصدر سبق ذكره. ص 52، 53، 170.  
<sup>66</sup> أبو عمرو، زياد. الحركة الإسلامية في الضفة والقطاع. ص 52.  
<sup>67</sup> العبيدي، مصدر سبق ذكره. ص 151.

ويبدو هذا الموقف منسجماً مع رؤية الإخوان التي تعتبر الوحدة العربية والإسلامية، التي تعني الخلافة، متطلباً سابقاً وضرورياً لتحرير فلسطين<sup>68</sup>.

**العامل الثاني: الافتقار إلى برنامج سياسي محدد خاص بفلسطين:** إذ ساد خطابهم السياسي تجاه القضية الفلسطينية الشعارات العامة والفضفاضة، التي تخلو من أي برنامج تفصيلي ومحدد، فشعاراتهم التي ترى فلسطين أرض وقف إسلامي لا يجوز لأحد التنازل عنها أو التفريط بها، أو الشعار القائل بأن فلسطين لن تعود إلا بعودة الشباب إلى دينهم وعقيدتهم وبتكوين جيل كجيل الصحابة رضوان الله عليهم، فقد بقيت الجماعة تعوم في بحر هذه الشعارات دون أن تتمكن من تحديد وجهة لشاطئ يخرجها إلى بر صلب تستطيع الانطلاق منه نحو هدف محدد. لذا فلم يطرح الإخوان أية تصورات مرحلية أو حتى إستراتيجية لحل القضية سوى التحرير الكامل المرتبط بالتغيير في الأمة وتوحيدها.

**العامل الثالث: الحظر والمطاردة:** هذه الإشكالية تقتصر على الجماعة في قطاع غزة، إذ أن حظر التنظيم وملاحقته المستمرة في مصر أدتا إلى حرمان الإخوان في غزة من مصادر الدعم المختلفة، كما أن ازدياد شعبية عبد الناصر، وعداء الإخوان له، حيث هاجمته بيانات وجرائد الجماعة بكل قسوة بعد عام 1954م مما أثر سلباً على الإخوان وساعد في انتقال عدد كبير من كوادر وأفراد الجماعة من صغار الشبان إلى صفوف حركة فتح<sup>69</sup>.

**العامل الرابع: بروز المقاومة الفلسطينية المسلحة:** وهي الأزمة الأبرز والأقوى، فقد جاء بروز حركة المقاومة الفلسطينية المسلحة في بداية الستينيات من القرن الماضي، ليحول دون بروز اتجاه ديني كقوة سياسية ذات بال، فالإخوان في الضفة لم يكونوا مهيين من النواحي التنظيمية والسياسية والأيدولوجية أو العسكرية للانخراط في عمل عسكري مباشر ومنظم في مواجهة الاحتلال<sup>70</sup>، وفي غزة كانوا يعانون من الحظر والاضطهاد والملاحقة.

فقد نشأت حركة فتح أواخر الخمسينيات في وسط جماعة الإخوان المسلمين في غزة، حيث كان معظم مؤسسي فتح من الإخوان، أو الذين تأثروا بأفكار الإخوان، الناشطين في قطاع غزة، مثل خليل الوزير (أبو جهاد)

<sup>68</sup> كوهين، مصدر سبق ذكره. ص283 ; أبو عمرو، زياد. مصدر سبق ذكره. ص52، 49.

<sup>69</sup> عبد الجواد، صالح. "دراسة في قيادة فتح". مجلة قضايا. العدد الرابع، آب (أغسطس) 1990. ص30.

<sup>70</sup> أبو عمرو، زياد. الحركة الإسلامية في الضفة والقطاع، مصدر سبق ذكره. ص28.

وصلاح خلف (أبو إياد)، وسليم الزعنون (أبو الأديب)، وأسعد الصفطاوي، وسليمان أبو كرش وحمد العابدي وسعيد المزين، وهاشم الخزندار، ويوسف عميرة، وعبد الفتاح حمود، ومحمد يوسف النجار، وكمال عدوان. واستقطبت من خارج غزة، رفيق النتشة<sup>71</sup>، وتمكنت فتح من سلب تنظيم الإخوان في القطاع خيرة قياداته وكوادره، لذا فقد كان الإخوان بحاجة إلى وقت طويل لاستجماع قواهم والعودة إلى الساحة كقوة سياسية، ولم يتحقق ذلك إلا في أواخر السبعينيات<sup>72</sup>.

بعد هزيمة 1967م والازدياد الملحوظ للعمل الفدائي الفلسطيني، انطلقت موجة اهتمام من بعض تنظيمات الإخوان المسلمين بحركة المقاومة، وأصبح موضوع العمل الفدائي الشغل الشاغل لاجتماعات المكتب التنفيذي ومؤتمر قادة الإخوان في الدول العربية، وكان يحمل لواء الدعوة إلى فكرة إقامة معسكرات التدريب والعمل الفدائي، الإخوان الأردنيون والسودانيون والمصريون المهاجرون خارج مصر، والكويتيون، واعترض الإخوان الفلسطينيون "تنظيم قطاع غزة"، فيما وقف السوريون واللبنانيون والعراقيون موقفا غير واضح. وقد أثارت المعسكرات الفدائية جدلا وخلافا تنظيميا داخل تنظيم الأردن أيضا، فقد كان بعض الإخوان، يعارضون فكرة العمل العسكري من خلال "فتح" ولا يؤمنون بجدوى مثل هذا العمل، فيما أيد هذا الطرح آخرون<sup>73</sup>، لكن في النهاية شارك الإخوان من خلال فتح في إقامة ثلاثة معسكرات فدائية بعد هزيمة 1967م في الأردن، كان الناس يطلقون عليها "قواعد المشايخ"، نفذوا من خلالها مجموعة من العمليات ضد أهداف إسرائيلية، وقد حاول الإخوان نقل معسكراتهم إلى لبنان بعد أحداث أيلول 1970م كما فعلت منظمة التحرير الفلسطينية، إلا أن قيادة الجماعة رفضت ذلك بإصرار وانتهت المعسكرات<sup>74</sup>.

وقد كان الإخوان الفلسطينيون وبالذات "تنظيم غزة" يستندون في رفضهم فكرة العمل الفدائي إلى أنها تقوم في حالة تمزق واختلاف عربي وفلسطيني لا يرشحها إلى حشد مكافئ لمهمة تحرير فلسطين، وكانوا يرون أن ساحة العمل الفدائي قد أغرقتها الأنظمة العربية بمنظمات وأحزاب لا هم لها سوى أن تكون موجودة تمثل مركز

<sup>71</sup> غرايبة، مصدر سبق ذكره. ص 69 - 70.

<sup>72</sup> أبو عمرو، زياد. الحركة الإسلامية في الضفة والقطاع. مصدر سبق ذكره. ص 29.

<sup>73</sup> غرايبة، مصدر سبق ذكره. ص 77؛ أبو طه، مصدر سبق ذكره. ص 214.

<sup>74</sup> غرايبة، مصدر سبق ذكره. ص 78، 77؛ العبيدي، مصدر سبق ذكره. ص 188.



قوى هذه الحكومات والقوى السياسية أو لتنفيذ مخططات مشبوهة بغرض تفجير الصراعات الداخلية، أو استدراج حركة المقاومة إلى الصراع مع الحكومات العربية، وتوقع الإخوان الفلسطينيون عدم استمرارية المقاومة على الساحة الأردنية لأنها تتصرف بطريقة ستجعل الحكومة الأردنية تخرجها من الأردن حتماً<sup>75</sup>.

لكن المبررات التي صيغت لتبرير عدم المشاركة الفاعلة في المقاومة لم تقبل، ليس فقط من خصوم الجماعة، ولكن أيضاً من قبل بعض أبنائها وكوادرها، فعبد الله عزام يرى أن الحركة الإسلامية بعد سنة 1967م قصرت في كونها تأخرت في التحرك للجهاد ولذا سبقتها العلمانية والشيوعية والقومية، مما أدى إلى تطاول اليسار على الإسلاميين والتضييق عليهم، والاستمرار في عداوتهم ومناكفتهم<sup>76</sup>. وقد وجدت بعض الاتهامات للإخوان آذانا صاغية لأن بعض مواقفهم كانت بحاجة لتوضيح، منها تبني إستراتيجية عقائدية وسياسية تقوم على المطالبة بتحرير كل فلسطين من سيطرة اليهود وإقامة دولة إسلامية، في الوقت الذي يرفض فيه الإخوان ممارسة العمل المسلح ضد الاحتلال، بحجة أنهم في مرحلة الإعداد وتربية جيل قادر على مواجهة العدو، وخوفاً من توجيه الاحتلال ضربات لهم. وتساءل أنصار الحركة الوطنية عن دور الإخوان في السنين الطويلة التي تلت عام 1948م وحتى 1987م، وعن كيفية قيام الإخوان بممارسة العمل المسلح ضد النظام السوري وعدم ممارسته ضد إسرائيل، وحتى بعض المتعاطفين مع الإخوان انتقدوا عدم تبنينهم الجهاد، ولم يقبلوا تبريرهم للغياب عن ساحة النضال<sup>77</sup>.

يعلل الإخوان هذا التقصير بأنهم كانوا يعدون العدة، فقد كانوا يبينون المؤسسات الإسلامية التربوية والاجتماعية، وكانوا يعدون الشباب جهادياً وتربوياً حتى يكونوا مهيبين للمقاومة. لكن المدقق يجد أن موضوع الإعداد وبالذات في جانب الشباب كان مجزواً ويعتريه الضعف، فأين القيادات العسكرية المدربة؟ وأين المهنيون في السياسة والاقتصاد والإعلام والعسكرية الذين أعدوا ليقودوا المقاومة والجهاد؟ لقد كشفت انتفاضة عام 1987م ودخول الإخوان إلى معترك العمل السياسي والمقاوم أن الإخوان عانوا من قصور شديد في موضوع إعداد الكوادر

<sup>75</sup> غراية، مصدر سبق ذكره. ص 79.

<sup>76</sup> العبيدي، مصدر سبق ذكره. ص 191.

<sup>77</sup> أبو عمرو، زياد. الحركة الإسلامية في الضفة والقطاع، مصدر سبق ذكره. ص 84 - 68.

المتخصصة والمدرّبة، وان كانوا قد نجحوا في بث روح المقاومة والجهاد بين الفلسطينيين. وهذا القصور لم يكن مرتبطاً بنقص في العناصر والمؤيدين من حيث العدد، وإنما ارتبط بخلل في الرؤى وتحديد الأولويات والضرورات.

الهبوط الحاد في النشاط السياسي للإخوان المسلمين، رغم وجودهم عند معظم المفترقات الهامة بين عامي 1954م وحتى عام 1987م، لم يقض على قوتهم الكامنة التي بقيت في النشاطات الدينية التي مارسوها طوال الوقت، حيث اعتبر المسجد "برلماناً" حراً لفكر الإخوان، لا تستطيع الحكومة المجاهرة بعدائه، ولعل هذا ما يميز عمل الإخوان، فهو يتكون من شقين دعوي وسياسي، وإذا ما توقف العمل السياسي استمر العمل الدعوي، وبحماس أكبر، لذلك عندما يعودون إلى مزاولة النشاط لا يبدعون من الصفر<sup>78</sup>، وهذا بدا واضحاً عندما قرروا الاشتراك في الانتفاضة والمقاومة، فقد بدءوا بشكل قوي، وكان لعملهم زخم ضاهى الآخرين إن لم يتفوق على الكثيرين منهم.

### الإشكالية الخامسة: الموقف من المرأة.

لعل مما لا يحتاج إلى كثير عناء أو عمق تفكير، الحديث أو الكتابة حول موقف الإخوان المسلمين، أو ما بات يعرف اليوم "بالحركة الإسلامية"، من المرأة. فرغم كثرة حديث الإخوان، عبر خطبهم ومواعظهم وفي أدبياتهم عن المرأة، وأنها نصف المجتمع، ومدرسة إذا أعددتها أعددت جيلاً طيب الأعراق، وأنها حفيضة أسماء وخولة والخنساء، إلا أن الموقف العام للجماعة يمتاز بالسلبية والإجحاف بحق المرأة. فما زالت الجماعة بقيادتها وأعضائها وحتى فكرها، تنظر بنوع من النقص (الدونية) تجاه المرأة، فمفاهيم القوامية "الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض....." سورة النساء آية 34، وقضية نصيب المرأة في الميراث "يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين....." النساء آية 11، وشهادة المرأة "..... فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل أحدهما فتذكر أحدهما الأخرى....." سورة البقرة آية 282، حيث شهادة امرأتين بشهادة رجل، هذه القضايا وغيرها مما يتعلق بالمرأة من مفاهيم إسلامية، ما زالت لا تأخذ حقها من الفهم الصحيح والمعالجة الموضوعية، واتخذت كذريعة لجملة من المواقف السلبية من المرأة.

<sup>78</sup> البرغوثي. الأسلمة السياسية في الأراضي الفلسطينية المحتلة، مصدر سبق ذكره. ص 14-16.

الفهم المجزوء، والخطأ أحيانا، لتلك المفاهيم، قاد إلى سلب المرأة للكثير من حقوقها، خاصة تلك الحقوق المرتبطة بممارسة أدوار مميزة وقيادية في المجتمع. ورغم أن المرأة عند الإخوان لعبت دورا في رعاية أسر المعتقلين وتأمين الاتصال بين السجناء إلا أن البناء لم يتح للأخوات المسلمات فرصة التطلع إلى المناصب الإدارية، لأنه يرى أن هذا لا يتفق مع طبيعة المرأة، لذلك لم تتول امرأة مركزا إداريا داخل تنظيم الإخوان المسلمين<sup>79</sup>. ويورد "أمنون كوهين" أن سكرتير فرع الإخوان في الخليل طلب من الحكومة الأردنية أن تمنع النساء من تقلد مناصب في الدولة<sup>80</sup>، وحصر دور المرأة في تربية الأطفال والعناية بالبيت، فحول هذا المفهوم المرأة إلى شيء جميل يقتنى في البيت ليزيده جمالا وبهاء وراحة، وفي هذه النظرة الشيعية للمرأة ظلم كبير، إلى درجة أن ما كان ولا يزال يناقش من قبل العديدين من فقهاء وقيادات العمل الإسلامي هو ما يسمح للمرأة بعمله ومزاولته، لا ما لا يسمح لها عمله ومزاولته، كأن الأصل فيما يرتبط بها هو التحريم والمنع والاستثناء هو الحل والجواز. ففي الأردن يؤكد "كوهين": أنه لا توجد أية إشارات في تقارير الحكومة الأردنية عن الضفة الغربية عن وجود حركة نسائية تابعة للإخوان إلا في منطقة طولكرم، ولا تتوفر عنها وعن نشاطاتها أية معلومات<sup>81</sup>.

هذه النظرة للمرأة ودورها، أدى إلى تقصير مذهل في الاهتمام بالمرأة وشؤونها، وعدم الاهتمام بإعدادها إعدادا سليما ومتخصصا، يمكنها من ممارسة دور مميز في المجتمع إلى جانب الرجل. وبدلا من تشجيعها وحثها على تطوير نفسها، شجعت على الاعتكاف في البيت وعدم الخروج منه، وإن حدث ذلك في بعض الأحيان، تم توجيهها إلى مهنة التدريس أو التمريض... إلخ من المهن التي يرون أنها تناسب طبيعة المرأة. لذا لم نر حتى اليوم من خرجت من صفوف الجماعة بتخصص ذي علاقة بالعمل المجتمعي عامة، والسياسي خاصة، فعمل المرأة في السياسة اعتبر من أشد "المحرمات"، ورغم أن العالم بشكل عام، والعالم الثالث بشكل خاص، لا يعطي المرأة حقها، إلا أن جماعة الإخوان تأخرت في هذا المجال حتى عن الحركات السياسية في العالم الثالث، فمؤسسات الجماعة الإدارية والتنظيمية والشورية، تكاد تخلو، إن لم تكن خالية تماما، من العنصر النسائي. ففي حين تمكنت الجبهة القومية السودانية أن

<sup>79</sup> يوسف، مصدر سبق ذكره. ص 212.

<sup>80</sup> كوهين، مصدر سبق ذكره. ص 252.

<sup>81</sup> المصدر السابق. ص 220.

تؤسس حركة نسائية منظمة ومستقلة، وتساهم في تنظيم وتوظيف القطاع النسوي في عمل اجتماعي شامل، نجد إخوان مصر والأردن وفلسطين لم يتمكنوا من ذلك، رغم القابلية الهائلة في تلك المجتمعات لذلك، ولم يزل خطاب الإخوان للمرأة ( لم يتعد حدود ما يجوز وما لا يجوز للمرأة أن تفعله<sup>82</sup> .

يشكك البعض في صحة تحليلنا السابق بالاستشهاد ببعض الحالات، لنساء من الإخوان خضن غمار العمل التنظيمي والسياسي الحزبي، مثل زينب الغزالي، لكن قلة هذه الأمثلة بل وندرتهما، هو بحمد ذاته رد على مثل هذا التشكيك (الاستثناء الذي يؤكد القاعدة). ويلاحظ أنه لا يكاد يظهر وجود يذكر للنساء في صفوف الإخوان وعملهم، ويرر الإخوان ذلك بأنهم يعدون المرأة عن عملهم ويفضلون أن تعمل من خلال الأطر العامة والرسمية لتجنبها مخاطر الاعتقال والتحقيق<sup>83</sup> . ويبدو هذا التبرير غير موضوعي، ولا يعبر عن حقيقة الأمر، لأن مخاطر الاعتقال والتحقيق لا توجد في كل الأماكن، ولا ترتبط بكل جوانب العمل، فها هي الجماعة في الأردن منذ نشأتها وحتى اليوم لم تتعرض للمخاطر، ولم يتعرض رجالها حتى للاعتقال والتحقيق، فلماذا لا نرى فيها كادرا نسويا إخوانيا؟ هذا إلى جانب أن فكرة حرمان المرأة من هذا النمط من الأعمال لتجنبها مخاطر الاعتقال والتحقيق بحاجة إلى نقاش أصلا.

لكن لا بد أيضا من لفت الانتباه إلى أن الإخوان أبدوا اهتماما جزئياً و "موجها" بالمرأة منذ البداية، فقد أسس البننا مدرسة أمهات المؤمنين، ووضع لها المناهج التي تهدف إلى تربية البنات على أدب الإسلام وتوجيهه، وأسس في 26 نيسان 1933م فرقة الأخوات المسلمات في الإسماعيلية، التي اعتبرت نواة تنظيم نسائي<sup>84</sup>، وعندما انتقل إلى القاهرة أسس هناك فرقة للأخوات، اختار هو رئيسة لها<sup>85</sup>، وقد أدى هذا الاهتمام، وفق الطريقة الإخوانية، إلى تغيير ملحوظ على وضع المرأة العربية، فيما يتعلق بالالتزام بالأحكام الشرعية وخاصة ارتداء الحجاب. وقد استطاع الإخوان أن يجندوا عددا كبيرا من السيدات في فرقة النساء إلا أن هذا النمو كان بطيئا مقارنة بالنمو السريع لتنظيم الرجال، ومرجع ذلك إلى عدم تقبل رجال الإخوان ومقاومتهم للنشاط النسائي، وهذا ينطبق على

<sup>82</sup> النفيسي، مصدر سبق ذكره. ص 256.

<sup>83</sup> غرايبة، مصدر سبق ذكره. ص 107.

<sup>84</sup> أبو طه، مصدر سبق ذكره. ص 52.

<sup>85</sup> يوسف، مصدر سبق ذكره. ص 221.

طلاب وطالبات الجامعات، وتفسير ذلك بسبب عجز الحركة النسائية الإسلامية عن جذب المتعلمات اللاتي رأين في الحركة عودة إلى عصر الحريم، أكثر منها طريقة لتحرير حقيقي للمرأة<sup>86</sup>.

ولأننا لن نعود لمناقشة الموضوع مرة أخرى فلا بد من التوضيح أن حركة (حماس) لم تحدث تغييراً جدياً في هذا الموقف، وسأكتفي بإيراد ما جاء في ميثاق (حماس) لندرك حجم المشكلة في هذا الأمر والخلل العميق في فهم دور المرأة في الحياة، فمما جاء في الميثاق في المادة السابعة عشرة:

"للمرأة المسلمة في معركة التحرير دور لا يقل عن دور الرجل فهي مصنع الرجال، ودورها في توجيه الأجيال وتربيتها دور كبير، وقد أدرك الأعداء دورها وينظرون إليها على أنه إن أمكنهم توجيهها وتنشئتها نشأة التي يريدون بعيداً عن الإسلام فقد ربحوا المعركة، ولذلك تجدهم يعطون محاولاتهم جهداً متواصلًا من خلال الإعلام والأفلام، ومناهج التربية والتعليم بوساطة صنائعهم المندمجين في منظمات صهيونية تتخذ أسماءً وأشكالاً متعددة كالماسونية، ونوادي الروتاري، وفرق التحسس وغير ذلك، وكلها أوكار للهدم والهدامين، وتتوفر لتلك المنظمات الصهيونية إمكانات مادية هائلة، تمكنها من لعب دورها وسط المجتمعات، بغية تحقيق المنظمات عملها في غيبة الإسلام عن الساحة، وغربته بين أهله. وعلى الإسلاميين أن يؤديوا دورهم في مواجهة مخططات أولئك الهدامين، ويوم يملك الإسلام توجيه الحياة يقضي على تلك المنظمات المعادية للإنسانية والإسلام.

وفي المادة الثامنة عشرة: والمرأة في البيت المجاهد والأسرة المجاهدة أمًا كانت أو أختًا لها الدور الأهم في رعاية البيت وتنشئة الأطفال على المفاهيم والقيم الأخلاقية المستمدة من الإسلام، وتربية أبنائها على تأدية الفرائض الدينية استعداداً للدور الجهادي الذي ينتظرهم، ومن هنا لا بد من العناية بالمدارس والمناهج التي تربى عليها البنت المسلمة، لتكون أمًا صالحة واعية لدورها في معركة التحرير.

ولا بد لها من أن تكون على قدر كافٍ من الوعي والإدراك في تدبير الأمور المنزلية، فالاقتصاد والبعد عن الإسراف في نفقات الأسرة من متطلبات القدرة على مواصلة السير في الظروف الصعبة المحيطة، وليكن نصب عينيهما أن النقود المتوافرة عبارة عن دم يجب ألا يجري إلا في العروق لاستمرار الحياة في الصغار والكبار على حد سواء<sup>87</sup>.

<sup>86</sup> يوسف، مصدر سبق ذكره. ص 211.

## الفصل الثاني

### الجذور التاريخية لحركة (حماس): الإخوان المسلمون في فلسطين

حركة المقاومة الإسلامية (حماس) التي انطلقت إلى حيز الوجود في كانون أول عام 1987م، وصدر أول بيان رسمي لها بتاريخ 14\12\1987م<sup>88</sup>، خرجت من رحم جماعة الإخوان المسلمين، فالمادة الثانية لميثاق الحركة ينص على أن "حركة المقاومة الإسلامية جناح من أجنحة الإخوان المسلمين بفلسطين. وحركة الإخوان المسلمين تنظيم علمي، وهي كبرى الحركات الإسلامية في العصر الحديث، وتمتاز بالفهم العميق، والتصور الدقيق والشمولية التامة لكل المفاهيم الإسلامية في شتى مجالات الحياة، في التصور والاعتقاد، في السياسة والاقتصاد، في التربية والاجتماع، في القضاء والحكم، في الدعوة والتعليم، في الفن والإعلام، في الغيب والشهادة وفي باقي مجالات الحياة"<sup>89</sup>، لذلك وحتى تكون الصورة مكتملة، وحتى نيسر عملية الفهم لنشأة وبنية هذه الحركة فإننا سنتطرق وبإيجاز لنشأة وتطور جماعة الإخوان في فلسطين، وفي بيان صدر بتاريخ 6\5\1988م وقع باسم حركة المقاومة الإسلامية (حماس) ذكر أن الحركة هي "الذراع القوية للإخوان المسلمين"<sup>90</sup>.

فقد مرت حركة الإخوان المسلمين في فلسطين بثلاث مراحل رئيسية، الأولى: ما قبل عام 1948م وهي مرحلة العمل في دائرة موحدة في فلسطين كقطر، والثانية: 1948 - 1967م وهي مرحلة "الانقسام الإجباري"، حيث انقسمت الجماعة إلى قسمين أحدهما في غزة تحت الحكم المصري والآخر في الضفة الغربية تحت الحكم الأردني، والثالثة: 1967 وحتى يومنا هذا، حيث أعيد توحيد التنظيم بين غزة والضفة الغربية.

<sup>87</sup> ميثاق حماس، المادة (17).

<sup>88</sup> ميثاق حماس.

<sup>89</sup> نفس المصدر.

<sup>90</sup> البرغوثي، إيداء. الأسلمة والسياسة. مصدر سبق ذكره. ص77.

## المرحلة الأولى: الإخوان المسلمون في فلسطين ما قبل عام (1948م)

وجد الامام البنا في دعم شعب فلسطين في مقاومة الاحتلال البريطاني ومناهضة الحركة الصهيونية وأهدافها مدخلاً ملائماً إلى قضية فلسطين<sup>91</sup>، فأرسل عدداً من رجاله إلى فلسطين ضمن بعثة إلى عدد من الأقطار العربية (فلسطين، سوريا، لبنان)، وقد وصلوا إلى القدس عام 1935م، وهناك قابلوا سماحة المفتي رئيس المجلس الإسلامي الحاج أمين الحسيني، الذي عين لاحقاً بمبادرة من مركز الإخوان في مصر قائداً محلياً فخرياً للإخوان في فلسطين وممثلاً رسمياً للبنات.<sup>92</sup>

غير أن الإعلان عن نشأة الجماعة في فلسطين رسمياً كان عام 1946م، وقد بثت إذاعة فلسطين حفل الافتتاح لمقر الإخوان في القدس، والذي حضره حشد كبير يقدر بألفي شخص، وكان ضيف الشرف الحبيب بورقيبة الذي كان حينها أحد قادة حركة التحرر والنضال ضد الاستعمار الفرنسي في تونس، وقد افتتحت الجماعة لاحقاً أكثر من عشرين شعبة في المدن الفلسطينية، مثل يافا، غزة، الرملة، اللد، نابلس، خان يونس، بئر السبع، الناصرة، عكا وغيرها، تراوحت العضوية فيها، وفقاً لبعض المصادر، ما بين 12-20 ألفاً من الأعضاء الناشطين<sup>93</sup>.

كما وفر وجود المتطوعين من الإخوان خلال حرب 1948م وكذلك عناصر الإخوان "ضباط وجنود" في صفوف الجيش المصري النظامي، الاحتكاك بين الإخوان والفلسطينيين وخاصة منطقة غزة، حيث لجأ بعض الفلسطينيين، كما في خان يونس، إلى الإخوان لتنظيم وتجنيد وتدريب أبنائهم، كما كانت مستشفيات غزة التي توفر لجرحي الإخوان العلاج توفر أيضاً فرصاً إضافية للاتصال بالسكان المحليين، وقد ساعدت الشعبية التي تمتعوا بها بسبب الحرب في إقبال الشباب عليهم<sup>94</sup>.

<sup>91</sup> غرايبة، مصدر سبق ذكره. ص53.

<sup>92</sup> و العبيدي، مصدر سبق ذكره. ص13. ; البرغوثي، الاسلامة والسياسة. مصدر سبق ذكره. ص9. ; أبو عمرو. أصول الحركات. مصدر سبق ذكره. ص63.

<sup>93</sup> غرايبة، مصدر سبق ذكره. ص53 ; العبيدي، مصدر سبق ذكره. ص48.

<sup>94</sup> أبو عمرو، أصول الحركات، مصدر سبق ذكره. ص65-67.

لكن تنظيم الإخوان في فلسطين، وإن افتتحت له فروع في مختلف المدن وكثير من القرى الفلسطينية، بقي جزءاً يفتقر إلى الوحدة التنظيمية من ناحية، ويفتقر إلى الاستقلالية من ناحية أخرى. فكان تنظيمًا عائمًا بشكل تجمع إسلامي اقتصرت مهمته على تأييد فكر الإخوان المسلمين في مصر، بالرغم من أنه حقق نجاحاً لا يستهان به في تجنيد أعضاء جدد ومؤيدين للإخوان، ولعل ذلك عائد إلى عدم وجود قيادات بارزة تقود وتوحد العمل التنظيمي على مستوى القطر، مما جعل الشعب الإخوانية تابعة مباشر إلى الجماعة الأم، التي ساهم قربها من فلسطين في ترسيخ هذه التبعية<sup>95</sup>، أي أن التنظيم خلال هذه الفترة كان هلامياً، غير متماسك وغير واضح المعالم.

### المرحلة الثانية: الإخوان المسلمون في الضفة والقطاع (1948-1967م)

انقسم الإخوان بعد حرب عام 1948م إلى تنظيمين منفصلين، الأول في قطاع غزة تحت الإدارة المصرية، والثاني في الضفة الغربية التي أصبحت تحت الحكم الهاشمي الأردني، والتي ضمت في آذار 1950م رسمياً وعملياً إليه<sup>96</sup>. وقد كان لهذا الانقسام أثر كبير على طبيعة وبنية وفكر وسلوك كل واحد من هذين التنظيمين، فتتظيم الإخوان الغزي أصبح تابعاً إلى التنظيم الأم في مصر، في حين أصبح تنظيم الضفة الغربية جزءاً مما بات يعرف بحركة الإخوان المسلمين في الأردن.

ففي حالات الوتام السياسي في مصر تمتع الإخوان في غزة بحرية العمل، فبعد نجاح ثورة 23 يوليو 1952، التي اعتبر البعض الإخوان فيها "حزب السلطة"، بدأت بعثة دينية رسمية هي "بعثة الوعظ والإرشاد" تأتي إلى قطاع غزة من مصر، وكان ينتقى لهذه البعثة عناصر من قيادة إخوان مصر، وقد كان على رأس أول بعثة الشيخ محمد الغزالي<sup>97</sup>، كما فتحت أبواب الجامعات المصرية بعد الثورة على مصراعيها لطلبة غزة مما ساعد على الالتقاء بإخوان مصر<sup>98</sup>. كما تولى الإخوان في غزة مهمة توزيع المساعدات العينية حيث عرفت "بقطار الرحمة" التي جمعتها

<sup>95</sup> البرغوثي، الأسلمة والسياسة، مصدر سبق ذكره. ص13.

<sup>96</sup> غرايبة، مصدر سبق ذكره. ص53؛ العبيدي، مصدر سبق ذكره. ص48؛ كوهين، مصدر سبق ذكره. ص203؛ أبو طه، مصدر سبق ذكره. ص78.

<sup>97</sup> أبو عمرو، أصول الحركات، مصدر سبق ذكره. ص69.

<sup>98</sup> المصدر السابق. ص70.



الحكومة المصرية بعد الثورة لمساعدة سكان القطاع، مما أتاح لهم فرصة الاتصال بالناس وكسب ولائهم<sup>99</sup>، وساعدهم على استقطاب أعداد كبيرة من الأعضاء والمؤيدين فتحوّلت غزة إلى بؤرة لعمل الإخوان بأشكاله المختلفة.

وفي المقابل تعرض التنظيم في غزة إلى كل ما تعرض له التنظيم المصري من اضطهاد وقمع على يد الحكومات المصرية، سيما في ظل حكم عبد الناصر<sup>100</sup>، فعندما ضرب الإخوان عام 1949م، اضطرت شعب الإخوان في غزة إلى إغلاق أبوابها وقامت قيادة التنظيم بتشكيل إطار علني بديل هو "جمعية التوحيد"، التي اتخذها الإخوان واجهة لنشاطاتهم السرية، وكان يرأسها طاهر الشوا، وقد انحصرت نشاطاتهم العلني في إطار هذه الجمعية في المجالات الثقافية والدعوة لفكرة الإخوان خاصة في أوساط الطلاب<sup>101</sup>. وعندما حظرت تنظيم الإخوان في مصر على يد عبد الناصر عام 1954 إثر الادعاء بمحاولة الإخوان اغتياله، سرى هذا الحظر على الإخوان في قطاع غزة، وقد أسهم العداء بين عبد الناصر والإخوان في إضعاف الإخوان على الصعيدين المحلي والخارجي<sup>102</sup>، لكنه لم يقض على نشاطهم الحزبي.

فرغم ذلك مثلت فترة الحظر أيضاً صعوداً في العمل السياسي والحزبي لدى الإخوان وغيرهم من القوى السياسية في غزة خاصة الشيوعيين، وقد أخذت النشاطات السياسية في ظل الحظر تتبلور على شكل عمل نقابي، فسعى الإخوان والشيوعيون إلى إقامة نقابة للمدرسين في وكالة غوث وتشغيل اللاجئين "UNARWA"، وقد كان غالبية مؤسسي النقابة من الإخوان، فقد كان 7 من 9 أعضاء إخوان والباقي شيوعيون<sup>103</sup>، وقد تحالف الإخوان والشيوعيون في غزة، فيما اعتبر من أهم الإنجازات السياسية والوطنية لهما وللحركة الوطنية الفلسطينية في منتصف الخمسينيات، في إفشال "مشروع سيناء للتوطين" عام 1953 الذي تم توقيعه بين الحكومة المصرية ووكالة

---

<sup>99</sup> أبو عمرو، أصول الحركات، مصدر سبق ذكره. ص70؛ البرغوثي، الأسلمة والسياسة، مصدر سبق ذكره. ص15.

<sup>100</sup> البرغوثي، مصدر سبق ذكره. ص14.

<sup>101</sup> أبو عمرو، أصول الحركات، مصدر سبق ذكره. ص68.

<sup>102</sup> المصدر السابق. ص62-63.

<sup>103</sup> أبو عمرو، أصول الحركات، مصدر سبق ذكره. ص75-76.

الغوث، القاضي بتوطين ما بين 50-60 ألف لاجئ في شمال غرب سيناء وتوصيل مياه النيل إليهم<sup>104</sup>، وفي عام 1956م وقفوا مع الشيوعيين أيضاً ضد مشروع "الستر بيرسون" وزير الدولة الكندي للشؤون الخارجية في تلك الفترة والقاضي بتدويل القطاع<sup>105</sup>، وقد شكل الإخوان والبعثيون ما عرف بـ "جبهة المقاومة الشعبية"، التي آمنت بالكفاح المسلح ضد الاحتلال الإسرائيلي عام 1956م<sup>106</sup>، كما سجلت حركة الإخوان في القطاع حضوراً عند كل المفترقات السياسية التي مرت بها المنطقة في الفترة ما بين 1954-1967م<sup>107</sup>.

وقد دفع حظر التنظيم في مصر وغزة عام 1954م باتجاه العمل السري لجماعة الإخوان في القطاع، وشكل هذا تبديلاً كبيراً في وضعهم فتحولوا من "حزب السلطة" إلى حزب محظور، مما دفع بعدد كبير من القيادات إلى السفر إلى الخليج، مثل فتحي بلعوي وسليم الزعنون وغيرهم<sup>108</sup>، ولعل هذا الوضع الناجم عن الحظر قد فرض على الإخوان في غزة العمل السري، مما ساعدهم لاحقاً على تأسيس عمل مقاوم للاحتلال الإسرائيلي توج بإعلان قيام حركة المقاومة الإسلامية (حماس).

العلاقة المتينة التي ربطت إخوان غزة مع تنظيم مصر جعلت الإخوان في غزة يتأثرون بطبيعة التحالفات السياسية التي قام بها إخوان مصر، حيث إن السجون التي جمعت بين الشيوعيين والإخوان في أكثر من مرة، وأدت إلى بداية التعاون وانتهاء حالة العداء بينهم التي كانت تصل إلى حد الاشتباك في الشارع المصري وفي الجامعات. هذا في ظل قطيعة بين الإخوان والشيوعيين في الضفتين وغياب المواقف السياسية الحقيقية<sup>109</sup>.

أما إخوان الضفة الغربية، والذين توحدوا مع إخوان الأردن، الذين أنشئت جماعتهم، وفق ما يذكر النظام العام، في 19/11/1945، وحصلت على الترخيص الرسمي من مجلس الوزراء عام 1946م، وحظيت بتأييد واحتضان بل وبإعجاب الملك عبد الله بن الحسين<sup>110</sup>، خاصة بعد إعلان وحدة الضفتين، فقد أصبحوا جزءاً من

<sup>104</sup> المصدر السابق. ص 67.

<sup>105</sup> البرغوثي، الأسلامة والسياسة، مصدر سبق ذكره. ص 16.

<sup>106</sup> أبو عمرو، أصول الحركات، مصدر سبق ذكره. ص 76-77.

<sup>107</sup> البرغوثي، الأسلامة والسياسة، مصدر سبق ذكره. ص 17.

<sup>108</sup> أبو عمرو، أصول الحركات، مصدر سبق ذكره. ص 73.

<sup>109</sup> العسال، مصدر سبق ذكره. ص 11؛ أبو طه، مصدر سبق ذكره. ص 170.

<sup>110</sup> غراية، مصدر سبق ذكره. ص 12 - 33، 47 - 51؛ العبيد، مصدر سبق ذكره. ص 34-37.

حركة الإخوان المسلمين في الأردن، بكل ما يعنيه ذلك من وحدة البرنامج، والمواقف والممارسة<sup>111</sup>. وقد بدأت مرحلة جديدة من التفاعلات الاجتماعية والتنظيمية داخل الجماعة، حيث انتساب عدد كبير من الشبان وأبناء الطبقة الوسطى إلى الجماعة، إضافة إلى تأثرهم بالجماعة الأم في مصر، فبدأت تتحول من هيئة نفع عام، وجمعية إسلامية للدعوة والإصلاح يقوم عليها التجار والمحسنون وذوو الهيئات إلى جماعة سياسية ذات برنامج إصلاح اجتماعي وعام<sup>112</sup>.

ولعوامل عدة، من أهمها، ما حظي به إخوان الأردن والضفة الغربية من احتضان وعلاقة خاصة مع النظام الهاشمي، وما نجم عن هذه العلاقة من شعور بالأمن وعدم الحاجة للسرية والتنظيم، فقد أصيبت الجماعة بالضعف العام. ومما يدل على ضعف البنية التنظيمية وعدم تماسك البنية الداخلية لإخوان الضفة، أنهم لم يستطيعوا جمع الاشتراكات الشهرية بشكل دائم ولم يطبقوا نظام القسم مع الأعضاء، فقد كانت الجماعة حركة غير متشكلة، كما وصفها آمنون كوهين، حركة عضويتها سريعة التذبذب وفقاً للأحداث السياسية والتميز بين عضو الحركة والمتعاطف معها لم يكن واضحاً<sup>113</sup>، وهذا أدى إلى ضعف في العديد من الفروع، كما هو الحال في جنين حيث فشل الفرع هناك بعد تأسيسه عام 1954م.

وتميز تنظيم إخوان الضفة الغربية بقلة المهنيين وطغيان عدد التجار والملاكين، على العكس من نظرائهم المصريين والغزيين، أما الموظفون، والذين استمد إخوان مصر وغزة معظم أفرادهم من بينهم، فلم يشكلوا إلا قطاعاً صغيراً من إخوان الضفة الغربية، وقد يكون ذلك عائداً إلى طبيعة الأردن في حينه والذي عانى من ضعف في القطاع العام الوظيفي، وكذلك الأمر بالنسبة للعمال الذين وجدوا أنفسهم منجذبين إلى الأحزاب اليسارية الراديكالية<sup>114</sup>.

ومع أن إخوان الضفة اعتبروا جزءاً من إخوان الأردن بعد عام 1948م، إلا أن علاقة النظام الهاشمي بهم كان يشوبها الريبة وعدم الثقة، خاصة وأن الوجه الفلسطيني للجماعة استمر بارزاً ومهيماً على قيادة الحركة، وذلك لأسباب عدة منها: الخلاف الجوهري بين توجه الدولة الأردنية الموالي للغرب وتوجههم المعادي للغرب والاستعمار،

<sup>111</sup> البرغوثي، الأسلمة والسياسية، مصدر سبق ذكره. ص2.

<sup>112</sup> غراية، مصدر سبق ذكره. ص61.

<sup>113</sup> كوهين، مصدر سبق ذكره. ص223-224.

<sup>114</sup> كوهين، مصدر سبق ذكره. ص230-231.

إضافة إلى علاقتهم بالحاج أمين الحسيني المكروه للهاشميين، وأيضاً انتساب إخوان الضفة تاريخياً إلى إخوان مصر أصحاب النشاط السياسي التاريخي، وقد اعتاد إخوان الضفة على توجيه النقد للنظام الأردني بين الفينة والأخرى خاصة عندما ينحرف عن قيم الإسلام<sup>115</sup>.

روح المقاومة التي تحدثنا عنها لدى الإخوان في غزة غابت تماماً عن إخوان الضفة، فلم يسجل أي محاولات أو نشاطات لهم ضد الاحتلال ولم يكن لديهم قسم على الجهاد لتحقيق أهداف الحركة للعضو كما هو الحال عند إخوان مصر<sup>116</sup>. ونشاطات الإخوان في الضفة قبل عام 1967م، وإن لم تخل من هجوم عام على الاستعمار الأمريكي والإسرائيلي والبريطاني وبعض التدريب على الأسلحة فيما عرف بالكشافة "وهو نشاط حظي برقابة شديدة من الحكومة"، وتمويل بعض التحصينات في القدس وعدد من قرى الضفة، إلا أنها خلت من التعبئة المقاومة والتحريرية وتركزت في القضايا الاجتماعية ونشر الفكر والدعوة<sup>117</sup>. كما تأثر إخوان الضفة الغربية بإخوان الأردن في موضوعة علاقاتهم السياسية، فالقطيعة السياسية والمهجوم الدائم، والاهتمام بكل ما هو مسيء، كان هو السائد بين الإخوان والقوى السياسية الأخرى من شيوعيين وقوميين وبعثيين، خاصة أنهم اهتموا من قبل هؤلاء بالرجعية والعمالة وغيرهما، مما عزز روح الخصومة والعداء.

مما سبق تتضح لنا الفروق الكبيرة بين تنظيم الإخوان المسلمين في كل من غزة والضفة الغربية، فتتنظيم الإخوان في غزة كان أكثر براغماتية وتقبلاً للآخرين، كما أنه كان أكثر تنظيمياً ودقة وسرية، وسادت فيه الرغبة في المقاومة والمشاركة السياسية، أما تنظيم الضفة الغربية، فقد تميز بأنه أقل تسيساً، وأقل نشاطاً وأقل استعمالاً للعنف، يفتقر إلى التنظيم السري الدقيق، أكثر عداءً للآخر، كذلك فهو أقل تنظيمياً ومركزيةً وترابطاً<sup>118</sup>.

<sup>115</sup> كوهين، مصدر سبق ذكره. ص 207-209.

<sup>116</sup> كوهين، مصدر سبق ذكره. ص 222.

<sup>117</sup> المصدر السابق. ص 232 - 234، 245.

<sup>118</sup> البرغوثي، الأسلمة والسياسية، مصدر سبق ذكره. ص 26؛ كوهين، مصدر سبق ذكره. ص 222.

## المرحلة الثالثة: الإخوان المسلمون في الضفة والقطاع (1967-1987م)

بعد حرب حزيران 1967م واحتلال "إسرائيل" لكل من الضفة الغربية وقطاع غزة أصبح الإخوان في الضفة والقطاع والأردن تحت لواء تنظيم إخواني فلسطيني أردني موحد يخضع لقيادة واحدة ويطلق عليه (الإخوان المسلمون في الأردن وفلسطين). وبذلك انتقلت العلاقة التنظيمية لإخوان القطاع إلى الأردن بدلاً من مصر<sup>119</sup>، ويبدو في ذلك جزءاً من تفسير الغياب الطويل للمقاومة والتعبئة باتجاه الكفاح المسلح عند الإخوان المسلمين في فلسطين بعد عام 1967م.

ومنذ ذلك العام بدأ الإخوان في تأسيس آليات نشر أفكارهم وزيادة نفوذهم؛ فقاموا بإنشاء الجمعيات الخيرية الإسلامية، التي تشرف على المدارس ورياض الأطفال وكذلك النوادي.. إلخ، وبدأ هذا النشاط بالبروز بشكل واضح بعد عام 1973م فأسسوا الجمعيات الخيرية في كل من الخليل ونابلس وجنين والقدس وغزة<sup>120</sup>، ويكتسب تأسيس "المجمع الإسلامي"<sup>121</sup> في غزة أهمية خاصة كواجهة علنية لجماعة الإخوان، فقد وفر شكلاً من أشكال الحماية لنشاطهم، وعبر عن بداية مرحلة جديدة من العمل، حيث النشاط الجماهيري المكثف، فالمساجد والجامعات والمدارس أصبحت ميداناً لنشاط الإخوان<sup>122</sup>.

هذه المؤسسات قدمت أشكالاً مختلفة من المساعدات للجمهور الفلسطيني كان لها تأثيرها على ظاهرة التدين أو ما أسماه البعض الأسلمة والإسلام السياسي<sup>123</sup>، وقد ذهب البعض إلى حد المبالغة في تأثيرها إلى درجة اعتبار البعض أن المساعدات المادية التي قدمت من مؤسسات الإخوان، خاصة في ظل انتشار الفقر والبطالة، كانت العامل الأبرز في زيادة نفوذ الإخوان و(حماس) لاحقاً، ويبدو في هذا الرأي إشكال من نواح عدة:

<sup>119</sup> أبو عمرو، الحركة الإسلامية في الضفة والقطاع، مصدر سبق ذكره. ص28.

<sup>120</sup> المصدر السابق. ص32.

<sup>121</sup> - المجمع الإسلامي هو جمعية إهلية تأسس في غزة في أواخر سبعينيات القرن الماضي، وكان يرئسها الشيخ أحمد ياسين وكانت حتى انطلاقة حركة حماس بوتقة العمل الإخواني في فلسطين.

<sup>122</sup> المصدر السابق. ص33.

<sup>123</sup> البرغوثي، الأسلمة والسياسية، مصدر سبق ذكره.

**الناحية الأولى:** أن الإسلام والقيم الإيمانية أقل انتشاراً في أوساط الفقراء، واعتبر الفقر من قبل الفقهاء مدخلاً للكفر وليس للإيمان ويقول عز وجل "الشیطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً" البقرة 268. وقول الرسول عليه السلام "كاد الفقر يكون كفراً". ومن أقوال السلف "إذا ذهب الفقر إلى بلد قال له الكفر خذني معك" وقالوا أكفر الناس ذو فاقة لا صبر له"، وأبو حنيفة يقول: "لا تستشر من ليس في بيته دقيق! إذ كيف يكون للرجل رأي مصيب وفكره مشغول بمسألة قوته"<sup>124</sup>. مما سبق يتضح أنه من غير المنطقي أن يتجه الإخوان ويركزوا في دعوتهم على الفقراء وهم الأعمى من غيرهم بهذه العلاقة بين الفقر والكفر وعدم ملائمة الفقراء كي يكونوا أهل رأي. كما أن استطلاعات الرأي توضح أن أنصار (حماس) هم من شرائح اقتصادية مختلفة<sup>125</sup>، وأن أوائل الإخوان كانوا من التجار وأصحاب المهن. مع أنه قد يكون مبرراً الاهتمام بالشرائح الفقيرة في إطار قيم دينية ووطنية أخرى "تدعيم صمود وبر وتقوى".

**الناحية الثانية:** أن معايير الفقر متفاوتة والمجتمع الفلسطيني في سمته العام مجتمعاً فقيراً، والفوارق الاقتصادية بين "الطبقات" أو شرائح المجتمع ضئيلة، ومعظم الشعب الفلسطيني كان ولا يزال ينتسب إلى ما يمكن تسميته بالطبقة الوسطى، وأبناء الحركة يتوزعون الآن على الفئات الاقتصادية بنسب تكاد تتشابه مع عامة الشعب الفلسطيني.

وفي استطلاع للرأي أجري على المعتقلين الإداريين المؤيدين لحركة (حماس) في سجن النقب الصحراوي عام 2005م تبين أن 58% ممن تلقوا مساعدات من مؤسسات تابعة أو تدار من قبل إسلاميين كانوا قد تلقوا مساعدات هامشية أو قليلة. و 29% منهم تلقوا مساعدات متوسطة. وأن 91% منهم قد تلقى هذه المساعدة بشكل مؤقت أو لمرة واحدة وغالبية هؤلاء 53% هم من الطلاب، علماً بأن 54% لم يتلقَ مطلقاً أية مساعدات مالية أو مادية. والأهم من ذلك أن 84% ممن تلقوا مساعدات أكدوا بأنها لم تؤثر على توجههم الديني أو تأييدهم

<sup>124</sup> هويد، فهمي. القرآن والسلطان. دار الشروق: القاهرة، ط2، 1999م، ص172.

<sup>125</sup> البرغوثي، إباد. الإسلام السياسي في فلسطين. ما وراء السياسة. مركز القدس للاعلام والاتصال: القدس، 2000م، ص58 – 59.

للتيار الإسلامي مع أن مؤيدي أو أعضاء (حماس) يعتقدون وبنسبة 52% أن المساعدات تؤثر على التوجه الديني والسياسي للمواطنين<sup>126</sup>.

**الناحية الثالثة:** المعونات المالية والمساعدات المادية التي قدمت وما زالت، تقدم للفقراء والشرائح الضعيفة في الشعب الفلسطيني لم تكن يوماً حكراً على الإسلاميين، وإمكانيات الإسلاميين المادية والمالية لم تكن يوماً تعادل إمكانيات غيرهم من القوى السياسية، فلا يخفى على أحد حجم الدعم والمساعدات التي كانت تتلقاها م.ت.ف من جهات مختلفة وبشكل رسمي وغير رسمي إلى درجة أن البعض اعتقد أن ميزانية م.ت.ف فاقت ميزانية بعض الدول العربية. وفي مراحل مختلفة، وبغض النظر عن شكلها وحجمها وطبيعتها، قدمت مساعدات من قبل الفصائل المختلفة والمنظمة وقد تكون فاقت في كثير من الأحيان ما قدمه الإسلاميون، لكن نظافة يد الإسلاميين التي يعتقد بها الناس هي التي أبرزت الفارق وتركت أثراً.

لذا فاعتقد أن موضوع الانتشار والتأييد مرتبط بعوامل عدة أحدها، وليس مركزياً فيها هو الدعم المادي، فالبرامج والمبادئ والمشاريع القيمية والثقافية والسياسية... إلخ من القضايا التي كانت وما زالت وستبقى حاضرة باستمرار؛ وهي المؤثر الحقيقي على توجهات الناس وميولهم وانتماءاتهم.

هذه الأمور التي تبلورت بشكل أفضل في عقدي السبعينيات والثمانينيات وأدت إلى زيادة ملحوظة في شعبية ونشاط وحضور الإخوان وقد اعتبر الإخوان هذه المرحلة مرحلة الإعداد، وبذلوا فيها كل جهد مستطاع لنشر فكرهم ومبادئهم ومواقفهم، وحاولوا تطبيق هذه المبادئ عملياً عبر مؤسسات ونشاطات عدة، هدفت إلى صياغة جيل، بل مجتمع، مؤمن بضرورة تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، والالتزام بالمبادئ والقيم الإسلامية في كافة نواحي الحياة، فالإسلام هو الحكم في الشؤون السياسية والاجتماعية والاقتصادية... إلخ. والمدقق في تطور المجتمع الفلسطيني خلال هذه المرحلة، يلحظ تغيراً حقيقياً حدث نتاج هذه الجهد الإخواني، فالتدين، بكل ما يعنيه من ترسيخ للقيم، وما يرافقه من مظاهر، كارتياح المساجد وإطلاق اللحي ولبس النساء الزي الشرعي.... إلخ من المظاهر المعبرة عن الالتزام بفكر ومبادئ الإسلام، والتي تشكل فكراً ومبادئ للإخوان، كل ذلك بدا واضحاً وجلياً.

<sup>126</sup> استطلاع رأي أجراه الباحث في سجن النقب بتاريخ 2004/7/4م.

لكن المآخذ الجدي والحقيقي على هذه المرحلة إنما ركزت على جوانب محددة، وأهملت جوانب مهمة جداً وضرورية لبناء متكامل وملائم لواقع وطبيعة البلد الذي يعيشون فيه (فلسطين).

## انطلاقة حماس (1987م)

المستعرض لتطور وجود الإخوان في فلسطين، ومواقفهم من قضايا عديدة، سيما الوطنية منها والمتعلقة بالصراع مع الاحتلال، والمدقق في ميادين اهتمامهم وطبيعة إعداتهم وتوجيههم لعناصرهم وحتى طبيعة المؤسسات التي اهتموا بها وأسسوها يلحظ أن انطلاقة (حماس) جاءت لتشكّل مفصلاً تاريخياً هاماً في مسيرة الإخوان، بل وشكلت "تمرداً" على واقعهم ومنهجهم ومواقفهم.

ظهرت حركة (حماس) كحالة نوعية ومتطورة من الإخوان، حالة كسرت واقع الجمود والاعتزال، تحت شعارات عامة وفضفاضة، وخاضت معترك العمل الوطني والمقاوم معتمدة على جيل متمرد على كل واقع فيه معنى للتراخي واللامبالاة أو الجمود، جيل متمرد على الواقع الوطني العام الذي ظهرت فيه ملامح الاثيار والإعياء حلية، فكثرت الحديث عن الحلول السلمية "والواقعية"، وبدت فيه الفصائل الفلسطينية والحكومات العربية في أشد حالات العجز. ومتمرداً أيضاً على واقع داخلي خلا من تصورات محددة ودقيقة لمعالم الحاضر أو المستقبل وغابت فيه الرؤى المرحلية والإستراتيجية واستنفذت فيه الشعارات العامة أهدافها زماناً ومكاناً.

لذا فللشيخ أحمد ياسين "رحمه الله" ورفاقه المؤسسين فضل كبير، يقدره من يعلم حجم الفارق بين ما كان وما أصبح عليه الحال فكرياً وتنظيمياً وجاهيرياً وأداءً وتميزاً ومصداقية عند الإخوان عامة، وعند إخوان فلسطين خاصة، فبقرارهم تشكيل (حماس) أخرجوا الإخوان من الضبابية إلى الوضوح، ومن "السلبية" إلى الإيجابية، ومن التعميم إلى التخصص، ومن الطوباوية إلى البراغماتية، ومن الهلامية إلى التشكل والتطور. أصبحت (حماس) محل تقدير ومادة تنظير بعد أن كانت حركة الإخوان المسلمين في فلسطين محل انتقاد وفي موضع الدفاع عن النفس. وهنا نحن لا نتجن على الإخوان فحركة الإخوان تبقى الأم والأصل، لكنه توصيف وتشخيص لواقع، وقراءة لمراحل محددة من التاريخ كما هي دون انحياز أو تبرير.



لن نتعرض بالتفصيل إلى العوامل المختلفة التي قادت إلى تأسيس وانطلاق حركة (حماس) ، إذ تعرض لها الكثير من الكتاب الذين كتبوا حول الحركة، واجتهدوا في حشد عدد من العوامل الذاتية والموضوعية محلية وإقليمية<sup>127</sup>، كتراجع قوى فلسطينية مختلفة وم ت ف والوضع العربي العاجز وانطلاق حركة الجهاد الإسلامي والثورة الإيرانية... إلخ، ولكن ما أرغب في التأكيد عليه وإبراز أهميته هنا هو العامل الذاتي والتطور الداخلي في بنية الإخوان التي قادت إلى تأسيس (حماس)، فقد تبلور لدى الإخوان تيار شبابي "من مواليد النكسة" متأثراً إلى حد كبير بالواقع، سيما قيادات وطلبة الكتل الإسلامية في الجامعات الفلسطينية المختلفة، تيار أصر على أن يكون له دور بين أقرانه في التيارات الوطنية المختلفة وأن يخرج من حالة "الحياد السليبي" أو المقاومة السلبية" المتمثلة في دعم الصمود والإعداد... إلخ، هذا التيار انتصر أخيراً ودفع باتجاه تأسيس حركة (حماس). والمدقق في هذا الجيل يرى أنه من شرائح اقتصادية وعلمية مغايرة عن مؤسسي الإخوان؛ فهم أطباء ومهندسون وتربوون "الطبقة الوسطى" وقلّة منهم تجار أو ملاك.

الإعلان عن تأسيس (حماس) شكل نقلة نوعية للإخوان المسلمين في نواحي عدة كالانتشار الجماهيري والنظرة للفكر الإسلامي، والنظرة للتدين، وللجلباب، والمرأة الملتزمة وغيرها من قضايا التفاعل والاندماج مع المجتمع بشرائحه المختلفة.

فقد كان واضحاً أن غياب الإسلاميين عن ميدان المقاومة، قد أثر على شعبيتهم، لصالح الحركات القومية واليسارية، لفترة طويلة من الزمن. وقد ترك هذا الغياب أبرز الأثر على طبيعة الشرائح الاجتماعية والمهنية والعمرية التي انتسبت لهذه الجماعة أو أيديهما. ففي الفترة التي سبقت التوجهات العلنية للإسلاميين نحو المقاومة والعمل السياسي المباشر ، والذي توج بتأسيس حركة (حماس)، كان أنصار الحركة الإسلامية يبنثقون من الشرائح الاجتماعية التي تميل إلى الاستقرار، وتبتعد عن كل ما قد يجلب عليها المتاعب، كالتجار وأصحاب المشاريع الخاصة والفلاحين البسطاء، وغابت الشرائح الفاعلة والمؤثرة في العمل الوطني، كالتقانات العمالية والمنتسبين إلى الطبقة الوسطى والذين هم أكثر فاعلية في المجتمع ، فلا هم أغنياء يخشون على أموالهم ومصالحهم، ولا هم فقراء جل همهم

<sup>127</sup> أبو عيد، عبد الله ومحمد عمارة (وآخرون). دراسة في الفكر السياسي لحركة المقاومة الإسلامية (حماس) 1987 - 1996م. تحرير: جواد الحمد، إياد البرغوثي. مركز دراسات الشرق الأوسط: عمان، 1997م، ص39-42.

لقمة عيشهم، لكن الحال تغير كثيراً بعد تأسيس حركة المقاومة الإسلامية، فقد تمكنت هذه الحركة من الانتشار والتغلغل في الشرائح الاجتماعية المختلفة في الضفة الغربية وقطاع غزة، فانتشرت بين الطلاب والعمال والحرفيين والمزارعين والمتخصصين على اختلاف تخصصاتهم، وفي فئات المجتمع العمرية المختلفة بنسب تشير إلى عدم اقتصر تأييد (حماس) على فئة دون أخرى، أو مهنة دون أخرى ففي العديد من استطلاعات الرأي التي أجراها المركز الفلسطيني للبحوث السياسية والمسحية يتضح أن نسب تأييد (حماس) في الفئات العمرية والمهنة والشرائح الاجتماعية تنسجم مع نسب وجود هذه الشرائح في المجتمع، فعلى سبيل المثال تبلغ نسبة المؤيدين لـ (حماس) ممن تقل أعمارهم عن 42 عاماً 79.4%، ونسبة من تقل أعمارهم عن 40 عاماً من معتقلي (حماس) في سجن النقب عام 2004م حوالي 91%<sup>128</sup>، وتبلغ نسبة هؤلاء في المجتمع الفلسطيني "غزة والضفة الغربية" حوالي 88% بحسب دائرة الإحصاء المركزية<sup>129</sup>. مثال آخر هو تأييد متميز في أوساط اللاجئين، فقد بلغت في شهر 8/2002م ما نسبته 45% من مؤيدي (حماس) علماً أن نسبة اللاجئين في المجتمع الفلسطيني تبلغ 42.8%<sup>130</sup>. وفي سجن النقب عام 2004 كانت نسبة اللاجئين من أعضاء (حماس) 17%.

كما أن (حماس) انتشرت بشكل كبير وحتى مفاجئ، بعيداً عن المناطق التي اعتبرت تاريخياً معاقلة للإسلاميين "غزة، الخليل..." ففي استطلاع أجري في سجن النقب كان 21% من أعضاء (حماس) من الخليل، 1% القدس، 9% بيت لحم، 28% رام الله، 14% نابلس، 11% جنين، 7% طولكرم، 5% قلقيلية. 29% سكان مدينة، 54% ريف، 17% مخيمات<sup>131</sup>.... لدرجة أصبحت (حماس) تحظى بتأييد في الضفة الغربية يضاهاي قطاع غزة، ففي استطلاعات الرأي التي سبقت انتفاضة الأقصى وتحديداً في استطلاع رأي أجري في تموز 2000م اتضح أن 62.1% ممن يؤيدون حركة (حماس) هم من سكان الضفة الغربية بينما 37.9% هم من سكان

<sup>128</sup> استبيان سجن النقب.

<sup>129</sup> عدة استطلاعات رأي للمركز الفلسطيني للبحوث السياسية والمسحية ما بين عامي 2000 و2003م. ومعطيات الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني.

<sup>130</sup> المركز الفلسطيني للبحوث السياسية والمسحية.

<sup>131</sup> استبيان سجن النقب.

القطاع، لكن انتفاضة الأقصى كان لها تأثير واضح لصالح قطاع غزة فقد أصبحت النسبة في 55.3% في الضفة و44.7% في غزة<sup>132</sup>.

ويرى البعض أن شعبية (حماس) تقوم على قاعدة أيديولوجية واسعة، وموقف جهادي مقاوم جسور وخطاب سياسي واقعي مرن ومفتوح، وعلى شبكة مؤسسات تحقق لها تواصلًا يوميًا مع الفقراء والكادحين من الفئات الشعبية، وعلى هدف تحرير فلسطين من البحر إلى النهر، أضف إليه السيطرة على المجلس التشريعي والحكومة الفلسطينية، وهذا يلقي تعاطفًا من جميع فئات الشعب الفلسطيني والعربي والإسلامي<sup>133</sup>.

وعلى صعيد التخصصات فقد تجاوزت (حماس) بدفع أو فرض من الواقع ومتطلباته، عوائق عدة كانت موجودة في وجه بعض التخصصات والمهن، وانتشر أبنائها ومؤيدوها في الكليات الجامعية المختلفة خاصة كليات التربية والإدارة والاقتصاد التي هجرها لفترة ليست بالقصيرة، وكانت محل انتقاد العديد من الإسلاميين، ونتائج الانتخابات الطلابية في كل الجامعات الفلسطينية تؤكد ذلك.

أما على صعيد الفكر الإسلامي فقد بقي الحديث بما يتضمنه من أفكار وقيم ومبادئ تغيرية وتحديثية، خاصة فيما يتعلق بالجهاد، سيما فكر الإخوان المسلمين، ولعقود طويلة يتسم بالطابع النظري والتنظيري، وقد تعرض للانتقاد والنقد على يد العديدين، لأنه لم يدعم بشواهد ماثلة على الأرض، فجاءت انطلاقة حركة (حماس) بما جسده من وقائع عملية على الأرض، وبما قدمته من معانٍ للصمود والتضحية والفداء واهتمام بقضية شعبها الوطنية بجوانبها المختلفة "السياسية والاجتماعية والنضالية (الجهادية)".. ولتضع العديد من الأفكار والقيم الإسلامية التي طالما نظرت لها موقع التطبيق وبصورة لم يعهدها الناس من الإسلاميين من قبل. فشكل ذلك "الانطلاق" روحاً جديدة ودماء غزيرة سرت في عروق الفكر الإسلامي ومفكره وأصبح صوته أعلى وأقوى، فقد شكلت (حماس) ومقاومتها مادة تنظيرية لمفكري وقادة الحركات الإسلامية في أنحاء مختلفة من العالمين العربي والإسلامي، ومحل إلهام للمقاومة الإسلامية في أنحاء مختلفة، فها هم إسلاميو الأردن ومصر والجزائر والمغرب وحتى العراق أخيراً، يتغنون

<sup>132</sup> المركز الفلسطيني للبحوث السياسية والمسحية.

<sup>133</sup> أبو طه، مصدر سبق ذكره. ص433.

بحماس ومقاومتها ودورها.. حتى إن بعض أجنحة المقاومة العراقية سمت نفسها باسم أحمد ياسين، ومقتدى الصدر (أحد زعماء الشيعة في العراق) عندما فكر في مقارنة جماعته بأحد؛ قارنهما بحماس وحزب الله.

ومن ناحية أخرى فقد أضحى الفكر الإسلامي هو فكر الطليعة، فكر من هم في المقدمة والصدارة يحمله من يصرون على الحق ويدفعون في سبيل ذلك أعلى الأثمان مما زاده قوة وجرأة في الطرح إذ قوة الفكرة تظهر في أهي صورها إذا ما حملها الأقوياء، وتبدو ضعيفة وإن كانت في جوهرها قوية إذا ما حملها الضعفاء العاجزون، فالحق يعرف بأصحابه، ولعل هذه من أبرز مشاكل الإسلام في عصرنا هذا.

كما عزز وجود (حماس) وتزايد حضورها في الشارع الفلسطيني من شرعية ظاهرة التدين في المجتمع الفلسطيني، وأحاطها بجمو من الاحترام والتقدير، وأخرجها من دائرة الانتقاد والهجوم التي عاشت فيها لعقود حلت انطلاقاً (حماس)<sup>134</sup>، فلم تعد المساجد ملاذ كبار السن والدراويش، أو الشباب الباحث عن الاستقرار والطمأنينة، بل أصبحت منطلقاً للاحتجاج والمقاومة وحصناً للثوار من الشباب، حتى أطلق على الانتفاضة الأولى "انتفاضة المساجد"، وفي انتفاضة الأقصى كانت المساجد مكان انطلاق المسيرات الجماهيرية يجتمع فيها وأمامها وينطلق منها كل فئات وفصائل المقاومة الفلسطينية وحتى اليسارية منها. أما اللحية والزي الشرعي للمرأة والأعراس الإسلامية والنشيد الإسلامي فقد بدا ليس فقط محل احترام، بل وتعبيراً عن الأصالة والمقاومة الوطنية<sup>135</sup>.

وقبل أن أختتم الحديث حول انتشار حركة (حماس) وزيادة قوتها المستمر وبشكل متسارع، أجد من الضروري الوقوف عند قضية تعرض لها الكثيرون في كتاباتهم، بما فيهم المفكر الكبير إدوارد سعيد، وما زال البعض يرددتها حتى اليوم، هذه القضية تتمثل في رأي يرى أن سلطات الاحتلال غضت الطرف عن نشاط (حماس) وشجعتها في مراحلها الأولى وذلك بهدف تقوية مكانتها في وجه فصائل (م ت ف) وإضعاف الجبهة الفلسطينية الداخلية<sup>136</sup>، ويبدو هذا الرأي فيه نوع من الشطط والبعد عن المهنية والعلمية وكذلك يفتقد للموضوعية وذلك للاعتبارات الآتية:

<sup>134</sup> إياد البرغوثي، الحجاب عنوان مقاومة وتمرد.

<sup>135</sup> إياد البرغوثي، نفس المصدر السابق.

<sup>136</sup> سعيد، إدوارد. "أوسلو 2" سلام بلا أرض. دار المستقبل العربي: القاهرة، 1995م، ص 160.

**أولاً:** إن الدولة العبرية وهي تراقب وتدرس عن كثب كل الشؤون الفلسطينية وعت وما زالت تعي جيداً طبيعة الأيدولوجيا التي حملها الإخوان وورثتها حركة (حماس) ، تلك الأيدولوجيا التي ترى في فلسطين وقفاً إسلامياً لا يحق لأحد التفريط فيه أو التصرف به، وترى في اليهود "شر خلق الله" و "الخونة" وغيرها، وخبرت الإخوان عام 1948م وتدافعهم للشهادة على أرض فلسطين، لا يمكن لها أن تراهن أو تعبت بأمنها بل بوجودها بغض الطرف أو تعزيز مثل هذه الأيدولوجيا.

**ثانياً:** سياسة الاحتلال تجاه المؤسسات والعمل الاجتماعي الفلسطيني، لم تميز بين توجه وآخر، إذ سمح الاحتلال، أو تغاضى عن، القيام بالعديد من الأنشطة الاجتماعية وإقامة مؤسسات مختلفة، خاصة إذا لم ترتبط هذه الأنشطة والمؤسسات بشكل مباشر بالمقاومة، فالجامعات الفلسطينية المختلفة والنقابات والمجالس الأحمر والإغاثة الطبية وغيرها من المؤسسات أنشئت جنباً إلى جنب مع لجان الزكاة والجمعيات الخيرية وبناء المساجد، وكل ما تعرضت له من اعتداءات من قبل الاحتلال، تعرضت له المؤسسات الإسلامية وأحياناً بشكل أكبر. أي أن السياسة الإسرائيلية تجاه المؤسسات والعمل الاجتماعي ارتبط بمدى ارتباط هذه المؤسسات والأنشطة بالمقاومة، ونظراً لأن المقاومة لم يكن قد تم تبيينها من قبل الإخوان رسمياً، ولم تمارس عملياً وبشكل منهجي إلا بعد تأسيس (حماس). فقد بقيت أنشطة ومؤسسات الإخوان خارج إطار الأولوية الإسرائيلية في المنع والإغلاق، وبعدها انخرطت (حماس) في المقاومة تلقت هذه الأنشطة والمؤسسات ضربات أكثر شدة من غيرها... كإغلاق المساجد ولجان الزكاة والجمعيات والجامعة الإسلامية، لذا فلم يعامل المسلمون بأي نوع من الاستثناء أو الخصوصية أو التشجيع من قبل قوات الاحتلال كما يذهب البعض للقول.

**ثالثاً:** اعتماداً على النقطة السابقة، وبقراءة واضحة وموضوعية للواقع، نجد أن حركة (حماس) والمؤسسات المحسوبة عليها، قد تعرضت في وقت مبكر للملاحقة والاعتداءات والضربات الموجهة، فإذا علمنا أن أول ضربة تعرضت لها (حماس) واعتقل فيها مؤسسها أحمد ياسين ومعه كامل القيادة البديلة و250 عضواً آخرين، كانت في أيار 1988م، وذلك على خلفية خطف جنديين إسرائيليين وقتلتهما، وتكرر الأمر في أيلول من نفس

العام وحظرت الحركة من قبل الاحتلال الإسرائيلي<sup>137</sup> رغم أنه لم يمر على انطلاقها سوى خمسة أشهر، نجد أن الاحتلال لم يمهّل (حماس) لحظة واحدة، عندما بدأت تشكل خطراً على أمنه وتسدد لجنوده ومستوطنيه الضربات، ولم يمر عام واحد حتى تعرضت (حماس) لضربة أخرى أعتقل فيها أكثر من 1700 عضو من أعضائها<sup>138</sup>، وذلك يعني أن الرصد والمتابعة الأمنية والتحرّي الإسرائيلي لـ (حماس) كان منذ لحظة الولادة.

**رابعاً:** إن التركيز على فصيل فلسطيني دون آخر، واستهدافه بشكل أكبر من غيره في فترة محددة، لا يعني بحال إخراج بقية الفصائل من دائرة الاستهداف الإسرائيلي، ولكن الاعتبارات الأمنية والعملية والسياسية تلعب دوراً هاماً في ذلك، فحتى وإن اعتقد البعض بأن استهداف (حماس) تأخر قليلاً عن غيرها من الفصائل، فإن ذلك لا يمكن أن يكون لأنها خارج دائرة الاستهداف، أو من أجل تعزيز مكانتها على حساب الآخرين، وإنما يعود ذلك لاعتبارات أمنية وسياسية، كالاتهاء من إعداد خطط محكمة لتوجيه الضربات، أو لجمع قدر أكبر من المعلومات، أو لاستدراج نحو المزيد من العمل وما قد يرافقه من أخطاء... إلخ من اعتبارات من هذا القبيل، أو غيره<sup>139</sup>.

**خامساً:** الفكرة هذه مصدرها الأول هو المحتل، وهو من روج لها وحاول تسويقها، وحتى الفلسطينيون الذين يرددونها يقولون ذلك، ومن أبرزهم الرئيس الراحل ياسر عرفات الذي كان يردد هذه الفكرة في معرض هجومه على (حماس) أو مناقفتها قال في أكثر من لقاء بأن رابين أبحره ذلك، وقال له بأن ذلك كان خطأ إسرائيل القتال، وأعتقد أن الاعتماد على تصريح العدو في أي من القضايا الوطنية، سيما في قضية كهذه، هو في حده الأدب سذاجة ومراهقة سياسية.

**سادساً:** مما سبق يمكننا القول إن مثل هذه المواقف لا يمكن فهمها إلا في سياق التنافس الفصائلي، الذي يأخذ في كثير من الأحيان التحريض والتعريض "غير النظيف"، في معرض محاولة كل فصيل أن يظهر نفسه بأنه

---

<sup>137</sup> صايغ، أنيس. الكفاح المسلح والبحث عن الذات "الحركة الوطنية الفلسطينية 1949 - 1993م. مؤسسة الدراسات الفلسطينية: بيروت، 2002م. ص 882؛ البرغوثي، الأسلمة والسياسة، مصدر سبق ذكره، ص 77؛ أبو عيد، مصدر سبق ذكره، ص 95؛ أبو عمرو، الحركة، مصدر سبق ذكره. ص 63.

<sup>138</sup> النواقي، مهيب. حماس من الداخل. دار الشروق للنشر والتوزيع: غزة، 2002م، ص 59.

<sup>139</sup> مقابلة مع ناشط. والناشط هو تعبير عن أشخاص نشطاء في حماس وأصحاب صفة قيادية ومطلعون ولم تذكر اسماءهم لاعتبارات أمنية وغيرها، وسيشار إليهم فيما بعد بـ مقابلة مع ناشط.

الأكثر وطنية وتمسكاً بالحقوق وأشد مقاومة للمحتل ويتباهى بأنه الأكثر استهدافاً من قبل المحتل، محاولاً كسب ود وتأيد الجماهير، وقد يبدو ذلك اعتيادياً في عالم الفصائل والسياسة الفلسطينية، وإن كان ذلك غير لائق. لكن ما يستدعي الرفض هو أن ينزلق عدد من الباحثين والأكاديمين<sup>140</sup> إلى ترديد هذه المقولة، دون أن يتكلفوا قليلاً من العناء للتحقق والتدقيق.

### البنية الإدارية والتنظيمية لحركة (حماس)

حركة (حماس) هي حركة مقاومة، وقد عانت منذ اللحظة الأولى لتأسيسها، من الضربات المتلاحقة من قبل قوات الاحتلال الإسرائيلي، فبعد عدة أشهر من الإعلان عن تأسيسها تلقت الضربة الأولى التي اعتقل فيها كامل أعضاء مكتبها الإداري في الضفة الغربية وقطاع غزة (الهيئة القيادية العليا في الحركة) ثم عام 1989 و عام 1991 و 1992... وهكذا تلاحقت الضربات التي كاد بعضها أن يكون قاصماً. لهذا فإن بنيتها التنظيمية والإدارية ما زالت تشكل واحداً من أهم الأسرار التي يحتفظ بها، ويحرص على عدم الإفصاح عنها. مع ذلك فقد كشفت الاعتقالات المتكررة، التي كما أسلفنا طالت في بعض الأحيان معظم الهيئات العاملة فيها عن هذه البنية. والتي تبين أن لها شكلاً عاماً لا يتم تجاوزه، وأن ما يتم هو اختلاف طفيف في بعض العلاقات بين مستويات القيادة المختلفة، وتغير للأشخاص القائمين على المواقع المختلفة... ونحن هنا سنعتمد، بالإضافة لبعض الكتب والمراجع التي تحدثت عن الموضوع، على الضربات المختلفة التي تلقتها الحركة، كالضربة الأولى التي حدثت في أيار 1988م وشملت المكتب الإداري في الضفة وغزة<sup>141</sup>، وبالذات على ما اعتبر أسمى ضربة تلقتها الحركة عام 1991م، حيث اعتقل معظم أعضاء هيئاتها القيادية -إن لم يكن جميعهم- من الصف الأول والثاني والثالث، كما نعتد أيضاً على مقابلات مع أشخاص كانوا مسؤولين في تلك الفترة، سيما من كان يعرف برئيس المكتب الإداري وحلقة الوصل

<sup>140</sup> أبو عمرو، الحركة الإسلامية في الضفة والقطاع، مصدر سبق ذكره.

<sup>141</sup> يوسف، أحمد. حركة المقاومة الإسلامية "حماس" حدث عابر أم بديل دائم. المركز العالمي للبحوث والدراسات. ص38.

بين قيادة الداخل والخارج، د. محمود الرححي، الذي أصبح أمين سر المجلس التشريعي الفلسطيني بعد الانتخابات التشريعية التي جرت في عام 2006. واستناداً إلى هذه المصادر يمكننا أن نضع هيكلية لحركة (حماس) كما يلي:

أولاً: **مجلس الشورى العام**: وهو أعلى هيئة قيادية حمساية مقررة، ويقع على عاتقه رسم السياسات الإستراتيجية، والإشراف والمراقبة على الأجهزة التنفيذية المختلفة عبر تقارير دورية تمر عليه، وكذلك اتخاذ القرارات في الأمور الهامة والمفصلية. وهو يتكون من أعضاء من مختلف أماكن تواجد الشعب الفلسطيني، الداخل (الضفة الغربية)، قطاع غزة، المعتقلين في السجون الإسرائيلية) والخارج (لبنان، سوريا، الأردن، الخليج العربي وغيرها)، لكننا ولاعتبارات السرية لم نتعرف على العدد الدقيق لأعضاء المجلس وتوزيعهم الجغرافي، ولكن يقدر البعض عدد أعضاء المجلس من (50 - 70) عضواً<sup>142</sup>.

ثانياً: **المكتب السياسي**: الهيئة التنفيذية العليا للحركة وينتخب من قبل مجلس الشورى العام، ويتركز ثقله في الخارج (دمشق وبيروت) ويرأسه خالد مشعل ويعرف من أعضائه كل من (د. موسى أبو مرزوق نائب رئيس المكتب، سامي خاطر، محمد نزال، عماد العلمي، عزت الرشق)، ولا يعرف بالضبط عدد أعضائه ولا أسماء أعضائه في الداخل لا اعتبارات أمنية، وهذه الاعتبارات ساعدت على تركيز عمل المكتب في الخارج حيث لم تنقطع الملاحقة الإسرائيلية لكواد (حماس) في الداخل، مما جعل قيادة الخارج عنوان الاستقرار والاستمرارية في العمل في أهلك الظروف. وقد بدأ تشكيله كلجنة سياسية في الخارج عام 1989م على يد د. موسى أبو مرزوق<sup>143</sup>، ومن ثم نشط بشكل أكثر وضوحاً بعد عملية الإبعاد لمئات من كوادر (حماس) وقيادتها إلى الجنوب اللبناني عام 1992م، حيث أحدث الإبعاد حراكاً سياسياً خارج فلسطين تصدت له اللجنة السياسية التي تطورت لاحقاً، وبالذات فترة وجودها في العاصمة الأردنية عمان، لتصبح المكتب السياسي.

والمكتب السياسي لـ (حماس) شأنه شأن أية مؤسسة أو هيئة تنفيذية يتولى متابعة كافة مجالات ونواحي العمل الحماسي، وعنه تصدر كافة المواقف السياسية الرسمية، وقد تضاعفت أهمية دوره حماسياً ووطنياً بعد انتخابات

<sup>142</sup> النواحي، مصدر سبق ذكره. ص 41.

<sup>143</sup> المصدر السابق. ص 40-47.



الجلس التشريعي الفلسطيني عام 2006، التي دفعت (حماس) إلى صدارة المشهد السياسي الفلسطيني، وجعلت مواقفها ودورها الأهم على الساحة الوطنية الفلسطينية.

ثالثاً: المكتب الإداري العام: وهو أعلى هيئة قيادية في الداخل، ويتم انتخابه أو اختياره، من مجلس الشورى العام، حسب ما تمليه الظروف الموضوعية، مع ملاحظة أن (حماس) من أكثر الفصائل الفلسطينية اهتماماً بإجراء الانتخابات الداخلية إذا ما توفرت الظروف الملائمة وسمحت الحالة الأمنية، وليس أدل على ذلك مما تمارسه (حماس) من انتخابات في قطاع غزة وفي السجون الإسرائيلية، حيث تجري الانتخابات وفقاً للوائح واضحة بشكل دوري، مما يجسد فكرة تداول السلطة وحرية الاختيار<sup>144</sup>. وكون الحركة هي حركة سرية فإن اختيار عضو المكتب الإداري لا يخضع لمعايير صارمة، ومع ذلك يجب أن تتوفر فيه صفات الوعي والفهم والإخلاص وأن لا تقل مدة انتسابه للحركة عن خمس سنوات، وأن يكون حاصلاً على الشهادة الجامعية الأولى، وأن يكون ماضيه نظيفاً من جميع الجوانب وليس عليه أي جنح سلوكية أو غيرها<sup>145</sup>، مع التأكيد أن الواقع فرض في كثير من الأحيان عدم التقيد بهذه الشروط.

ومن خلال حملات الاعتقال والتحقيق التي قامت بها إسرائيل تبين أن المكتب الإداري العام في الداخل يتكون ووفق ما كشفت عنه تحقيقات عام 1990م، عندما تم توجيه ضربة شاملة لحركة (حماس)، من خمسة أعضاء (2 عن قطاع غزة، 1 عن شمال الضفة، 1 عن وسط الضفة، 1 عن جنوب الضفة) يمثل كل واحد منهم رئيساً لمكتب إداري فرعي يتولى المسؤولية عن منطقة محددة في الضفة الغربية وقطاع غزة، وتشكل هذه المكاتب الفرعية على النحو الآتي:

1. مكتب إداري قطاع غزة: يتكون من خمسة أعضاء تمثل رفح، خان يونس، المخيمات الوسطى، شمال غزة، مدينة غزة. ويشارك مكتب قطاع غزة في المكتب الإداري العام بعضوين.

2. مكتب إداري جنوب الضفة الغربية: يتكون من ثلاثة أعضاء يمثلون مدينة الخليل، جبل الخليل (القرى) ومدينة بيت لحم.

<sup>144</sup> معاينة مباشرة للباحث أثناء وجوده في السجن في الفترة ما بين 2003 – 2007م.

<sup>145</sup> مقابلة مع ناشط.

3. مكتب وسط الضفة الغربية: يتكون من أربعة أعضاء يمثلون رام الله، القدس، أريحا. وتُمثل رام الله فيه بعضوين.

4. مكتب شمال الضفة الغربية: يتكون من خمسة أعضاء يمثلون نابلس، جنين، طولكرم، قلقيلية. وتمثل فيه نابلس بعضوين<sup>146</sup>

أما المهام المنوطة بالمكتب الإداري، فهي في إطارها العام قيادة الحركة في الداخل بكل تفاصيلها، وللتوضيح يمكن إيجاز أهم هذه المهام في الآتي:

1. وضع الخطط التنفيذية للحركة في جميع الجوانب ما عدا الجانب العسكري والأمني، وهما منفصلان فصلاً تاماً عن المكتب الإداري.

2. الإشراف على سير العمل في الجوانب الدعوية والطلابية والسياسية والإعلامية للحركة.

3. تعيين مسؤولي المناطق كُلاً في منطقتيه.

4. تحديد سياسة الحركة مع التنظيمات الفلسطينية الأخرى<sup>147</sup>.

المكتب الإداري هو مرجعية كل اللجان سواء السياسية أو الإعلامية، ورئيس المكتب الإعلامي هو غالباً ما يكون عضواً في المكتب الإداري، ولكل مكتب من هذه المكاتب هيئته التي تجتمع ولها صلاحيات، ولكن في القضايا الحساسة والمصيرية يكون القرار للمكتب الإداري الذي هو بمثابة الحكومة المصغرة<sup>148</sup>.

رابعا: المكاتب الإدارية الفرعية: وهي الهيئات التنفيذية المحلية، التي تتولى شؤون المحافظات، وتتكون من عدة لجان البعض يعتقد أنها خمسة، وكل عضو مكتب إداري فرعي يرأس إحدى خمس لجان في منطقتيه وهي "لجنة إعلامية، لجنة سياسية، لجنة طلابية، لجنة دعوية، لجنة المؤسسات". ورؤساء اللجان الفرعية يشكلون سوية لجنة عامة على مستوى الوطن يرأسها أحد أعضاء المكتب الإداري العام، فعلى سبيل المثال "رؤساء اللجان السياسية الفرعية في

<sup>146</sup> مقابلة مع ناشط.

<sup>147</sup> مقابلة مع ناشط.

<sup>148</sup> مقابلة مع ناشط.

قطاع غزة، وجنوب ووسط وشمال الضفة الغربية، يشكّلون اللجنة السياسية العامة التي يرأسها أحد أعضاء المكتب الإداري العام". وكل لجنة عامة تكون مسؤولة عن صياغة ومتابعة السياسات العامة لقطاع العمل الذي تتابعه<sup>149</sup>.

**خامساً: الأعضاء:** هم كل أولئك الأشخاص الذين تنطبق عليهم شروط العضوية ويعملون بشكل أو آخر في أطر (حماس) التنظيمية، ولقد وضع ميثاق حركة (حماس) إطاراً مرناً منذ البداية لعضوية الحركة، ولم تبدأ الشروط التي وضعها متشددة؛ ففي المادة الثالثة ينص الميثاق على: "تتكون البنية الأساسية لحركة المقاومة الإسلامية من مسلمين أعطوا ولاءهم لله، فعبدوه حق عبادته ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: 56) وعرفوا واحبهم تجاه أنفسهم وأهلبيهم ووطنهم، فاتقوا الله في كل ذلك، ورفعوا راية الجهاد في وجه الطغاة لتخليص البلاد والعباد من دنسهم وأرجاسهم وشورهم. ﴿بَلْ تُقَدِّفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ (الأنبياء: 18)، والمادة الرابعة: "ترحب حركة المقاومة الإسلامية بكل مسلم اعتقد عقيدتها، وأخذ بفكرتها، والتزم منهجها، وحفظ أسرارها، ورغب أن ينخرط في صفوفها لأداء الواجب، وأجره على الله<sup>150</sup>".

وبالتالي فإن شروط العضوية تتلخص في أن يكون الشخص سليم الأخلاق، والعقيدة، مؤمناً بمبادئ الحركة وأهدافها وأساليبها في العمل، مستعداً للتضحية في سبيل أهدافها، يمتلك الحد الأدنى من الفهم للعقيدة<sup>151</sup>، وهذه شروط مرنة إلى حد بعيد. ومع اتساع شعبية وعمل الحركة ازدادت المرونة أكثر، وأصبحت ترى في أوساط (حماس) من هم على درجة "عادية أو تقليدية" من التدين والالتزام بتعاليم الدين، أي أن المواطن العادي سليم السلوك والتوجهات بإمكانه أن يكون عضواً في (حماس)، وهذا تجاوب إيجابي ونضوج يلائم الواقع الفلسطيني.

**سادساً: المؤيدون والناصرين:** وهم أولئك الذين يؤيدون حركة المقاومة الإسلامية ويدعمونها بالوسائل المختلفة (الجهاد، الصوت الانتخابي، المشاركة في النشاطات، المال.. إلخ من وسائل أو طرق)، واليوم (حماس) تحظى بكم هائل من المؤيدين والناصرين، وقد تجلّى ذلك في انتخابات 2006م للمجلس التشريعي حيث حصلت على حوالي

<sup>149</sup> مقابلة مع ناشط.

<sup>150</sup> ميثاق حركة حماس.

<sup>151</sup> مقابلة مع ناشط.

56% من مقاعد المجلس، وكما هو معلوم فإن التأييد يكون لاعتبارات عدة منها ما هو أيديولوجي أو سياسي أو ثقافي أو عائلي أو حتى شخصي، مما يدفع الشخص للوقوف إلى جانب الفصيل الذي يختاره.

سابعاً: هيئات وأجهزة ذات صلاحيات محددة: وهذه الأجهزة لا تدخل ضمن البنية الثابتة لحركة (حماس) لاعتبارات الأمن والسرية والخطورة من جهة، كما هو الحال للعمل العسكري، ولاعتبارات الاستحداث والمرونة في هامش العمل من جهة أخرى كما هو الحال في المجلس التشريعي، ولهذه الأجهزة مهام واختصاصات محددة، وتخضع للهيئات القيادية سالفة الذكر، ومن أهم هذه الأجهزة أو الهيئات:

- **جهاز الأمن "مجد":** أنشئ عام 1983م، قبل تأسيس (حماس) بسنوات، لكنه استمر في العمل في ظلها، على يد مجموعة من الشبان، عرف منهم يحيى السنوار "رئيساً" وخالد الهندي<sup>152</sup>، ومن مهام هذا الجهاز، متابعة وملاحقة ومحاسبة العملاء وتجار المخدرات والمنحرفين أخلاقياً، ونشر الوعي والتثقيف الأمني بين أعضاء الحركة والمواطنين، والعمل على فضح أساليب المخابرات الإسرائيلية، والتصدي لمحاولات الاختراق<sup>153</sup>.
- **الجهاز العسكري "كتائب الشهيد عز الدين القسام":** يعتبر هذا الجهاز امتداداً لجهاز أنشئ عام 1983م، وكان في حينها يحمل اسم "المجاهدون الفلسطينيون"، حيث عرف الشيخ صلاح شحادة كمؤسساً له<sup>154</sup>، وقد اتخذ هذا الاسم عام 1991م وهو ذراع (حماس) المقاوم، وقد تطور هذا الجهاز تطوراً هائلاً خلال السنوات الماضية حتى أصبح ما يشبه الجيش في قطاع غزة.
- **جهاز الأحداث:** وهو جهاز العمل الميداني، ويتم تشكيله أو حله حسب الحاجة الميدانية والظرف الموضوعي، ويتولى عند تشكيله متابعة الأحداث الميدانية والتفاعل معها عبر المسيرات والمهرجانات كتابة الشعارات على الجدران... إلخ من آليات يرونها ملائمة لحدث ما<sup>155</sup>.

<sup>152</sup> يوسف، مصدر سبق ذكره. ص22.

<sup>153</sup> المصدر السابق. ص23-24.

<sup>154</sup> المصدر السابق. ص27.

<sup>155</sup> المصدر السابق. ص31.

- أعضاء المجلس التشريعي "كتلة التغيير والإصلاح": وتتكون من 74 نائباً هم نواب حركة (حماس) في المجلس التشريعي الفلسطيني، ومهامها هي المهام المعروفة لأية كتلة برلمانية.
- أعضاء الحكومة الفلسطينية المحسوبين على (حماس): وهؤلاء بالإضافة لعملهم في الحكومة كوزراء منوط بهم العمل على تنفيذ سياسات (حماس) في المجالات التي يعملون بها.

## الفصل الثالث

### الموقف والأداء السياسي لحركة المقاومة الإسلامية (حماس)

في تغير تاريخي للمشهد السياسي الفلسطيني، قرر الشعب الفلسطيني وعبر انتخابات المجلس التشريعي الفلسطيني بأن تصبح حركة المقاومة الإسلامية (حماس) كبرى الفصائل الفلسطينية، حيث حصلت في الانتخابات التي جرت في كانون ثاني 2006م على 74 مقعداً في المجلس من أصل 132 مقعداً وهو ما نسبته 56% من المقاعد، بالإضافة لفوز 4 أعضاء مستقلين أعلنت (حماس) عن دعمها لهم أو رشحوا على قوائمها مما قد يعني نسبة أعلى من المقاعد تصل إلى 59% من المقاعد، فيما حصلت حركة التحرر الوطني الفلسطيني (فتح) على 45 مقعداً أي ما نسبته 34% من مقاعد المجلس، محدثاً بذلك تغيراً هائلاً على الساحة الفلسطينية ودافعاً بحركة (حماس) إلى صدارة المشهد السياسي الفلسطيني، ومما لاشك فيه أن هذه الزيادة الملحوظة في شعبية (حماس) تعني فيما تعنيه زيادة في أهمية الدور الذي ستلعبه على الساحة الفلسطينية والعربية والدولية، وزيادة في مستوى وحجم التأثير على مجريات القضية الفلسطينية ومستقبلها.

لذا فقد بات من الضرورة بمكان، بل من الواجب الذي يمليه على الكثيرين من الكتاب والساسة والنقاد الانتماء للوطن والقضية، أن يتم الوقوف عند الأداء السياسي لهذه الحركة تقويماً ونقداً وتحليلاً؛ لأن في قوة هذا الأداء قوة للفلسطينيين جميعاً وفي ضعفه ضعف لهم جميعاً، خاصة في ظل اشتداد الهجمة الإسرائيلية على الشعب الفلسطيني، وتعاضم التحديات والعقبات أمام بناء الدولة الفلسطينية المستقلة.

ونحن في هذا الفصل سنحاول الوقوف بنوع من التحليل الذي يميل إلى النقد، النقد البناء الذي ليس في اعتباره أي تجريح أو إسائه وإنما يهدف إلى المعالجة المنهجية والعلمية والتقويم والنصح، على أبرز المحاور أو المفاصل في أداء (حماس) السياسي، مجتهدين في إبراز ما اعتقدنا بأنه هام، وغاضين الطرف عما اعتقدنا بأنه ليس ذا بال.

## برنامج (حماس) وتطبيقه كبرنامج حركة تحرير وطني

مما لا شك فيه أن علاقة حركات التحرير الوطني مع المحتل هي علاقة صراع، هي في معركة دائمة معه ما دام محتلاً للأرض وسالبا للحقوق، ومما لا شك فيه أيضاً أن هذه الحركات تسعى وتعمل بكل ما لديها من إمكانيات لتكسب المعركة، وهي تعد لذلك كل إعداد ممكن عبر برامج واضحة ومحددة تشتمل على ما هو إستراتيجي وتكتيكي، ما هو ثابت ومتغير، وفي هذا السياق سنقف وقفة تدقيق على أهم مرتكزات مثل هذه البرامج لدى (حماس) كحركة تحرر فلسطينية ونبدأ بأهم هذه المرتكزات وهي:

### أ- تقوية الجبهة الداخلية وتحصينها

لقد ورثت (حماس) عن الإخوان المسلمين من المبادئ والمواقف المتعلقة بتمتين النسيج الاجتماعي الفلسطيني الكثير كالإخاء والتسامح والتعاون... إلخ، التي إذا ما تم الالتزام بها تضمن إقامة علاقة جيدة وقوية مع الشرائح الاجتماعية المختلفة الدينية والاجتماعية والاقتصادية، ومن أبرز هذه المواقف الموقف من الأقلية المسيحية. حيث عززت (حماس) عبر خطوات عديدة روح الإخاء والتسامح الديني، وحرصت على إبقاء العلاقة مبنية على الاحترام المتبادل واحترام الخصوصيات الدينية والتقاليدية، فمنذ الأشهر الأولى لانطلاقتها حرصت على مخاطبة المسيحيين وحثهم على الصمود والمقاومة وحرصت على عدم المساس بمشاعرهم الدينية وعلى الاهتمام بأعيادهم وهنأهم بها، وقد أقدمت على إلغاء إضراب كانت قد أعلنت عنه في يوم 1988/12/24؛ بسبب تزامنه مع الأعياد المسيحية، واعتبرت لاحقاً أيام عيد ميلاد السيد المسيح عليه السلام أيام توافد المسلمين إلى بيوت المسيحيين للتهنئة، وعبرت عن رفضها واحتجاجها على بعض ممارسات الاحتلال ضد رموز وأماكن عبادة "الأخوة المسيحيين"، واستنكرت عدوان قطعان المستوطنين الذي تم ضد أملاك كنيسة الروم الأرثوذكس في القدس عام

1991م، وعقدت ندوات ومحاضرات وكتبت مقالات حول العلاقة الإسلامية المسيحية عبرت في مجملها عن روح عالية من التسامح ورغبة شديدة في التعايش واتفقت على الهم المشترك والهدف الواحد في التحرير والاستقلال<sup>156</sup>.  
أما الشرائح الاجتماعية الأخرى المختلفة، فلم يغفلها برنامج (حماس) فالفقراء والأيتام والأرامل والأطفال والشباب والشيوخ والمرأة... إلخ كل هؤلاء كانوا حاضرين في برامج وأنشطة وفعاليات بل ومؤسسات (حماس) بنسب متفاوتة من الاهتمام، فالمؤسسات الخيرية والتعليمية والتربوية وبيوت المسنين والجمعيات النسوية انتشرت بشكل ملحوظ، وحضور الإسلاميين في الأعمال الاجتماعية كبير وملحوظ.

والاهتمام بتوعية وتنقيف القطاعات المختلفة من الشعب الفلسطيني كان على رأس سلم الأولويات، فالأطفال والطلاب والفتيات والنساء وأولياء الأمور كانوا محل اهتمام خطابات وبرامج الحركة، وقد لا يحتاج إلى التذكير بأن هذا التوجيه والتنقيف تركز على بعدين أساسيين هما الدين والوطن، إذ في الدين وتعاليمه كما رأته (حماس) الضمانة لحماية وصون المجتمع من كل الشرور، وفي الوطن والعمل من أجل عزته وتحريره كما رأته (حماس) صمام الأمان للوحدة وحرص الصفوف، والتجاوز عن كل التناقضات والخلافات وردم الهوة بين الناس أفرادا وجماعات وطبقات، فالأغنياء حُثوا على رعاية الفقراء والحث على الزكاة لم ينقطع والمتعلمين والمثقفين شجعوا على تعليم الأُميين والبسطاء لكن هذا التوجه بل والعمل من أجل تمتين البنية الاجتماعية وتدعيم الصمود الفلسطيني شابه قصور في جوانب هامة كان لا بد من الانتباه لها ومراعاتها.

ففي الجانب الاقتصادي ركزت المؤسسات الإسلامية على العمل الخيري ومساعدة الفقراء والمحتاجين بطريقة غير مجددة، فكانت المساعدات إما مؤقتة ومحدودة أو أما دائمة(شهرية) ولكنها مبالغ قليلة لا تسد الحاجة، ويؤكد ذلك الاستبانة التي تحدثنا عنها سابقا التي تشير إلى أن ما نسبته 91% ممن تلقوا مساعدات كانت غير دائمة و58% منهم تلقوا مساعدات هامشية أو قليلة فلم نلاحظ أن (حماس) قدمت دعما اقتصاديا واضحا ومؤثرا في الاقتصاد الفلسطيني<sup>157</sup>، فلا معامل ولا مصانع ولا حتى ورش مهنية تساعد على توفير فرص عمل، ولو لعدد محدود

<sup>156</sup> الحروب، خالد. حماس الفكر والممارسة السياسية. مؤسسة الدراسات الفلسطينية: بيروت، 1996م. ص154؛ البيانات رقم 65، 81، 67 الصادرة عن حركة حماس بتاريخ 3 كانون أول عام 1990م. وبيان آخر غير مرقم صادر بتاريخ 13 نيسان 1990م.  
<sup>157</sup> استبانة النقب 2004/7/4م.



من الناس، ولا يزال هذا الخطأ المنهجي في الدعم الاقتصادي قائماً حتى الآن، فهذا الدعم يأخذ شكل المساعدات المحدودة، ولا يصل إلى حد دعم الاقتصاد. بمشاريع منتجة وتوفر فرص عمل دائمة، فحماس في هذا المضمار شاركت غيرها من الفصائل في عدم التأثير الواضح على وضع الفلسطينيين الاقتصادي، وترك الناس إما للفقر أو العمل داخل الخط الأخضر إلى درجة جعلت اعتماد الاقتصاد الفلسطيني على نظيره الإسرائيلي يصل إلى حد التبعية المطلقة، حتى بات مطلباً شبه دائم للفلسطينيين أن يفتح سوق العمل الإسرائيلي أمامهم، وكأن ذلك أصبح واحداً من الحقوق الوطنية التي لا تنازل عنها!

وعلى الرغم من معرفة (حماس) وغيرها أن الأرض هي عنصر مركزي في الصراع، وأن عدداً كبيراً من الفلسطينيين يعتمدون على زراعتها، وأن الحفاظ عليها لا يتم إلا من خلال تحذير العلاقة معها وتعزيزها عبر وسائل عدة أهمها إعمارها وزراعتها، إلا أن (حماس) لم تقدم أية مساعدة ولم تُقم أية مؤسسة تدعم المزارعين أو تساعد على استصلاح الأراضي الزراعية وشق الطرق الزراعية إليها، وقد امتاز عنها آخرون في ذلك مثل: الإغاثة الزراعية واتحاد لجان العمل الزراعي وغيرها وقد ينطبق هذا الموقف على جوانب اقتصادية أخرى هامة جداً ومركزية، فالمهن الحرة والحرفيون والصناعات الوطنية لم تجد من (حماس) والمؤسسات الإسلامية سوى الشعارات والخطب، والحث النظري على الصمود والتحدي

## ب- اللاجئون

قضية اللاجئين في صلب وجوهر القضية الفلسطينية، وحجم الكارثة التي حلت على الفلسطينيين بعد عام 1947 يتجلى ويتمثل بالأساس في حالة التشرذم والاستئصال التي تعرض لها الشعب الفلسطيني، ومن هنا تحظى قضية اللاجئين ويحظى اللاجئون بأهمية بالغة وبدور مركزي عند الحديث عن أو التعامل مع القضية الفلسطينية، ولا يضمن أحد بأنني في هذا التوصيف أوافق من يحاول حصر حل القضية في حل مشكلة اللاجئين بأي شكل كالتوطين أو التعويض أو غيره، لكنني اعتبر القضية الفلسطينية هي في الأساس قضية إنسان يكتسب فيها الأهمية القصوى لأنه في الحياة هو القيمة العليا، وقضيته في الحالة الفلسطينية هي قضية سلب للحرية والكرامة والأرض والسيادة والحق في تقرير المصير، وبالتالي فحل قضية اللاجئين جذورياً وبشكل يراعى الحقوق الأساسية والأصلية للإنسان يعني حل

للقضية الفلسطينية بكل جوانبها والتفكير في حل قضية اللاجئين دون إعادة ما سلب منهم يبقى تفكيراً مجلول جزئية ومرحلية لن تحظى لا بالشرعية ولا بالديمومة.

ورغم اعتقادي بأن هذا الإدراك لأهمية قضية اللاجئين قائم وحاضر لدى (حماس)، إلا أن أداءها على هذا الصعيد يشوبه الضعف ويبدو عليه العجز، فالتأكيد الدائم من قبل (حماس) على عدم التنازل عن حق العودة وإصرارها الذي لا يشوبه ضعف على التمسك بهذا الحق هو محل تقدير، لكنه غير كاف فكان لابد من الالتصاق بموم اللاجئين ومشاكلهم والعناية بها ومحاولة الوقوف عملياً، وليس نظرياً، في وجه كل محاولات إذابتهم في واقعهم وسلخهم عن قضيتهم، فالاهتمام بأوضاعهم الاقتصادية أو الاجتماعية وحتى السياسية والقيام بمشاريع وخطوات واضحة ومحددة لمساعدتهم في تجاوز مخيمهم وأزماهم لم يبدُ واضحاً، لدرجة أنه يصعب رصد شيء جدي ومؤثر تقف وراءه الحركة، فاقتماداً تزداد حالتهم سوءاً يوماً بعد يوم في سياسة تبدو في كثير من الأحيان مقصودة، واجتماعياً تبدو المشاكل الداخلية والخارجية في العلاقة مع المجتمع المحيط "القرية والمدينة" تتراكم وتتكاثر دون دور واضح لوضع حد لمثل هذه المشاكل التي لسنا بصدد الحديث عنها، وحتى سياسياً فالدور محدود وهذا يتضح من أمرين الأول: نسبة التأييد المتدنية لـ (حماس) في المخيمات، والثاني: أن حركة فتح ورغم كل ما تعرضت له منذ أو سلو حتى اليوم من تراجع في الموقف إلا أنها ما زالت تهيمن على تلك المخيمات. وحتى في الجانب النظري يوجد ضعف واضح لدرجة أنني لم استطع أن ألاحظ أو أرصد أية دراسة أو استبانة أو مسودة مشروع ذات علاقة أو صلة باللاجئين وأوضاعهم وقضيتهم.

### ج- القدس

القدس مُقَصِّرٌ بحقها من الجميع، وهي لم تكن في يوم من الأيام محور إستراتيجية فلسطينية مكثفة، ولم تكن عنوان حملة منظمة لمقاومة السيطرة الإسرائيلية على المدينة والمناطق المحيطة بها<sup>158</sup>، ولكن (حماس) تبدو أكثر تقصيراً، وتبدو وكأنها ترى القدس فقط في الأقصى وترى في الأقصى القدس وهذا أمر غير مقبول من تنظيم رائد كحركة (حماس)، مع أنها حذرت من الاستخدام المتكرر من قبل الساسة الفلسطينيين لمصطلح القدس الشريف

<sup>158</sup> سعيد، إدوارد. "غزة - أريحا" سلام أمريكي. دار المستقبل العربي: القاهرة، 1995م، ص68.

خوفاً من أن يكون المقصود به الحرم القدسي فقط، إلا أن الممارسة والأداء على الأرض مغاير، فأراضي القدس صودر معظمها ولا تزال عملية المصادرة مستمرة، وبيوت القدس تباع، وشباب القدس يذوب وينصهر في المجتمع الصهيوني والقدس أرضاً ومواطنين وثقافة تسليخ عن باقي الأراضي والمواطنين الفلسطينيين، وهود أمام أعين الجميع، والكل بما فيهم (حماس) يقف عاجزاً عن فعل شيء، باستثناء الحديث عن أن القدس هي بوابة السماء وعاصمة الأرض وقبلة المسلمين الأولى، ومسرى ومعراج محمد صلى الله عليه وسلم، والتي لا يمكن التفريط بها. وعلى الأرض يُفَرِّطُ بها وتترك نهباً لإسرائيل، إلى حد تجرأ معه الإسرائيليون، وفي معرض الحديث عن مصير القدس في المفاوضات على الحديث عن إجراء استفتاء للسكان العرب ورجحوا أنهم سيختارون البقاء تحت الحكم الإسرائيلي خاصة، بعد أن رأوا سوء أداء السلطة الفلسطينية. وهنا لتوضيح طبيعة أداء (حماس) في القدس نكتفي بطرح الأسئلة الآتية :-

\* هل عملت (حماس) على توفير فرص عمل للعاطلين عن العمل؟

\* هل أقامت (حماس) مشروعاً اقتصادياً واحداً في القدس؟

\* هل منعت بيع بيت من بيوت القدس؟ التي وحسب شهادة د. جامعي من القدس "بيع بعضها بشمة حشيش أو كوكايين"<sup>159</sup>.

\* هل عملت أو نجحت في تأطير عدد مقبول من أبناء القدس في عملها الوطني والنضالي والسياسي؟

وفي هذا الجانب بالتحديد ومن أجل الموضوعية تبدو (حماس) أفضل من غيرها.

هل استصلحت أراضي مهددة بالاستيطان؟

هل وهل... ستبدو الأسئلة طويلة وكبيرة، ولا إجابات إيجابية أو مقبولة لها، لذا فالنتيجة وحده لا يبدو مقبولاً

من حركة تحرر وطني هي الآن في موقع القيادة، وفي موضوع غاية في الأهمية والحساسية ويرتبط بمصير الأرض

والإنسان.

<sup>159</sup> د. نظمي الجعبة، مدير مؤسسة الرواق، وأستاذ سابق لمادة التاريخ في جامعة بيرزيت.

## د- تفجير واستثمار الطاقات الفلسطينية

وفي سياق الحديث عن الإنسان الفلسطيني مقدسياً كان أم غير مقدسي، فلا بد لنا من الوقوف على قضية هامة مرتبطة بمدى استثمار أو تدريب أو تفجير الطاقات الإنسانية الفلسطينية بشكل منهجي، فعلى الرغم من اهتمام (حماس) بالشباب سيما طلاب الجامعات منهم وإقامة العديد من المؤسسات التعليمية إلا أن التساؤل هنا يدور عن دور (حماس) في تفجير وتطوير الطاقات الإنسانية الفلسطينية، بشكل منهجي ومهني وبما يخدم الهدف الرئيسي "التحرر الوطني"، ومدى استثمارها وتجنيدتها للطاقات الموجودة أصلاً.

(حماس) لها حضور واضح في الجامعات والمعاهد التعليمية، والكتل الإسلامية ذراعها الطلابي ينشط بشكل كبير في استقطاب وتطوير الطاقات الشابة لكن هذا التطوير عام ويفتقر إلى المهنية والتخصص، والساحة الفلسطينية تكاد تخلو من مراكز التدريب أو المؤسسات الشبابية، باستثناء الأندية الرياضية والاجتماعية والثقافية العامة، ذات الأهداف والبرامج المحددة، والتي تعني باستنهاض وتطوير وصياغة الطاقات الفلسطينية المحسوبة على (حماس)، فلا برامج ولا مؤسسات مهنية مهتمة بتدريب صحفيين أو إداريين أو إعلاميين أو باحثين أو قيادات أو اللغات... إلخ ويقتى الشباب الفلسطيني، سيما المؤيد والمحسوب على (حماس)، غارقاً في العموميات بعيداً عن المهنة الحقة، التي تساعد على تحديد الأهداف أو الوصول إليها، فأنت لا تكاد تجد صحفياً أو شاعراً أو أديباً أو حتى خطيباً مميزاً وناجحاً بشكل كاف ليخدم الهدف بالشكل المطلوب وإعلاميو (حماس) في معظمهم لا يملكون ناصية الخطاب الإعلامي والسياسي الناجح ويتحدثون غير العربية بصعوبة بالغة، والنقص في الكوادر المهنية سمت بارز وفي جوانب مختلفة إدارية، إعلامية وأكاديمية في بعض الجوانب.

هذا في جانب الإعداد، أما ما هو أكثر ضعفاً، وبالتالي أكثر استغراباً، فهو في جانب استثمار أو استغلال ما هو موجود أصلاً من طاقات، فكثير من الطاقات المهنية على قتلها لا يتم استثمارها بالشكل المطلوب، فعدد ليس بالقليل من المهنيين لا يجدون لهم مكاناً في أوساط (حماس) أو بالأحرى لا يجدون لهم عملاً محددًا يتناسب مع إمكاناتهم وطاقاتهم، ولعل ذلك عائد بالأساس إلى افتقار التنوع في المؤسسات، وتركيز (حماس) على المؤسسات الخيرية والتعليمية هذا في الجانب العام، ويبدو الحال مشابهاً إلى حد كبير في العمل التنظيمي الداخلي فالعمل

المؤسسي المختص لا يبدو حاضرا، ودوائر العمل تفتقد أحيانا كثيرة إلى المهنية، والاختيار للمء المواقع والمناصب لا يتم وفق معايير محددة في كثير من الأحيان، فمدراء مؤسسات خيرية كبيرة تابعة لـ (حماس) يفتقرون إلى التخصص والمهنية<sup>160</sup>، والناطقون باسم (حماس) أو من يخولون بالتعامل مع الإعلام لا يبدو أنهم خضعوا حتى لدورات متخصصة ومهنية، ناهيك عن الدراسة العلمية، لذا تجد جوانب متعددة من العمل تفتقد إلى المهنية وتأخذ طابع الارتجال والتحريب.

### هـ - الحفاظ على الثوابت وعزل العدو ومحاصرته وإبقاء جذوة الصراع مشتعلة

إن من أولويات البرامج الوطنية الحفاظ على الثوابت وتعزيزها وترسيخها على الأرض وفي الأذهان حتى تصبح ثقافة بل أكثر، بمعزل عن المناورة السياسية والتكتيكات المرحلية، ولـ (حماس) في هذا المضمار دور بارز وواضح فعلى الرغم مما أبدته من براغماتية في مراحل مختلفة، إلا أنها كانت دائمة التمسك، والتأكيد على الثوابت الفلسطينية رافضة كل الضغوط الداخلية والخارجية التي مورست عليها لثبها عن ذلك وخفض سقف ثوابتها، وقد دفعت في سبيل ذلك الكثير واتهمت بألوان مختلفة من التهم، إلا أن ذلك لم يؤثر على مواقفها تجاه ما اعتبر ليس ثابتا فقط بل ومقدسا أيضا، فالأيدلوجيا ذات السمة الدينية التي تحملها (حماس) تضيء على ما هو وطني مسحة دينية، يصبح معها التنازل لونا من ألوان الحرام الشرعي، ففلسطين التاريخية وقف إسلامي لا يجوز التفريط في ذرة منه فالمادة الحادية عشرة من الميثاق تنص "تعتقد حركة المقاومة الإسلامية أن أرض فلسطين أرض وقف إسلامي على أجيال المسلمين إلى يوم القيامة، لا يصح التفريط بها أو بجزء منها أو التنازل عنها أو عن جزء منها، ولا تملك ذلك دولة عربية أو كل الدول العربية، ولا يملك ذلك ملك أو رئيس، أو كل الملوك والرؤساء، ولا تملك ذلك منظمة أو كل المنظمات سواء كانت فلسطينية أو عربية، لأن فلسطين أرض وقف إسلامي على الأجيال الإسلامية إلى يوم القيامة. هذا حكمها في الشريعة الإسلامية، ومثلها في ذلك مثل كل أرض فتحها المسلمون عنوة، حيث وقفها المسلمون زمن الفتح على أجيال المسلمين إلى يوم القيامة<sup>161</sup>، والقدس مسرى الرسول "صلى الله عليه وسلم" ومعراجه، واللاجئون وحققهم في العودة حق مكفول شرعا وقانونا ولعل هذا الربط بين الديني والوطني، وإن قاد

<sup>160</sup> مدراء الجمعيات الخيرية في الخليل ورام الله ونابلس.

<sup>161</sup> ميثاق حركة المقاومة الإسلامية.

في بعض الأحيان إلى الجمود السياسي فقد شكل في الجمل صمام أمان، حال دون التنازل عمّا هو ثابت وإستراتيجي، وأدبيات (حماس) وخطابها السياسي والديني وحتى الثقافي زاخر بالتأكيد على هذه الحقوق والثوابت، وبالتحذير من أي تفريط، لا ويل بالاتهام لكل من تنازل أو فكر بالتنازل عن شيء منها.

هذه المبدئية أو الإصرار في التعامل مع الثوابت الوطنية، حتى بعدما وصلت (حماس) إلى الحكم أو السلطة، قاد في النهاية إلى زيادة في التقدير والاحترام والالتفاف الجماهيري حول (حماس)، فقد بدت (حماس) الجدار الأخير والعقبة الكأداء في طريق التنازل والتفريط، وكثيرا ما شكلت هذه المواقف وما زالت مادة نظيرية قوية لقيادات وكوادر وأعضاء (حماس) في كافة مواقع تواجدهم. وبموازاة ذلك فقد عملت (حماس) بكل وسيلة متاحة على عزل العدو والاستمرار في فضح ممارساته، والوقوف في وجه تسويقه فلسطينيا وعربيا وإسلاميا، فقد كانت هذه القضية على درجة عالية من الأهمية خاصة في الفترة التي تلت توقيع اتفاقية أوسلو ووادي عربة وحملة التطبيع في العلاقات مع الداخل الفلسطيني والعالمين العربي والإسلامي، فقد حاولت إسرائيل بالتعاون مع أطراف محلية وإقليمية ودولية أن تسوق نفسها وتبني علاقات رسمية وشعبية، إلا أن ذلك لم يقدر له النجاح وبقي محدود ومحاصرا وذلك لأسباب عدة، لسننا بصددها الآن، من بينها لا بل من أبرزها دور (حماس)، وبالتعاون مع عدد من الأحزاب والحركات في العالم العربي والإسلامي، في الوقوف في وجه التطبيع خاصة على الصعيد الشعبي، وكذلك إصرار (حماس) على المقاومة رغم فداحة الثمن الذي دفعته، مما أبقى إسرائيل في أعين العرب والمسلمين على حالها كعدو، لا يمكن أن يتحول باتفاقات رسمية إلى صديق، كما عملت (حماس) على شرح واقع الاحتلال على المستوى الدولي عبر وسائل عدة. وفي هذا المضمار أيضا يسجل لـ (حماس) حفاظها على جذوة الصراع مع المحتل حتى في ذروة لحظات الهدوء أو الاستقرار، وعدم تنازلها عن الحق في المقاومة، ما دام هناك حقوق مشروعة مسلوبة، مما كان له أبلغ الأثر في الإبقاء على ثقافة المقاومة، وساعد على صمودها في وجه "ثقافة السلام" التي أرادت إلغاء الذاكرة الوطنية أو تشويهها عبر وسائل وطرق منهجية تربوية تبدأ بالصغار وتنتهي بالكبار، وعبر مؤسسات ضخمة مولت بأموال طائلة وطاقات كبيرة<sup>162</sup>، فقد أصبحت أهم المدن التي يدرس حولها طلاب المدارس هي الخليل ونابلس ورفح وبيت

<sup>162</sup> على سبيل المثال، مركز بيرس للسلام، والمناهج الفلسطينية، وتحالف السلام الفلسطيني الإسرائيلي وغيرها.

لحم، وأصبحت إسرائيل يعبر عنها بإحدى دول الجوار، حيث علل كتاب التربية الوطنية للصف الثامن الأساسي معاناة الشعب الفلسطيني بسبب نقص المياه بأنه عائد في أحد أسبابه إلى سحب المياه الجوفية الفلسطينية من قبل الدول المجاورة<sup>163</sup>.

وقد ظهرت آثار هذا الصمود الثقافي والمبدئي، عند انطلاق انتفاضة الأقصى عام 2000م حيث أظهر الشعب الفلسطيني التحاماً فاق كل تصور بقضاياه المصرية، وبدا أن كل ما بذل من جهود خلال السنوات السبع التي سبقت هذه الانتفاضة لحرف بوصلته وتدجينه قد ذهبت أدراج الرياح.

لكن ذلك لا يعود لـ (حماس) فقط ودورها، فالشعب الفلسطيني أصيل بطبيعته وفطرته وعهدنا فيه دائم في السبق والتقدم على قيادته، لكن (حماس) كان لها الدور الأبرز في هذا الموضوع، ويتجلى ذلك في ظاهرة ما بات يعرف بالعمليات الاستشهادية، وهذا الإقبال الكبير على الشهادة الناجم بالأساس عن الثقافة الوطنية ذات النزعة الدينية التي لم تتوقف (حماس) عن الدعوة والتنظيم لها، وتبدو هذه الثقافة واضحة إلى درجة أن جميع الفصائل الفلسطينية وحتى اليسارية منها قد قامت ودافعت عن هذه العمليات، في محاولة إلى التجاوب مع مزاج وثقافة الشارع والخطاب الديني لمنفذي العمليات الاستشهادية من جميع الفصائل يؤكد على ذلك.

---

<sup>163</sup> منهاج التربية الوطنية، صادر عن الإدارة العامة للتدريب والتأهيل والإشراف التربوي في وزارة التربية والتعليم العالي، السلطة الوطنية الفلسطينية.

## الوحدة الوطنية وتقوية الصف الداخلي

تعتبر الوحدة الوطنية من أهم الأسس والمبادئ والقيم لبرامج حركات التحرر الوطني. فوحدة الصف الداخلي هي الضمانة الأساسية للصمود في المعركة أو كسبها أو لإنجاز الحقوق، وقد أدركت حركة (حماس) ذلك مبكراً، وخاطبت الآخرين انطلاقاً من هذا الفهم، واشتملت أديباتها المختلفة على ما يؤكد حرصها على الوحدة الوطنية وقداستها والمادة الخامسة والعشرون من ميثاقها تلخص موقفها من القوى الفلسطينية المختلفة بالتالي:

"الحركات الوطنية على الساحة الفلسطينية تبادلها الاحترام، وتقدر ظروفها، والعوامل المحيطة بها، والمؤثرة فيها، وتشدد على يدها ما دامت لا تعطي ولاءها للشرق الشيوعي أو الغرب الصليبي وتؤكد لكل من هو مندمج بها أو متعاطف معها بأن حركة المقاومة الإسلامية حركة جهادية أخلاقية واعية في تصورهما للحياة، وتحركهما مع الآخرين، تمتت الانتهازية ولا تتمنى إلا الخير للناس أفراداً وجماعات، لا تسعى إلى مكاسب مادية، أو شهرة ذاتية وما يتوافر لها ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ (الأنفال: 60) لأداء الواجب، والفوز برضوان الله، لا مطمع لها غير ذلك.

وتطمئن كل الاتجاهات الوطنية العاملة على الساحة الفلسطينية، من أجل تحرير فلسطين، بأنها لها سند وعون، ولن تكون إلا كذلك، قولاً وعملاً، حاضراً ومستقبلاً، تجمع ولا تفرق، تصون ولا تبدد، توحد ولا تجزئ، تثنى كل كلمة طيبة، وجهد مخلص، ومساعٍ حميدة، تغلق الباب في وجه الخلافات الجانبية، ولا تصغي للشائعات والأقوال المغرضة، مع إدراكها لحق الدفاع عن النفس.

وكل ما يتعارض أو يتناقض مع هذه التوجهات فهو مكذوب من الأعداء أو السائرين في ركابهم بهدف البلبلة وشق الصفوف والتلهي بأمور جانبية. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِيبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (الحجرات: 6)<sup>164</sup>.

<sup>164</sup> ميثاق حركة حماس، المادة (25).



وسنحاول في هذا الباب الوقوف على موقف حركة (حماس) من الفصائل المختلفة (الموقف النظري والعملية) وكيف أثر هذا الموقف على الحالة الفصائلية الفلسطينية، علماً بأن الصفة العامة هي حرص (حماس) على الوحدة بشكل كبير وملحوظ.

ونظراً للعدد الكبير نسبياً للفصائل (13 أو أكثر) فقد اجتهدنا أن نقسمها إلى ثلاثة أقسام (العلمانية، الإسلامية، واليسارية) بالإضافة إلى شرح العلاقة مع منظمة التحرير الفلسطينية وفي جميع الحالات فنحن نعني الفصائل الفاعلة والعاملة على الساحة الفلسطينية.

### أ. منظمة التحرير الفلسطينية "م.ت.ف"

موقف حركة (حماس) من م.ت.ف اتسم بالاعتدال، وهذا يبدو واضحاً في المادة السابعة والعشرون من ميثاقها "منظمة التحرير الفلسطينية من أقرب المقربين إلى حركة المقاومة الإسلامية، ففيها الأب أو الأخ أو القريب أو الصديق، وهل يجفو المسلم أباه أو أخاه أو قريبه أو صديقه. فوطننا واحد ومصابنا واحد ومصيرنا واحد وعدونا مشترك".

وتأثراً بالظروف التي أحاطت بتكوين المنظمة، وما يسود العالم العربي من بلبلة فكرية، نتيجة للغزو الفكري الذي وقع تحت تأثيره العالم العربي منذ اندحار الصليبيين، وعززه الاستشراق والتبشير والاستعمار، ولا يزال، تبنت المنظمة فكرة الدولة العلمانية وهكذا نحسبها. والفكرة العلمانية مناقضة للفكرة الدينية مناقضة تامة، وعلى الأفكار تُبنى المواقف والتصرفات، وتتخذ القرارات.

ومن هنا، مع تقديرنا لمنظمة التحرير الفلسطينية - وما يمكن أن تتطور إليه - وعدم التقليل من دورها في الصراع العربي الإسرائيلي، لا يمكننا أن نستبدل إسلامية فلسطين الحالية والمستقبلية لتسبني الفكرة العلمانية، فإسلامية فلسطين جزء من ديننا ومن فرط في دينه فقد خسِر. ﴿وَمَنْ يَرْغُبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ (البقرة: 130). ويوم تتبنى منظمة التحرير الفلسطينية الإسلام كمنهج حياة، فنحن جنودها ووقود نارها التي تحرق الأعداء. فإلى أن يتم ذلك - ونسأل الله أن يكون قريباً - فموقف حركة المقاومة الإسلامية من منظمة

التحرير الفلسطينية هو موقف الابن من أبيه والأخ من أخيه والقريب من قريبه، يتألم لأنه إن أصابته شوكة، ويشد أزره في مواجهة الأعداء ويتمنى له الهداية والرشاد.

أحاك أحاك إن من لا أخاً له كساع إلى الهيحا بغير سلاح

وإن ابن عم المرء - فاعلم جناحه وهل ينهض البازي بغير جناح"165.

وكان الموقف باستمرار أقرب إلى الاهتمام بها والرغبة في الحفاظ عليها، و أحيانا المشاركة فيها، ولم تكن (حماس) يوما داعية إلى القضاء على م.ت.ف أو إلغاء وجودها، بل كانت مواقفها وانتقاداتها تتجه باتجاه موقف وقرارات م.ت.ف سواء سلبا أم إيجابا، فهي من حيث المبدأ لم تكن محل رفض، فالموقف هنا مغاير تماما من (السلطة الأوسلوية) هذا الموقف يبدو ناجما عن إدراك (حماس) وتقديرها لدور م.ت.ف تجاه القضية الفلسطينية وكون م.ت.ف -وإن استغلت في معظم الأحيان وهيمنت عليها حركة فتح- تمثل حل التنظيمات الفلسطينية التي يلتقي بعضها في بعض الأوقات على بعض القضايا مع (حماس) ناهيك عن كونها إنجازا وطنيا تاريخيا.

هذا الموقف من م.ت.ف يقود إلى طرح تساؤل موضوعي: لماذا لم تشارك (حماس) أو تنخرط في م.ت.ف؟ واستنادا إلى الموقف النظري السابق، ولأن رفض المشاركة ليس مبدئيا؛ فلعل من أهم العوامل والأسباب التي حالت بين (حماس) وم.ت.ف ما يلي:

أ- طبيعة ومدى جدية الدعوات المتكررة لمشاركة (حماس) في م.ت.ف؛ فالمدقق يتضح له أن طابع هذه الدعوات في معظم الأحيان كان دعائياً، يخلو من الجدية، ويأتي في سياق المنافسة أو المناكفة السياسية التي تهدف إلى أمور كثيرة، آخرها -ولعل أبعدها أيضا- الرغبة الحقيقية في إشراك (حماس) بشكل جدي وفعال في المنظمة<sup>166</sup>. ومما يدعم ذلك أن الدعوات التي طرحت لم تتابع بشكل حثيث وجدي، وإنما طرحت وانتظر الرد عليها لكي يُرد على الرد في وسائل الإعلام، وتسجل المواقف ويشهر بها، كذلك هيمنة عرفات أو (فتح) على م.ت.ف وما عرف من رغبة دائمة في التفريق، والحيلولة دون أي تقارب

<sup>165</sup> ميثاق حركة حماس، المادة (27)

<sup>166</sup> عبد الكريم، قيس وآخرون. القبض المنقوبة "نظرة على المفاوضات والحركة الجماهيرية من مجيء نتنياهو الى بروتوكول الخليل. شركة دار التقدم العربي للطباعة والنشر: بيروت، 1999م، ص113.

بين الفصائل بهدف إبقاء هيمنته الشخصية وأحيانا الفتحاوية<sup>167</sup>، فهو وإن رغب في مشاركة أحد في المنظمة، فلا ينبغي أن تكون هذه المشاركة حائلا أو متعارضة مع هيمنته الدائمة على المؤسسة. والتاريخ الفلسطيني حافل بالانشقاقات ودور عرفات غير غائب عن كثير منها.

ب- عدم رغبة بعض الفصائل في مشاركة حركة (حماس)، لما تشكله هذه المشاركة من خطر على دورها في المنظمة، وهذا يفسر عدم بذل هذه الفصائل لأية جهود جدية للضغط من أجل مشاركة (حماس)، أو طرح أية مبادرات أو صيغ يمكن أن تسهل أو تسرع في هذه المشاركة.

ت- تزامن توجيه الدعوات لمشاركة (حماس)، مع بداية الانحدار في بنية وبرامج م.ت.ف؛ فقد بدت المنظمة في أضعف صورها وأهزلها فكثير من مؤسساتها خربت أو أغلقت، وما بقي منها أهمل، وبرنامج المنظمة الوطني بات على حافة حده الأدنى، هذا الوضع تزامن أيضا مع بداية سطوع نجم (حماس)، ومع ذروه عطائها الوطني، بمبادئها التي ترفض التنازل عن أي منها، فبرنامج الحركة الفتية حديثة النشأة، يقف في حدة الأدنى عن الحد الأقصى لبرنامج م.ت.ف في حينه، وميثاق (حماس) الجديد يؤكد على كل القضايا التي تم تجاوزها في ميثاق م.ت.ف قبل وبعد تعديله.

ث- الأخطاء التاريخية وإن كانت محدودة في تاريخ م.ت.ف وما تركته من انطباعات الأوساط الشعبية الفلسطينية والعربية والإسلامية، والمرتبطة في بعض الأحيان بتجاوزات خطيرة، وأخطاء فادحة وكذلك صورة عدد من كوادرها وقياداتها. فالتجربة الأردنية واللبنانية وحتى المحلية، تركت بصمات لا تحصى بكثير من الرضا، فالتدخل في الشؤون الداخلية، والفساد الإداري والمالي والأخلاقي أحيانا -مع التأكيد على أن هذا ليس هو الجانب الأبرز في م.ت.ف- كل ذلك قاد إلى التردد في الانخراط في هذه المؤسسة، خاصة وأن (حماس) ما زالت لم تنزلق لأي من هذه المنزلاقات، فصورها لا تزال براقعة، تبدو كحركة مقاومة نظيفة ليس لقادتها أهداف خاصة، ولا تبحث عن مواقع وإنجازات مادية وسلطوية وكوادرها نظيفو اليد، ومؤسساتها بعيد عن البذخ والفساد.

<sup>167</sup> سالم، وليد. المسألة الوطنية الديمقراطية في فلسطين. المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية "مواطن": رام الله، 2000م، ص152.

ج- رغبة (حماس) في التمايز: الاعتبارات السابقة وأخرى داخلية ولدت لدى (حماس) رغبة في الحفاظ على ما اعتبر تمايزاً أو خصوصية، تمايزاً في الطرح والمبادئ، وفي المواقف والأداء، وفي نمط القيادة والقادة وحتى العناصر، فكثرة الحديث حتى من قبل غير الإسلاميين، عن النزاهة ونظافة اليد وقلة التكاليف التي دفعت الناس للتوجه للمؤسسات الإسلامية التي شكلت بدائل عالية التنظيم والفعالية لمثيلاتها الوطنية<sup>168</sup>، عزز موقف تيار الرفض والمعارضة داخل (حماس) التي تصر على الحفاظ على الخصوصية وتؤمن بفكرة البدائل، بدائل إسلامية حماسية لكل شيء، المؤسسات والمبادئ والشعارات والقيادة لكي لا تتأثر بأي سلبيات أو روااسب من ماضي الآخر.

هذا بالإضافة إلى أن الكثيرين يرون في (حماس) وليداً وورثاً للإخوان في فلسطين والحالة المتقدمة لها، وهي بذلك لا تحتاج إلى أحد لا من أجل الشرعية، ولا التجربة، ولا حتى المساندة؛ فالإخوان مصدر شرعية وسند وحاضنة كافية لـ (حماس)، ومشروعها الحضاري أكبر من أي مشروع آخر.

قد تبدو المبررات السابقة منطقية ومقبولة على قطاع كبير من الناس لكنها، لا تبدو كذلك بل وتبدو واهية، إذا ما قورنت بغيرها من المبررات، بل الضرورات، التي توجب المشاركة بل والانخراط في م.ت.ف. ومؤسستها، تلك الضرورات الوطنية، التي تأخذ مصلحة الوطن والقضية أولاً، وتقدمها على كل اعتبار، لذلك نجد أن ما نسبته 40% من أعضاء (حماس) يؤيدون المشاركة في م.ت.ف. رغم أن 43% منهم يرونها مؤسسة مهترئة ولا تستطيع عمل الكثير للقضية الوطنية<sup>169</sup>. هذا من جهة ومن جهة أخرى المصلحة الحزبية لـ (حماس)، وإمكانية أن تشكل م.ت.ف. إسناداً لها في أكثر من ساحة وميدان، كما أن هذه المبررات إن بدت صالحة لفترة زمنية محددة فإنها وبالتأكيد لا تبدو صالحة دائمة، ولا تخدم المصلحة في مراحل وفترات زمنية أخرى، فإذا كانت هذه المبررات منطقية في بداية انطلاق (حماس) و أوائل التسعينيات، فإنها ليست كذلك الآن، بل ومنذ سنوات فالمواقف والوقائع والمعطيات تغيرت مع انتفاضة الأقصى وحتى قبلها، ولذا أضحي لزاماً على (حماس) إعادة النظر في مواقفها ويبدو أنها أدركت ذلك وهي الآن تلح وتضغط من أجل هذه المشاركة وذلك للاعتبارات التالية :

<sup>168</sup> أبو عيد، مصدر سبق ذكره. ص37؛ أبو طه، مصدر سبق ذكره. ص388.

<sup>169</sup> استبانة النقب، 2004/5/1م.

أ- م.ت.ف مؤسسة فلسطينية وطنية كبيرة وبالغة الأهمية تقوم على رعاية شؤون مختلفة للشعب الفلسطيني، وفي معظم أماكن تواجده، وهي قامت سابقا ومؤهلة لأن تقوم، إذا ما تم التعامل معها بإيجابية وحديثة، بدور مميز في رعاية شؤون الفلسطينيين في شتى المجالات ( الاقتصادية، الاجتماعية... إلخ).

ب- أنجزت (م.ت.ف) وأحرزت حضوراً دولياً غير مسبوق، لا يمكن تجاهله، أو التقليل من شأنه، فمكاتبها وممثليها المنتشرة في أرجاء ودول العالم المختلفة شاهدة على ذلك وهي بذلك تشكل منبرا فلسطينيا متميزا، وتفتح لمن يريد خدمة قضيته، والعمل من أجلها أبوابا كبيرة ومتعددة، وتساعد على الولوج إلى ميادين عمل واحتكاك من شعوب العالم ودورها.

ت- الاعتراف العربي والدولي بـ م.ت.ف كمثل للشعب الفلسطيني، هذا التمثيل الذي بذلت جهود كبيرة وكثيفة من أجل إنجازه، لا يمكن لأحد إغفاله أو تجاوزه، كما أنه ليس من الحكمة تجاهله، خاصة على الصعيد الدولي فتمثيل م.ت.ف للشعب الفلسطيني في أكثر من محفل أو مؤسسة سيما الأمم المتحدة، لا ينبغي الاستخفاف به أو التقليل من شأنه بل لا بد من استثماره بأقصى طاقة ممكنة، ولكي يصبح أقوى حضورا وأعمق أثرا، لا بد ألا يشكك أحد فيه ابتداء، ولا بد أن يكون تمثيلا شاملا ثانيا، فقد لاقت الدولة التي أعلنت عنها م.ت.ف في دورة المجلس الوطني في الجزائر في 15\11\1988م (دورة الانتفاضة) اعترافا قانونيا وواقعا من أكثر من مئة دولة كما اعترفت بها الأمم المتحدة<sup>170</sup>.

ث- الموقف الحماسي القاضي بأن المشاركة في م.ت.ف ستضفي شرعية على قرارات أو تنازلات م.ت.ف المرتبطة بالعملية السلمية، وستعزز موقف تيار التفاوض؛ هذا الموقف لا يبدو منطقيا. والواقع أكد عدم جدوى هذا الموقف فإذا كان الحديث عن الشرعية الرسمية أو الدولية فهي لا تتأثر بحضور فصيل ما أو غيابها والشرعية الشعبية أيضا لا ترتبط بكونك في م.ت.ف أو خارجها، بل بمدى تأييد ومعارضة ما يطرح شعبيا.

وفي حال ج.ش.و.ج.د.مثال، وان لم يكن مثاليا على إمكانية المعارضة من خلال م.ت.ف، وأنا أعتقد بأن هذه المعارضة ستكون أجدى وأكثر فائدة فيما لو كانت (حماس) بثقلها حاضرة في أروقة م.ت.ف المختلفة.

كما أن الناس لديهم المقدرة على التمييز بين المواقف، ومدى مصداقيتها وهذه المقدرة لن يضلها وجود الفصيل داخل م.ت.ف أو خارجه، فأنصار (حماس) ومؤيدو نهجها سيبقون كذلك، بل وقد يزدادون عددا وعدة حتى وإن كانت داخل أطر م.ت.ف.

والرغبة في الحفاظ على التمايز والخصوصية، وهو ما سبق الإشارة إليه، أمر مرتبط بعوامل عدة ذاتية وموضوعية، قد يكون آخرها وأضعفها المشاركة في م.ت.ف وعدمها، إذ الأيدولوجيا والبرامج والمواقف والأداء والظروف المحلية والدولية... إلخ كلها عوامل هامة، وأساسية للحكم على الحركة أو الفصيل، كما أن (حماس) تجاوزت المرحلة التي تحتاج فيها إلى إظهار التمايز والاختلاف أو الفرق بينهما وبين غيرها، ولم يعد هناك خوف من الاختلاط مع الآخر، بل لعل في ذلك فائدة للآخرين ومدخلا للتأثير وكذلك التأثير الإيجابي.

واعتمادا على ما سبق، فإن (حماس) لا بد لها من المبادرة والعمل بشكل جاد للاشتراك والانخراط في م.ت.ف بكل مؤسساتها. ولا بد لها من مقابلة عدم الجدوية في الدعوة لهذه المشاركة من قبل الآخرين، بجدية في طرح المشاريع والأشكال الملائمة لهذه المشاركة، وهو ما لم تفعله (حماس) حتى الآن، فهي لم تبادر إلى طرح صيغ محددة لمثل هذه المشاركة.

ويزداد هذا الموضوع إلحاحا بعد الواقع، أو الوقائع التي أفرزتها انتفاضة الأقصى، فالوحدة الفصائلية الميدانية، والتغييرات الداخلية في السلطة وفتح، والثقل السياسي (المحلي والدولي والميداني) الذي أنجزته (حماس)، والمواقف المتشددة للاحتلال... إلخ من المعطيات، جعلها يدفع بهذا الاتجاه، ويزيد من الحاجة إليه، ويقلل بل يكاد يلغي المخاوف التي كانت موجودة.

## ب. حركة التحرر الوطني الفلسطيني (فتح).

بات من المعلوم لكل مهتم، أن عددا من قيادات ومؤسسي حركة فتح، خرجوا من صفوف جماعة الإخوان المسلمين في فلسطين، وأن الأمر اختلط على البعض في البداية (كدول الخليج) لدرجة اعتبر فيها حركة فتح حركة إخوانية. كما أن فتح في مراحلها الأولى وفي أديباتها المختلفة لم تطرح ما يتعارض مع الدين الإسلامي، ورفعت شعارات جذبت واستهوت جل أبناء الشعب الفلسطيني. بما فيهم الإخوان المسلمون، مما دفعهم في فترة ما إلى العمل في الميدان الوطني من خلال حركة فتح وفي ظلها، كما حدث فيما يسمى بمعسكرات الشيوخ في الأردن في نهاية الستينات من القرن الماضي.

هذه النظرة أو العلاقة الايجابية مع فتح استمرت إلى حين بدأت تنضج أكثر معالم المشروع السياسي الوطني لحركة فتح، كحركة تحرر وطني، وصولاً إلى إمكانية التفاوض مع العدو، هذا بالإضافة إلى الكثير من الممارسات والمسلكتيات على الساحة الداخلية والخارجية من قبل فتح، والتي اعتبرها الإخوان تضر بالقضية والوطن وأبنائه، من هنا بدأت معالم الخلاف والاختلاف تظهر أو تزداد وضوحاً، ودخلت الحركتان ومع نهاية عقد السبعينيات مرحلة المنافسة والخصومة والتضاد، في ميادين العمل المختلفة، بدءاً بالعمل الاجتماعي ومروراً بالعمل النقابي وانتهاء بالبرامج السياسية.

انطلاقة الانتفاضة الفلسطينية الأولى عام 1987م وضعت حركة فتح، والتي تتزعم م.ت.ف. وذراعها الانتفاضي القيادة الموحدة، وحركة الإخوان المسلمون التي باتت تمثلها على الساحة الفلسطينية حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، على طرفي المعادلة في الساحة الفلسطينية وبدت نقاط الخلاف أكثر وضوحاً، وأصبحت مدخلا للتظير والتحريض، وأحيانا الاعتداء المتبادل، وسجل الاعتداءات، الذي كان لفتح فيه نصيب الأسد، في الميادين المختلفة (الجامعات، السجون، الشوارع، الأحياء... إلخ) حافل بالأحداث المؤسفة والتي كان بعضها دمويًا<sup>171</sup>.

لكن بعد سنوات قليلة من الانتفاضة فرض أمر واقع، أجبر الجميع وبالذات فتح على الإقرار بأن (حماس) غدت قوة لا يمكن تجاهلها، ولا بد من التعامل معها على هذا الأساس.

<sup>171</sup> حدثت احتكاكات "طوش" عنيفة في جامعة بيرزيت وجامعة النجاح وفي عدد من السجون.

مما سبق يمكننا أن نوجز مراحل العلاقة بين الإخوان المسلمين أو (حماس) في ثلاثة مراحل رئيسية:-

- المرحلة الأولى: الممتدة منذ انطلاقة فتح عام 65 وحتى أواسط السبعينيات، التي اتسمت بالتفهم والتفاهم أو الرضا.

- المرحلة الثانية: الممتدة من نهاية السبعينيات وحتى أوائل التسعينيات وما بعد انطلاقة حركة (حماس) بسنوات قليلة، التي اتسمت ببروز معالم الاختلاف والمنافسة العنيفة.

- المرحلة الثالثة والقائمة حتى اليوم فيمكننا تسميتها بمرحلة التعايش التي وصل فيها كل طرف إلى قناعة بعدم إمكانية استئصال أو إلغاء أو تهميش الطرف الآخر، خاصة بعد الانتخابات البرلمانية التي جرت في كانون ثاني 2006م، وهذا النمط من العلاقة يسير ما بين مد وجزر أقصاه التنسيق المشترك وأدناه الصدام المحدود.

إذا العلاقة لم تصل يوماً إلى حد التحالف، بل لم تصل إلى حد التنسيق العالي المستوى أو الإيجابي والمهادف والصادق النوايا، والعلاقة كانت سمتها العام التنافس والاختلاف والشك، ويمكننا الاجتهاد في التوصل إلى العوامل والأسباب الكامنة وراء هذا الفتور في هذه العلاقة وعدم النجاح في تطويرها أو الارتقاء بها وتتلخص هذه الأسباب أو العوامل في الآتي :

أولاً: التنافس والصراع والرغبة في زيادة النفوذ والحد من نفوذ الآخر في الشارع الفلسطيني بمواقفه المختلفة، فالاستقطاب المستمر لقطاعات الشعب الفلسطيني المختلفة من قبل الطرفين ولّد حالة التحدي والندية، خاصة في ظل شعور فتح بخطر (حماس) الحقيقي على هيمنتها على الشارع لاعتمادها على التراث الإخواني، وكذلك اعتمادها على الخطاب الديني والوطني، بالإضافة لشعور (حماس) بأن فتح ند ومنافس صاحب ثقل حقيقي ونفوذ واسع.

هذا التنافس اتخذ أشكالاً عدة وفي ساحات مختلفة، فمن الانتخابات النقيية و"الطلائية" إلى المسيرات الشعبية وفرض الاضطرابات العامة، والبرامج الوطنية، ومن ساحات الجامعات والمعاهد والمدارس إلى النقابات والمجالس المحلية والبلدية والبرلمانية، إلى القيادة السياسية، كل هذه الميادين كانت ميادين تنافس، خاضت فيها



الحركتان معارك ساخنة لاستدعاء التأييد وكسب الثقة وود الشارع الفلسطيني، وفي مثل هذا الواقع لا يمكن للمنافسة والتحدي إلا أن يكونا الحاضرین، ولا يمكن للتحالفات والتفاهات إلا الغياب والانحسار.

ثانياً: انطلاقاً (حماس) وازدياد شعبيتها ونفوذها، تزامن مع تسارع كبير في توجه فتح نحو البحث عن الحلول السلمية والركوب في القطار الأمريكي، ونتيجة لهذه الحالة وفي ظل انحسار القوى الفلسطينية الأخرى سيما اليسارية منها، فقد تبلور وبشكل واضح نهجان في الشارع الفلسطيني، نهج الحلول السلمية والمفاوضات، والقبول بما هو ممكن، وتزعمه فتح، ونهج المقاومة ورفض المساومة، أو التنازل عن أي من الحقوق التاريخية للشعب الفلسطيني غير آبه بالتغيرات الدولية والإقليمية وحتى المحلية، الذي تزعمته دون أي منافس حركة (حماس).

هذان النهجان "البرنامجان" كانا على طريقتين، والشقة بينهما كبيرة والمسافة بينهما شاسعة، والمسافة بين فتح و(حماس) والشقة بينهما اتسعت باتساعها بين النهجين والجمود والفتور في العلاقة أو التحسن والاقتراب اقترنتا بالتقدم أو التأخر الذي يصيب أيًا من النهجين فتصعيد المقاومة من (حماس) غالباً ما كان سبباً في الصدام والخلاف، والتقدم في المسار السلمي وما يترتب عليه من تكشف لسيناريوهات الحلول المتوقعة كان يزيد من الحدة في الخطاب، ومن نبرة الهجوم والرفض حتى يصل أحياناً إلى التخوين.

ثالثاً: التنافس على السلطة: قيام سلطة الحكم الذاتي الفلسطيني، أو ما يجب الفلسطينيين تسميته بالسلطة الوطنية الفلسطينية، قاد إلى إيجاد "بروز" مرحلة جديدة من العلاقة مرتبطة باعتباريات عدة منها:

أ. شرعية السلطة وتمثيلها: هذا الموضوع كان وما زال محل خلاف بين حماس وفتح، ففي حين اعتبرت فتح السلطة ليست فقط سلطة شرعية، بل وإنجازاً وطنياً وتاريخياً غير مسبوق، ينبغي الحفاظ عليه بكل قوة، ولا يحق ولن يسمح لأحد المساس به أو إضعافه، اعتبرتها (حماس) إفرازا أو سلويا مشوها، جاء كولييد هزيل لاتفاقية سلمية غير منصفة، وكثمن بخس للتنازل عن حقوق تاريخية للشعب الفلسطيني، جاء ليخدم فئة متخاذلة مفرطة لا تمثل شعبها، ولا تعبر عن مصالحه وحقوقه، وقد عبر عن ذلك أحد أبرز قيادات ومفكري (حماس) د. إبراهيم مقادمة حين كتب يقول: لقد حاولت أن أجد لاتفاقية غزة- أريحا (أوسلو)

إيجابية واحدة فلم أجد<sup>172</sup>، وهذا ما حاولت فتح أن تنفيه بقوة ووقفت في وجهه مدافعة بكل الوسائل عن إنجازها التاريخي ومحاولة تسويقه للشعب وتدعيم وجوده، لكن تحولاً نوعياً حدث في موقف (حماس) تجاه السلطة بحلول عام 2006 لسنا بصدد نقاشه الآن.

ب. المواقف السابقة قادت إلى خلاف آخر حول ما بات يعرف "بوحداية السلطة" إذ إن موقف (حماس) المبدئي من اتفاقيات السلام ورفضها لأسلو وإفرازاته دفعها إلى محاولة تجاهل السلطة ووجودها في كثير من الأحيان واستمرت في برنامجها المقاوم، وعملياتها الفدائية غير آبهة بالتزامات السلطة الدولية وبالذات مع إسرائيل، وفي المقابل أصرت فتح على مبدأ "وحداية السلطة" وحاربت بكل قسوة أحيانا، من حاول المس أو تجاوز هذا المبدأ، وشكلت في سبيل ذلك أكبر عدد من الأجهزة الأمنية، وجمدت عشرات الألوف من العناصر الأمنية من أجل ذلك، وقد قاد ذلك إلى صدمات دموية أحيانا، مع المعارضة بشكل عام ومع (حماس) بشكل خاص.

ت. إدارة السلطة وممارستها: في فترة لاحقة وفي مواقع مختلفة خفت حدة مواجهة ومهاجمة (حماس) للسلطة، وهدأت لغة التخوين والتشكيك، وبرزت مكانها لغة الانتقاد الحاد في كثير من الأحيان لأداء وممارسة السلطة، فالفساد المالي والإداري والمحسوبة والاعتداء على الأملاك العامة والخاصة، وقمع الحريات وإرهاب الرأي الآخر... إلخ من ممارسات للسلطة الفلسطينية، كانت محل انتقاد من حماس سيما وأن معظمها موجه وبشكل أساسي لحركة (حماس) وأبنائها فقد اعتقل المئات من أبنائها، ومورس بحقهم شتى أصناف التعذيب، وأغلقت المؤسسات الخيرية والتعليمية، ومنعت الصحف من النشر والتوزيع، وصدورت الأموال، وفرضت الإقامة الجبرية على الرموز... إلخ من ممارسات قادت إلى التوتر والاصطدام بين السلطة و(حماس).

<sup>172</sup> عدوان، عاطف. الشهيد الدكتور ابراهيم مقادمة. القائد .. والداعية الجهاد. مركز أبحاث المستقبل: غزة، 2004م، ص 139.

أخيراً قد يتساءل البعض هل من الإنصاف أن تأخذ فتح بممارسات السلطة؟ والجواب يعرفه كل العالم الثالث وسلطاته وحكوماته وترداد المعرفة للإجابة إذا ما عرف السائل النمط الفتحاوي أو العرفاتي في القيادة والحكم والتحكم، إذ السلطة تختزل في فصيل أو حزب، والحزب يختزل في شخص أو مجموعة أشخاص.

### ج. الفصائل الفلسطينية الإسلامية (الجهاد الإسلامي)

منذ الأيام الأولى لانطلاقة (حماس)، وفي الصفحات والدراسات الأولى التي تحدثت عن الحركة ونشأتها أعاد الكثيرون انطلاقة أو تأسيس (حماس) إلى عوامل عدة كان من أبرزها: وجود حركة الجهاد الإسلامي كحركة مقاومة إسلامية، ذات الجذور الإخوانية، حيث انشق عدد من شباب الإخوان وأسسوا حركة الجهاد الإسلامي عام 1982م<sup>173</sup>، وكون الجهاد حركة تبنت الإسلام منهاجاً والمقاومة طريقاً في فلسطين، فقد شكل ذلك إخراجاً للإخوان ونحن هنا لسنا بصدد مناقشة هذا الموضوع تفصيلاً، لكننا نعتقد بأن هذا الموضوع وبعد تأسيس (حماس) أثر في اتجاهين:

الأول: داخل حركة الجهاد، إذ بقي شعورهم بأنهم أحرزوا قصب السبق في المقاومة الإسلامية وانتهاج ما أسموه النهج الإسلامي الثوري دافعاً لهم ومحفزاً للحفاظ على خصوصيتهم وتميزهم. والثاني: هو اعتقاد وشعور أبناء حماس بأنهم أبناء الحركة الأم (الإخوان) أي "الأصل"، وذات النفوذ والمكانة الكبيرة والشعبية الممتدة، وأن حركة الجهاد حالة طارئة جاءت بقرار متسرع مستعجل<sup>174</sup>، خاصة وأن الجهاد في السنوات التي سبقت تأسيس (حماس) لم تتمكن من إحرار شعبية أو نفوذ مؤثر بشكل فاعل، سواء تنظيمياً أو شعبياً، هذان الاعتقادان سببا نفوراً وتباعداً بين الاتجاهين، والتقارب الشديد في الأيديولوجيا والخطاب والمنطلقات وحتى الأهداف، الذي يصل إلى حد يجعل من الصعب على المعظم أن يضع فوارق بين الحركتين، لم يتمكن من حسر الهوة وتقصير المسافة بين الحركتين لكي تصل إلى حد الاتحاد أو تشكيل جبهة موحدة ويبدو لي ذلك عائد إلى عوامل عدة أبرزها:

أ. خشية الجهاد من الانصهار والنوبان في حركة كبيرة وممتدة كحركة (حماس) خاصة في ظل ما

سبق الحديث عنه من شعور بالخصوصية.

<sup>173</sup> موقع حركة الجهاد على الانترنت "نداء القدس" www.qudsway.com.

<sup>174</sup> مقابلة مع ناشط.

ب. تزداد هذه الخشية لشعورهم بأن مبررات وجودهم تكاد تكون تلاشت بعد انطلاق (حماس) إذ

الثورة والمقاومة والتضحية... إلخ صارت منهجاً وسبيلاً واضحاً لـ (حماس).

ت. الاعتبار التنظيمي إذ أصبح لديهم بنية تنظيمية خاصة بكل ما يعنيه ذلك من وجود لكوادر

وقيادات ومؤسسات تنظيمية وعلاقات... إلخ وهذا مما يصعب الاستغناء عنه.

ث. العلاقات الخاصة بالجهاد سواء كانت محلية أم إقليمية ودولية، فالرغبة في الحفاظ على هذه

العلاقات حاضراً في مثل هذه الحالة، ومن المتوقع أن يكون هنالك ضغط من قبل أطراف محلية

وإقليمية ودولية لإبقاء حركة الجهاد مستقلة ومنفصلة، لأن ذلك يلي مصالح أطراف عديدة

على الساحة الفلسطينية خاصة.

ج. ما سبق من عوامل خاصة بحركة الجهاد، يقابله موقف من حماس رافض أو غير معني بتقديم

تنازلات كبيرة للوصول للوحدة، خاصة في ظل الشعور بأن حجم الجهاد وفعاليتهم على الصعد

المختلفة، لا تشكل خطراً على (حماس). بمنهجها، بل تشكل في معظم الأحيان سندا ورديفا،

ويعزز هذا الشعور الحضور القوي لـ (حماس) الذي لا ينافسه أحد، سواء في ميدان المقاومة أو

المعارضة، وحالياً في السلطة في حجم الشعبية والتأييد، وهذا ما أكدته نتائج الانتخابات البلدية

والتشريعية الأخيرة.

ح. اعتقاد (حماس) بأن بقاء الجهاد فصيلاً مستقلاً دون تحالفات جبهوية يفيد في إطار المقاومة

وكذلك التعددية السياسية، خاصة في ظل العدد الكبير من الفصائل الفلسطينية التي تؤثر في لعبة

الأغلبية والأقلية والتنافس بين الفصيلين الكبيرين (حماس) و(فتح)<sup>175</sup>.

إذاً العلاقة بين (حماس) والجهاد الإسلامي لم تصل إلى الوحدة الحركية، وهي غير مرشحة لذلك، ولكنها

في معظم الأحيان والمراحل تصل إلى حد ما يمكن تسميته بأعلى الدرجات الممكنة من التنسيق وهذا يبدو حلاً

وسطاً، ويمكننا استنتاج ذلك من الخطاب والممارسة والمواقف السياسية المعلنة، إلى درجة أصبح فيها المواطن بحاجة

إلى مجهر للبحث عن فوارق حقيقية، وينتاب أبناء (حماس) في هذا الإطار شعور بأن حركة الجهاد باتت تتبنى بشكل كامل كل ما تقوم به أو تعلن عنه (حماس)، والمواقف من خارطة الطريق ومبادرات المبعوث الأمريكي زيني وجورج تينت مدير وكالة الاستخبارات الأمريكية السابق وغيرهما أمثلة على ذلك<sup>176</sup>. مع أن هذا الأمر بدأ يختلف قليلاً بعد فوز (حماس) في الانتخابات التشريعية وتوليها رئاسة وزراء السلطة الفلسطينية.

كما سجل المعتقلون حالة متقدمة في سجن النقب أعوام 2003-2005م حيث صاغوا تحالفاً قوياً عرف باسم "الجماعة الإسلامية" تضمن وجود برامج موحدة وتمثيل موحد<sup>177</sup>.

هذا الشكل من العلاقة وإن بدا حالة متقدمة في العلاقة بين الفصائل، إلا أنها في حالة (حماس) و(الجهاد) لا تبدو مرضية لكثيرين، إذ إن وجود كل هذه العوامل الجامعة والموحدة يجعل من الصعب تفهم عدم الستمك من تشكيل جبهة أو تجمع أو كتلة واحدة تجمع بين الطرفين. وهذا "العجز" محل عدم رضا واستنكار عند الكثيرين، وفي حالة كهذه يوقع الكثيرون المسؤولية - وهذا فيه وجه حق - على الفصيل الأكبر، وهو في هذه الحالة (حماس) مع أن تخوفات الجهاد وارتياهم بيدوان السبب الأقوى في هذا الفشل.

#### د. الفصائل اليسارية (الجبهتان الشعبية والديمقراطية):

العلاقة بين الإسلاميين بشكل عام والقوى اليسارية علاقة يشوبها الكثير من الشك والريبة، ولم تصل يوماً، ويبدو أنها لن تصل، إلى درجة متقدمة، والفشل كان مصير محاولات التحالف المختلفة، باستثناء تجارب محدودة وفي ظروف محددة، وهذا عائد لأسباب عميقة لها أبعاد أيولوجية واجتماعية وفكرية ففيما عدا الالتقاء حول بعض القضايا السياسية يشعر كل منهما بخاطر الآخر على نفسه وعلى المجتمع، فالإسلاميون يرون في أفكار اليسار وبرامجهم الاجتماعية منها بالذات، طريقاً لإفساد المجتمع وتخريب العقول وتمييع الشباب، واليساريون يرون في البرامج المقابلة خطراً على الحريات والانفتاح والتقدم.

هذه النظرة ذات الطابع العقدي، تجعل محاولات التوصل إلى اتفاق وانسجام محاولات معقدة وشائكة، لكن رغم ما ذكر آنفاً فقد تمكن الطرفان، سيما (حماس) والجبهتين الشعبية والديمقراطية، من التوصل إلى برامج

<sup>176</sup> مقابلة مع ناشط

<sup>177</sup> الباحث كان في المعتقل في تلك الفترة.

وطنية وسياسية وسطية تجمعهم على الهامش الذي يتفوقون عليه، وساعد في ذلك النهج الفردي لحركة فتح في مسيرتها مع الفصائل الأخرى، وكذلك دقة وحساسية بعض المراحل على الصعيد الوطني، حيث لا عذر لمن لم يبذل أقصى جهد للتوحيد والتقارب، ومن أبرز الإطارات أو الصيغ الوجدانية، التي سنأتي على ذكرها لاحقاً، صيغ الفصائل العشر والتحالفات النقابية (جامعة بيرزيت، جامعة النجاح... إلخ، في مطلع التسعينيات من القرن الماضي<sup>178</sup>.

وما يؤسف له أن هذه الصيغ واجهت مصيراً مشتركاً وهو الفشل ولعل ذلك عائد إلى:

1. عقدة التهميش التي يعاني منها اليسار والتي هي وليدة مراحل استمرت عقوداً، فاليسار عانى كثيراً من التهميش والتجاوز بل والاستغلال في كثير من الأحيان خلال علاقته مع حركة فتح و م. ت. ف، فقد استخدموا كثيراً كأداة لتميرير المواقف العرفانية أو الفتحاوية<sup>179</sup>، وكانوا إذا رفعوا صوتهم همشوا وأدير الظهر لهم وحوصروا مادياً وسياسياً حتى يعودوا من جديد، ومن ثم يمارس معهم نفس الدور مرة أخرى. هذه التجربة تركت أثرها البالغ على علاقتهم مع (حماس)، خاصة وأن الحالة متشابهة في كثير من الجوانب، فحجم اليسار كمّاً وتأثيراً وأداءً هامشي وضئيل مقارنة بحماس، ونسبة حضورهم وتأثيرهم في أية قرارات أو خطوات إذا ما استخدمت أية منهجية علمية سليمة ومنطقية، بالضرورة ستكون هامشية، مما دفعهم وبعد أن يئسوا من إمكانية التوصل إلى صيغة تضمن لهم حضوراً قوياً إلى التهرب والهروب من كل الصيغ الجديدة للتحالف حتى على المستوى النقابي، والاكتفاء بالتنسيق وإعلان المواقف المشتركة<sup>180</sup>.
2. البعد العقائدي الذي أشرنا إليه قبل قليل وعدم رغبتهم في تعزيز موقع الإسلاميين (حماس) من خلال أية جبهة معارضة قوية وفعالة سابقاً، وأية حكومة قوية ومستقرة حالياً، لشعورهم بأن نجاح أي شكل لهذه التحالفات سوف يكون المستفيد الأكبر منه (حماس) التي كانت تنصدر المعارضة والمقاومة، وتنصدر اليوم

<sup>178</sup> موقع الكتلة الإسلامية في بيرزيت.

<sup>179</sup> نوفل، ممدوح. ليلة انتخاب الرئيس. دار الشروق للنشر والتوزيع. رام الله. 2005م.

<sup>180</sup> تجربة عملية في جامعة بيرزيت عايشها الباحث أثناء فترة دراسته بالجامعة.

السلطة التشريعية والتنفيذية<sup>181</sup>. إلى درجة جعلت (حماس) تُرى على أنها الفصيل الأساسي وأن ما عداها يمكن التعامل معه، احتواءً أو تحجيذاً، إذا ما وضع حد لـ (حماس)، وهذا يفسر الضربات القياسية المتلاحقة التي تعرضت لها (حماس) من السلطة الفلسطينية في أواسط التسعينيات من القرن الماضي، فيما اكتفت السلطة بإجراءات محدودة تجاه الآخرين (فرك أذن). ومن أبرز ما يدل على عدم جدية اليسار في التعاطي والتعاون مع فصائل المعارضة بشكل عام، ومع (حماس) بشكل خاص، حالة العلاقات التي أبطت عليها مع م.ت.ف وفتح والسلطة حيث تركت الأبواب مفتوحة تماماً، حتى في أشد الأوقات صعوبة فالغاء ميثاق م.ت.ف لم يدفع اليسار لتجميد عضويته في م.ت.ف أو لجنيتها التنفيذية. بل لقد شاركوا في بعض المراكز الهامة في السلطة (وكلاء ومدراء عامون...) فاليسار أبقى له قدماً في محافل السلطة وقدماً أخرى في المعارضة، والتحالفات النقابية في إطار فصائل م.ت.ف وغيرها تساند هذا الرأي.

3. قراءة (حماس) لتجربة اليسار التاريخية التي تحدثنا عن جزء منها، أدت إلى عدم اعتماد (حماس) بشكل كبير على اليسار، وكانت مصداقيته محل شك... إذ كثيراً ما كان اليسار يعارض ثم يوافق، يرفض ثم يعود ويقبل، وكثيراً ما تمكن عرفات بوسائله العديدة من تغيير موقف اليسار وثنيه عنها، مما كان يؤدي إلى خذلان الآخرين ولعل في تجربة فتح الانتفاضة والانشقاق (1983م) خير مثال، هذا ناهيك عن نظرة (حماس) إلى عدم مبدئية اليسار في مواقفه فاليسار لا يتعاطى مع ما يعتبر ثوابت وقضايا مصيرية من وجهة نظر (حماس) بنفس الإصرار والقوة، واليسار تيار تحكمه المصالح ويفهم السياسة على أنها فن الممكن، وهذا الفهم البراغماتي لا يروق بحال لـ (حماس) التي تحكم على كثير من الأمور من منطلق عقدي وديني، فعلى سبيل المثال فإن الجمع بين وجهة النظر القائلة بوقفية ارض فلسطين وبين من يرى الحق الفلسطيني في وطنه محكوم بقرارات الشرعية الدولية أمر ليس بالهين.

4. (حماس) واليسار خطان مختلفان من المعارضة، إذ الفرق واضح بين معارضة (حماس) لسلطة واتفاقيات السلام، المعبرة عن رفض منهجي ومعارضة للمنهج، وبين معارضة اليسار المعبر عن معارضة الآليات

<sup>181</sup> موقف اليسار خلال المشاورات لتشكيل الحكومة كان ضاغطاً أكثر من موقف فتح.

والأساليب، فمعارضة اليسار أشبه ما تكون بالمعارضة الاجتماعية والمطلبية في كثير من الأحيان. أما معارضة (حماس) فهي معارضة مبدئية، ترفض المبادئ والأسس والمنطلقات، فالاعتراف بإسرائيل والشرعية الدولية كمثال ليست محل اعتراض يساري، ولكنها محل رفض من حماس، وهذا يجعل من الالتقاء بين الطرفين التقاء على هامش ضيق هش.

5. كما هو معروف فإن الراحل ياسر عرفات كان حاضراً في كل ميادين ومواقع العمل الفلسطيني وبالتأكيد كان حاضراً في هذا الميدان أيضاً، ودوره إن لم يكن واضحاً إلا أنه كان مؤثراً، إذ استطاع التأثير على عدد من القيادات السياسية، بل وحتى بعض الفصائل كالديمقراطية للحيلولة دون التوصل إلى صيغ جديدة وحتى في الحوارات التي جرت في غزة والقاهرة وغيرهما خلال انتفاضة الأقصى، لعبت "الشخصيات العرفاتية" دوراً في تعكير الأجواء وخلق الأوراق<sup>182</sup>.

6. حالة القوة والحضور المتميز التي عاشتها (حماس) ولازالت، ولدت لديها رغبة، وعززت لديها قناعة، بحقها في القيادة لأية صيغة للتحالف بين فصائل المعارضة بشكل عام، ومع اليسار بشكل خاص للأسباب آنفة الذكر، لذا فكل الصيغ التي طرحت لتشكيل جبهات معارضة، كانت تحرص (حماس) أن تشكل فيها الأغلبية، وكان وما زال يبدو حقاً لها، باستثناء بعض الحالات المحدودة، والتي تنازلت فيها (حماس) عن هذا الشرط لأنها كانت ترغب في إيصال رسائل معينة هامة، ولا تريد تفويت فرص في أوقات ذهبية لا تعوض في وقت آخر، كما حدث عام 1993م في جامعة بيرزيت حيث وافقت الكتلة الإسلامية ذراع حماس الطلابي على المناصفة في مقاعد مجلس الطلبة، والتناوب في رئاسته، مع جبهة العمل الطلابي ذراع الجبهة الشعبية.

هذه العوامل مجتمعة أدت إلى عدم التوصل إلى صيغ، أو الوصول إلى حالات من التحالف الإسلامي اليساري، تحظى بالرضا أو تمكن من التأثير في الواقع، وإن كان قد سجل في بعض الأحيان نجاحات محدودة ونسبية وفي مواقع وأوقات محددة (النقابات، انتفاضة الأقصى، الحوارات الفلسطينية الداخلية)، لكن (حماس) بقيت مصرة على عدم

<sup>182</sup> مقابلة مع ناشط.



"تسليم رقيبتها" عبر اتفاقات أو صيغ لا تضمن لها الأغلبية لأحد وخاصة اليسار<sup>183</sup>، وإن أدى ذلك إلى الإخفاق في التحالف وأثر سلبا على الوضع الفلسطيني العام مما قاد البعض إلى الاعتقاد بتحمل (حماس) القسط الأوفر من المسؤولية عن هذا الإخفاق من منطلق أنهما الفصيل الأكبر صاحب التأثير الأوسع والأعمق، وليس من منطلق تسببها المباشر بالإخفاق.

أخيرا وبعد هذا الاستعراض للعلاقات بين (حماس) وغيرها فلسطينيا (داخليا) أو ما اصطلاحنا على تسميته تقوية الصف الداخلي، وبعد الوقوف على طبيعة هذه العلاقات يتضح أن الوضع الفلسطيني الوجودي، هو في حالة من الضعف بما يستدعي الوقفة المسؤولة من قبل الجميع، سيما حركة (حماس)، وهي بلا شك تتحمل نصيبا جيدا في ذلك، خاصة لما تبديه، مما يمكن تسميته بالجمود أو عدم المرونة في التعاطي في كثير من الأمور فهي في علاقتها مع الآخر تخشى أن تمس صورة الطهر أو العفة التي تعتقد أنه ينظر إليها بما في ظل استشعار بانعدام الطهر والعفة في الواقع السياسي. فحرصها على التمايز والصورة الناصعة، يشكلان عائقا حقيقيا أمام إمكانية المبادرة، والوصول إلى حلول وسط والوقوف مع الآخرين على الهامش المشترك الممكن، هذا بالإضافة إلى حالة الاهتراء عند الكثير من الفصائل الأخرى والضعف العام الذي أصاب الحركة الوطنية الفلسطينية. خاصة في ظل ثقافة أو سلو وثقافة كسب ما يمكن كسبه، أو لعله سرقة ما يمكن سرقة من الوطن وقضيته.

ويحضرني تشبيه من واقع السجون لحال الوحدة الوطنية الفلسطينية فهي كحال أبراش (أسرة) خيمة الوحدة في السجون، حيث اتفقت الفصائل في السجون على تخصيص خيمة في كل قسم من المعتقل ليعيش فيها أفراد من كافة الفصائل، هذه الخيمة يطلق عليها (خيمة الوحدة)، ولأنها عامة فهي لا تحظى باهتمام أحد فتجد الخيام الأخرى "خيم الفصائل الخاصة" مرتبة ومجهزة جيدا وأبراشها (أسرتها) مثبتة جيدا ويختار لها خشب جيد، أما أبراش خيمة الوحدة فهي من أسوأ الأخشاب وضعيفة وتتراقص تحت من ينام عليها كالنعش، ومعرضة في كل لحظة

وبسبب أي حركة مفاجئة أو قوية للتهاوي والسقوط، وكل فصيل يلقي اللاتمة في ذلك على غيره وهي بالنسبة للأسرى محل اشمئزاز وازدراء، والكل فاقد الأمل في إمكانية إصلاحها.

### حماس والمعارضة (حماس وزعامة أو قيادة المعارضة)

في الواقع الفلسطيني مصطلحا المعارضة و(حماس) مترادفان، فعندما يذكر أحدهما يكون الآخر حاضرا، وفي الجمل يعبر أحدهما عن الآخر رغم فوز (حماس) بأغلبية مقاعد المجلس التشريعي ومشاركتها في الحكومة، فكون حركة (حماس) هي كبرى حركات المعارضة الفلسطينية، وأكثرها نفوذا وفعالية فقد ألقى على عاتقها، دون إغفال لدور الفصائل الأخرى عبء المعارضة والوقوف في وجه برامج م.ت.ف الخاصة بحل القضية الفلسطينية والتي قادت إلى اتفاقية أوسلو وما تلاها، ومن ثم معارضة إفزات هذه الاتفاقيات (السلطة والتطبيع والتخلي عن المقاومة.... إلخ) وكان دورها وباعتراف الجميع هو الأبرز في هذا الميدان، ودفعت ثمن ذلك الكثير، كما جنت لاحقا ثمار ذلك الكثير، فقد اعتبرها البعض أنها تمثل أبرز القوى المناهضة للاحتلال وللاتفاق التصفوي "أوسلو"<sup>184</sup>، وقد شاركهم الجمهور هذا الرأي إذ أن 77% من الجمهور يرون أن (حماس) هي الحركة الأكثر تشدداً بين قوى المعارضة<sup>185</sup>، وفي الوقت الذي نجحت السلطة إلى حد ما في إخضاع أو إجبار غالبية منتقديها العلمانيين في التخلي عن الشكوى أو التظلم وتمكن عرفات من شراء أو إخافة غالبية معارضيه، وقد حكم منفرداً ولم يجد من يعارضه أو يراجعه سوى (حماس) والجهاد كما يرى إدوارد سعيد<sup>186</sup>.

وليكون هذا الموضوع أكثر وضوحاً سنعالجه عبر ثلاثة محاور الأول: معارضة (حماس) لنهج م.ت.ف والثاني: معارضتها لاتفاقيات السلام سيما أوسلو والثالث: معارضتها للسلطة الفلسطينية.

#### أ. معارضة حماس نهج م.ت.ف

ونقصد بمعارضة النهج أن (حماس) لم تعارض وجود أو شرعية أو أهمية م.ت.ف، بل عارضت البرنامج والنهج السياسي الذي أخذ -وفق (حماس)- بالانحدار من أعلى القمة إلى أسفل القاع بشكل متسارع، فصار لزاما عليها

<sup>184</sup> عبد الكريم، مصدر سبق ذكره. ص 86-87.

<sup>185</sup> استطلاع رأي أجرته الهيئة العامة للاستطلاعات بتاريخ 2000\8\3م، [www.sis.gov.ps](http://www.sis.gov.ps).

<sup>186</sup> سعيد، اوسلو، مصدر سبق ذكره. ص 7 و 175.

أن تقف في وجه الانقياد، ولتحد وتخفف من آثاره الوطنية؛ فقد أعلنت (حماس) رفضها لنهج التسوية وبرنامج م.ت.ف القائم على قرارات الشرعية الدولية، الذي عُبر عنه في 15/11/1988 بإعلان قيام دولة فلسطين<sup>187</sup>، كما أعلنت رفضها لنهج التفاوض والتنازل عن أي من الحقوق، وطعنت في شرعية وتمثيل أي اتفاقية أو تفاهم يتنازل عن حق وطني، وكانت معارضتها تزداد شدة وحدة كلما ازداد اقتراب م.ت.ف مما اعتبر محرمات وطنية، كالاقرار بإسرائيل والحديث عن الحكم الذاتي... إلخ، ولهجة المعارضة كانت تزداد قسوة يوما بعد يوم، فقد اعتبرت (حماس) اتفاق (أوسلو) مؤامرة كبرى تستهدف شعبنا وقضيتنا وأمتنا، وتستهدف حاضرنا ومستقبلنا، وهو خدمة جليلة للمشروع الصهيوني وأهدافه في التطبيع واختراق المنطقة العربية والتوسع، وقد كانت بيانات (حماس) وتصريحات قادتها على درجة عالية من الحماسية والعنف<sup>188</sup>، ففي هذا الإطار اتخذت معارضة (حماس) لنهج م.ت.ف شكلين أساسيين الأول: تمثل في تصعيد المقاومة للاحتلال، وابتكار أشكال جديدة أكثر إيلا ما ووقعا (العمليات الاستشهادية) ففي أعوام 1992-1994 كانت العمليات قاسية جدا، وذات تأثير كبير على إسرائيل، فقد نفذت (حماس) عبر جناحها العسكري كتائب الشهيد عز الدين القسام ما يزيد على 11 عملية نوعية ما بين خطف الجنود أو نصب كمائن وقتل جنود وضباط، أو عمليات استشهادية، التي بدأت تظهر في أوائل 1993م<sup>189</sup>. والثاني: تمثل في البيانات والخطابات والمهرجانات والمسيرات الجماهيرية، والتصريحات السياسية والإعلامية، لكن هذه الأدوات لم تجد نفعا ولم تتمكن من وضع حد لمسيرة م.ت.ف السياسية. ويعود ذلك لعوامل عدة أبرزها الرعاية الدولية والإقليمية والعربية والإسلامية لهذا النهج، وتشجيعه وتأميل م.ت.ف وقيادتها وإغرائهم بما سيحصلون عليه من نتائج لهذا المسار.

وفي هذا المجال لم يكن القصور لدى (حماس) لا في هذا الشكل ولا ذلك، وإنما تمثل في العمل السياسي أو الدبلوماسي، إذ إن (حماس) لم تبذل جهدا واضحا وكافيا على القوى والشخصيات السياسية والوطنية الفلسطينية، فهي وقبل مؤتمر مدريد لم تبذل جهدا أو تقدم تصورا لتوحيد قوى المعارضة أو تحييد بعض القوى المترددة، وهذا

<sup>187</sup> وثيقة إعلان الاستقلال.

<sup>188</sup> أبو عيد، مصدر سبق ذكره. ص227. والحروب، حماس، مصدر سبق ذكره. ص118.

<sup>189</sup> موقع كتائب القسام [www.alqassam.ps](http://www.alqassam.ps).

ينطبق على الشخصيات الوطنية البارزة، كما أنها لم تتمكن أو لم تنجح في تجنيد أو حشد معارضة عربية، سواء رسمية أم شعبية لهذا النهج.

قد يتساءل البعض، هل من المنطقي أن يطلب من حركة وليدة، حديثة النشأة أن تقوم بهذا الدور الكبير، والوقوف في وجه مل هذا التيار الجارف؟! هذا التساؤل قد يبدو منطقيًا وموضوعيًا، ولعله مقبول عند الكثيرين، لكن ما أزال الأعذار وحملها هذا القدر الكبير من المسؤولية، هو حرصها بل وإصرارها على أنها امتداد لحركة إسلامية عريقة، ورغبتها في جني ثمار ما أنجزه الإخوان تاريخيًا في فلسطين، ومما جعلها تتحمل أيضا الوزر والتبعات والمسؤولية التاريخية عن مواقف وقضايا ومراحل هامة وحساسة في التاريخ الفلسطيني، إذ لا يمكن لها أن تجني وتبني ما هو إيجابي دون أن تتحمل مسؤولية ما هو سلبي، فالقصور الذي تحدثنا عنه أيضا مشترك وله جذور تاريخية.

**ب. معارضة اتفاقية أوسلو وما تلاها من اتفاقيات.**

ثمة إقرار واتفاق من الجميع بأنك لكي تتمكن من الحكم على أمر ما، وأن تتخذ موقفا محددا منه، لا بد لك من التعرف عليه بشكل تفصيلي ودقيق ودراسته دراسة عميقة، وهذه الخطوة تزداد أهميتها وضرورتها كلما ازدادت أهمية الموضوع، وهنا يطرح التساؤل الهام : هل قامت (حماس) بدراسة اتفاقية أوسلو والتعرف عليها وتعريفها للآخرين كما ينبغي ؟ هل قامت (حماس) بتنفيذ بنودها ونشر مساوئها للجمهور؟ هل وزعت اتفاقية أوسلو على مؤسسات وكوادر الحركة لتدارسها وتحديد الموقف منها؟! تبدو الإجابة على هذه الأسئلة واضحة، من خلال القراءة لموقف (حماس) المرتبك من الاتفاقية، كما يبدو هذا الموقف المتردد، المرتبك نتاجا منطقيًا لعدم الإجابة، أو الإجابة الضعيفة على هذه الأسئلة.

نعم لقد عارضت (حماس) أوسلو ووصفته بالكارثة والمأساة الوطنية، لكن هل حددت درجة هذه المعارضة وأفرزت لها آليات محددة للتعبير عنها وتطبيقها؟! هل تم وصف اتفاقية أوسلو بشكل واضح ونتج عن هذا الوصف مواقف محددة وممارسات واضحة ... كلا لم يكن موقف (حماس) من أوسلو بالقدر الكافي من الوضوح ولم تعارضه بناء على تعريف محدد له، فهل هو خيانة أم كارثة أم اتفاقية سيئة أم ماذا؟ هذا التحديد كان ضروريا، لأن عليه تبني وترتب الخطوات المطلوبة لمعارضته، فالخيانة بحاجة لخطوات حاسمة لا هوادة فيها، والكارثة لا بد من

الوقوف في وجهها، وإخراج الناس منها، والاتفاقية السيئة يمكن تعديل بعض بنودها أو تجاوزها أو تحسين شروطها، ولم تكن الشعارات العامة كافية، ولا مقبولة أبداً من فصيل المعارضة الرئيس فالتعبئة العاطفية والشعاراتية من قبيل (أوسلو يحمل بذور فشله في ذاته، وفلسطين أرض وقف لا يحق لأحد التفريط بها.... إلخ) لم تكن كافية بالإضافة لهذا الخلل المبدئي في التعاطي مع أوسلو، وبالوقوف على ما قامت به (حماس) في سبيل معارضة هذا الاتفاق، فإنه يمكننا تسجيل وجوه أخرى للقصور، كان لا بد من القيام بما كحد أدنى ومنها:—

أ. عدم طباعة وتوزيع اتفاقية أوسلو ونشرها في كل مكان ممكن ومحاولة إيصالها لكل بيت فلسطيني ليطلع الجميع على ما فيها. فمن المعلوم أن المروجين لها كانوا حريصين على عدم نشرها، بل إن معظمهم لم يقرأها، ولعل هذه الاتفاقية لم يقرأها جل الشعب الفلسطيني اللهم باستثناء العشرات منهم، ولا يمكن لذلك إلا أن يكون مقصوداً، فقد بقيت مقتصرة على نخبة النخبة، كما أنني لست متأكداً أن كان قد قرأ هذه الاتفاقية العشرات من كوادر وقادة (حماس)، فكوادر (حماس) الذين التقيتهم في المعتقلات الإسرائيلية لم يطلعوا على الاتفاقية إلا عدد محدود جداً قرأ بعضاً منها من الجرائد.

ب. عدم إجراء أية استبانة أو استطلاع رأي للفلسطينيين، في أماكن تواجدهم المختلفة، لمعرفة رأيهم في الاتفاقية، والبناء على هذا الرأي.

ج. لم تحاول أن تخصص أي جهد متميز، لأولئك الذين تضرروا بشكل مباشر من الاتفاقية، كالألاجئين وأهل القدس، وأصحاب الأراضي التي أقيمت عليها المستوطنات.... وأن تستحثهم أو توجههم للعمل بشكل أو بآخر ضد الاتفاقية أو معارضتها.

د. لم تعمل على، أو لم تستطع، بناء علاقات خاصة، ينتج عنها مواقف خاصة وتميزة مع الدول المتضررة بشكل مباشر أو غير مباشر من الاتفاقية كسوريا ولبنان، فحماس لم توطد علاقتها بشكل واضح مع سوريا إلا بعد

أن طردت من الأردن سنة 1999م<sup>190</sup>.

هـ. لم تنشر (حماس) دراسة واحدة، على حد علمي، أو كتيباً أو نشرة تفصيلية، تعلق على أوسلو وتوضح للناس الثغرات أو الأخطاء الموجودة فيها بل هي لم تعتمد في نظيرها أو تحريضها ضد أوسلو على نصوص واضحة من الاتفاقية.

و. العمل العسكري المقاوم، ورغم ضراوته وقوته، فقد عانى من إشكاليات عدة مرتبطة بالتوقيت والكيفية والحجم، ناهيك عن ضعف إن لم يكن انعدام لاستثماره السياسي. وما ينطبق على أوسلو ينطبق على غيرها من الاتفاقيات.

### ج. تحالف الفصائل العشرة "زعامة المعارضة".

تحالف قوى المعارضة أو الفصائل العشرة "حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، حركة الجهاد الإسلامي، الجبهة الشعبية القيادة العامة، حركة فتح الانتفاضة، جبهة النضال الشعبي، الحزب الشيوعي الثور الفلسطيني، جبهة التحرير الفلسطينية وطلائع حرب التحرير الشعبية قوات الصاعقة"، هذه التجربة التي صدر أول بيان لها في 1992/9/17م، وعقد لاحقاً اجتماعها التأسيسي في 5 كانون ثاني 1994م<sup>191</sup>، من الضعف وانعدام التأثير إلى درجة تبدو ليست جديدة بالوقوف طويلاً عندها، إلا أنها شكلت انتكاسة لأكثر من طرف، فهي خيبت آمال قطاع مهم من الشعب عوّل عليها كثيراً، كما شكلت ضربة لجهود (حماس) الرامية لتوحيد وتقوية صفوف المعارضة الفلسطينية، وزادت اليسار ضعفاً على ضعف، وبدت فصائل ضعيفة لا يعول عليها كثيراً، فهي عجزت عن أن تكون في السلطة إلى جانب عرفات، كما عجزت أن تكون معارضة حقيقية وفاعلة.

فيما يتعلق بحماس في هذه التجربة فقد أظهرت عدم قدرتها على تجميع وتوحيد قوى المعارضة ومن ثم قيادتها وصياغة برنامج موحد لها، وقد حملت القدر الأكبر من المسؤولية عن هذا العجز؛ كونها أكبر هذه الفصائل وكون هامش الالتقاء كبير، إذ الموقف من أوسلو، ومن تيار الحلول السلمية، ومن السلطة ورجائها وفسادها واحداً، لكن ذلك لم يكن كافياً للاستمرار في هذه الصيغة.

<sup>191</sup> الحروب. حماس، مصدر سبق ذكره. ص139. وأبو عيد، مصدر سبق ذكره. ص83-84.

اليسار اقم (حماس) بأنها حاولت أن تمارس عليه نفس الدور الذي مارسه فتح، وهو دور المهيمن، وبأن سلوكها في تحالف القوى العشر كان سلوكاً فتوياً، حيث حرصت على الكسب الفتوي مما عطل برنامج قوى المعارضة<sup>192</sup>. و(حماس) لم تنجح في إدراك وتجاوز تلك الحساسية لديهم، وقدمت الشكل على المضمون والجوهر، فنسبة التمثيل والحصة في القرار... إلخ كانت مقدمة على الموقف السياسي والآليات المطلوبة للتصدي للاختيار، وقد اعترضت الجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية على طلب (حماس) نسبة 40% من الأصوات داخل ائتلاف المعارضة وكذلك داخل المجلس الوطني الفلسطيني ل م.ت.ف<sup>193</sup>، وعندما تم الإعلان عن قيام هذا التحالف، لم يظهر له أي أدوات على الأرض، سوى عدة بيانات، لم يهتم أي من الفصائل بتوزيعها بالشكل المطلوب، ولم تصل إلى أيدي معظم الناس ولم يؤثر وجوده على أداء وتصريحات وممارسات هذه الفصائل، سيما (حماس) فالنشاطات والبيانات والتصريحات الخاصة كانت هي الحاضرة والغالبة وغاب عن الساحة أي عمل مشترك باسم هذا التحالف، فقد طغت الرغبة في الحفاظ على التمايز والخصوصية وبدا هذا التحالف كمن ولد ميتاً، وحتى بعض أشكال التحالف النقابية كالكتل الطلابية والمؤسسات فما أن ظهرت حتى اختفت ولم تتكرر.

هذا الإخفاق أضر بحماس، ووضع شكوكاً حول قدرتها على صياغة التحالفات، بل لقد بدت كمن لا يمكن التحالف الجدي معه، ودفاع البعض عن (حماس) في هذا المضمار القائم على أن المشكلة الأساسية تكمن في اليسار، الذي لا يصلح بطبيعته للتحالف، ولا يستقر على حال، والمأزوم تاريخياً وفكرياً وتنظيمياً<sup>194</sup>، لا يشكل دفاعاً قوياً ولا يبدو مقبولاً إذ كان على (حماس) أن تقدّر الموقف وتتعرف على طبيعة الفصائل التي تتعامل معها وتضع بعين الاعتبار كل الإمكانيات، فهي لا بد كانت تعرف عن أوضاع اليسار "الشعبية والديمقراطية" وفتح

<sup>192</sup> عبد الكريم، مصدر سبق ذكره. ص 23.

<sup>193</sup> صايغ، مصدر سبق ذكره. ص 906.

<sup>194</sup> مقابلة مع ناشط.

الانتفاضة والقيادة العامة وغيرها من الفصائل المعارضة<sup>195</sup>، ما يمكنها من اتخاذ القرار الصائب، وإن كانت لم تفعل ذلك، أي لم تدرس الموضوع باستفاضة، وبشكل عملي منهجي فهذا مدعاة للنقد بشكل أكبر.

#### د. معارضة (حماس) في ظل السلطة

أُثبتت (حماس) عدم وضوح الرؤية أو عدم الجدية الذي اتسم به موقفها تجاه أو سلو، بضعف في إدراك لواقع ما بعد قيام السلطة الفلسطينية، وولجت إلى هذا الواقع وهذه المرحلة الجديدة بضباية إضافية، ودون دراسة جدية للواقع الجديد، أو خطط واضحة لكيفية التعامل معه، واستحدثت وطرات قضايا عدة لم تحدد (حماس) منها موقفا واضحا، فاتسمت مواقفها وسياساتها وأداؤها بالتنجيب والقصور، وهذا ما جلب عليها تبعات كبيرة وأثماناً باهظة، ولعل الحديث بالتفصيل حول هذه المرحلة يحتاج إلى دراسة خاصة، ولكننا هنا نكتفي بالوقوف على أبرز ملامح ومواقف هذه المرحلة، ونسلط الضوء بشكل مختصر ومحدد على معالجة (حماس) لقضايا هذه الفترة الهامة. السلطة الفلسطينية، الحقيقة الواقعة الجديدة، والمرحلة الجديدة التي اشتملت على عدد كبير من الجزئيات الهامة، مجلس تشريعي، سلطة تنفيذية، أجهزة أمنية، انتخابات، مناهج تعليمية... إلخ، لم تستوعب حماس كل هذه المتغيرات ولم تبلور بشكل سريع مواقف تجاهها، فالإرباك والارتباك، والرؤية المشوشة كان سيد الموقف لدى حماس وسنحاول التدليل على ذلك بعدة مواقف منها:

#### 1. المقاومة

الموقف من المقاومة، وبشكل أدق، الموقف من بعض أشكال المقاومة وبالتحديد العمليات الاستشهادية، والإصرار على الاستمرار فيها، دون مراعاة لخصوصية الزمان والمكان، تسبب للحركة بضربات قوية، وأربكت الوضع الفلسطيني العام في كثير من الأحيان، بل وتسببت في خلق إرباك حماسي داخلي، وخلافات خرجت إلى السطح في بعض الأحيان. فبعد نداء القيادي البارز محمود الزهار بتاريخ 1996/5/17م بأن لا تقوم (حماس) بأي عمل مقاوم في تلك المرحلة؛ حتى لا تتهم (حماس) بأنها أداة تخدم أي نظام، صدر بيان لـ (حماس) وتصريح حاد

<sup>195</sup> الفصائل العشرة هي "حركة حماس، الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، حركة الجهاد الإسلامي، حركة فتح الانتفاضة، جبهة النضال الشعبي، الحزب الشيوعي الثوري الفلسطيني، الجبهة الشعبية للقيادة العامة، جبهة التحرير الفلسطينية، طلائع حرب التحرير الشعبية قوات الصاعقة". موقع صحيفة الشعب [www.arabic.people.com.cn](http://www.arabic.people.com.cn)



لإبراهيم غوشة الناطق الرسمي باسم (حماس) في حينه اعتبر أن الزهار لم يعد ناطقاً باسم الحركة ، وفي المقابل رفض الزهار عبر جريدة الأيام الرد على ما اعتبره مهارات<sup>196</sup> . ناهيك عن أن الحركة لم تتمكن من استثمار هذه المقاومة سياسياً، بل يعتقد الكثيرون بأن الذي استثمرتها وحنى ثمارها هو تيار أو سلو والسلطة، في الضغط على الجانب الإسرائيلي للتسريع في بعض الاتفاقيات، وجلب الدعم لبناء الأجهزة والقوة الأمنية الفلسطينية، وإن كان من شيء سجل لهذا الموقف؛ فهو الحفاظ على روح المقاومة والجهاد وعلى حالة اللاسلم مع الاحتلال.

## 2. العمل الحزبي

شكّل السلطة وواقعها ونظرة (حماس) غير الواضحة لها والواقع المُشكل الذي أفرزته، فلا هي دولة ولا هو احتلال؟! أوقع (حماس) في حيرة في موضوع العمل الحزبي، فهل تتحول (حماس) إلى حزب سياسي ومشروع التحرير لم ينجز بعد؟ وهل تبقى حركة مقاومة فقط وجزء من الأرض أصبح يحكم ولو جزئياً من قبل سلطة فلسطينية؟ نقاش طويل دار داخل حركة (حماس) وخرج إلى العلن في بعض الأحيان حول هذا الموضوع، وكان موضع خلاف بين قيادات ومناطق مختلفة، وقد أفرز هذا الجدل أو النقاش أواسط التسعينيات من القرن الماضي حلاً هلامياً ضعيفاً، فقد تم تشكيل حزب الخلاص الإسلامي في غزة عام 1996م على أيدي مجموعته من كوادر (حماس)<sup>197</sup>، بعضهم من الصف الثاني، فيما لم يشكل أو يتبلور أي جسم حزبي في الضفة، ولم تتضح ماهية حزب الخلاص، فحماس لم تتبّه بالشكل المطلوب، ولم تكتف جهودها فيه، وقد خلا من أي من قياداتها البارزين المؤثرين وكذلك لم تتبرأ منه تماماً، وهذا جعل عمله وتأثيره ضعيفاً وهامشياً بالإضافة لعوامل أخرى مرتبطة بضعف العمل الحزبي العام في ظل السلطة. أما بعد انتفاضة الأقصى وتحديدًا في العام 2006م، واعتماداً على التغيرات الهائلة التي أحدثتها هذه الانتفاضة في البنية السياسية الفلسطينية، فقد بلورت (حماس) رأياً واضحاً من المشاركة في السلطة عبرت عنه بالمشاركة في انتخابات المجلس التشريعي والحكومة، لكن عملها الحزبي عبر كتلة التغيير والإصلاح التي حاضرت الانتخابات باسمها ما زال غير متشكل.

<sup>196</sup> النواقي، مصدر سبق ذكره. ص158.

<sup>197</sup> موقع إسلام أون لاين [www.islamonline.net](http://www.islamonline.net)

### 3. الانتخابات

أول إفراز جدي للسلطة وأوسلو، وأول وأكبر تحدٍّ حقيقي تعرضت له (حماس) بعد قيام السلطة الفلسطينية كانت انتخابات المجلس التشريعي الفلسطيني، أو ما سمي في حينه أيضا "مجلس سلطة الحكم الذاتي" التي جرت في 1996/1/20م فقد دعي الجميع للمشاركة بما فيها (حماس)، وهذه الدعوة أربكت (حماس) أيضا وكشفت بشكل واضح أن (حماس) لا تقرأ أو تستقرئ المستقبل مسبقا، ولا تنهياً للخيارات المختلفة، وتفتقد لرؤية واضحة تجاه عدة قضايا، كان منها الانتخابات، فقد سرت بلبلة واضحة، وخرجت الأصوات المتناقضة إلى العلن، خاصة عندما أعلن عدد من كوادر وقيادات (حماس) المعروفين عزمهم ترشيح أنفسهم بل ورشحوا أنفسهم بالفعل، ومن هؤلاء إسماعيل هنية وعماد الفالوجي وخالد الهندي وسعيد النمروطي<sup>198</sup>، وحمد أو فصل بعض آخر من كبار قادة (حماس)، على خلفية مواقفهم السياسية الخاصة بالانتخابات وما رافقها من تطورات سياسية، ومن أبرزهم جميل حمامي الشخص الذي يسجل له المؤرخون أنه من نقل (حماس) من غزة إلى الضفة<sup>199</sup>، ومن كان قبل فصله ناطقا باسم (حماس) في الضفة الغربية يجوب مدنها وقراها ومؤسساتها متحدثا وخطيبا ومبشرا بمواقفها، لكنه بعد عام 1996م اتخذ نمجا سياسياً مغايراً<sup>200</sup>، وعماد الفالوجي أحد قادة المكتب الإداري للحركة حيث صدر بيان فصله بتاريخ 1995/12/10م<sup>201</sup>.

نتج عن هذا الموقف المرتبك، وعن المنهجية الفجة التي تم التعامل مع الانتخابات بها، والمبنية على ردة الفعل وانعدام التخطيط المسبق المتأني والمدروس سلفا، نتج عن ذلك موقف هش تجاه الانتخابات تمثل بعدم المشاركة، واكتفت بإعلان هذا الموقف، دون أن تطالب الجميع بمقاطعتها<sup>202</sup> ودون أن تقوم بحملة معارضة واضحة ومؤثرة، مما ساهم في إنجاح الانتخابات وتحقيق فريق أوسلو ما يصبو إليه، ومن أعجب ما اتخذ من قرارات في حينه وكانت لصالح العملية الانتخابية، ونجم عن عدم وجود رؤية واضحة هو دعوة المواطنين للتسجيل في قوائم الانتخابات، ومن

<sup>198</sup> أبو طه، مصدر سبق ذكره. ص431. والحروب. حماس، مصدر سبق ذكره. ص70.

<sup>199</sup> يوسف، مصدر سبق ذكره. ص29. وموقع الشيخ الشهيد أحمد ياسين [www.ahmedyaseen.com](http://www.ahmedyaseen.com).

<sup>200</sup> عابدين، محمد عبد القادر وجميل عبد الرحيم حمامي. من أعيان الشريعة في فلسطين (في النصف الثاني من القرن العشرين). الجمعية الأكاديمية للشؤون الدولية: القدس، 1999م. الجزء الأول. ص72.

<sup>201</sup> الحروب. حماس، مصدر سبق ذكره. ص120.

<sup>202</sup> سالم، مصدر سبق ذكره. ص248.

ثم عدم المشاركة في التصويت، وهذا أدى إلى أن ترى كل أو معظم الناس يهتمون بشأن الانتخابات، وكذلك وجود أسماء المواطنين في قوائم مرتبطة بدوائر جعلهم عرضة لضغط وتنظير دائم ومحدد للمشاركة، وقاد ذلك إلى نتائج لافته سواء على مستوى نسبة المصوتين أو نسبة المؤيدين للمرشحين، فقد حصل ياسر عرفات مرشح حركة فتح لرئاسة السلطة على 87.28% من أصوات المقترعين والبالغ عددهم 736825<sup>203</sup>. وبدأت (حماس) في تلك المرحلة في أعجز صورها، وأظهرت ضعفا كبيرا في القدرة على التأثير والتفاعل مع المستجندات السياسية القائمة، بالإضافة لخلق أزمات داخلية استمرت لسنوات.

#### 4. التطبيع

أوسلو اتفاقية سلام كانت تهدف فيما تهدف إليه إلى خلق حالة من التعايش بين الجمهور الإسرائيلي والشعب الفلسطيني، وقد تم تبني الخطط والأفكار بل وإقامة المؤسسات اللازمة لهذا الهدف رسميا من السلطة، وكذلك من قبل عدد من الشخصيات والمؤسسات الفلسطينية، وبدأ نجم مركز بيرس للسلام والمخيمات الصيفية المشتركة يلمع في الأفق، وبدأت السلطة في اتخاذ سلسلة إجراءات ومشاريع تطبيعية كانت في مجملها تشكل خطر على الذاكرة الوطنية الفلسطينية، ولعل أهمها وأخطرها، كانت تلك المناهج التربوية المدرسية التي تم إعدادها فلسطينيا ودرست في المدارس، والتي حولت فلسطين التاريخية إلى الضفة وغزة، وجعلت أهم مدن فلسطين أريحا ونابلس<sup>204</sup>.

في ظل ذلك وأمام هذا الخطر الكبير على الوطن والقضية والإنسان الفلسطيني، وذاكرته الوطنية كانت (حماس) منصرفة، ومشغولة بالكامل في جدل حول شكل محدد من أشكال المقاومة، وبالذفاق عن منطق انفردت به أن المقاومة هي الخيار الإستراتيجي للشعب الفلسطيني، وكانت تترنح تحت ضربات متتالية، في وجه زحف صهيوني مذهل، لا يشكل خطرا على الفلسطينيين فحسب بل وعلى العالم العربي والإسلامي كله، فشمعون بيرس تحول إلى "فاتح" للدول العربية ينتقل من قطر إلى الأردن إلى المغرب فاتحا للممثليات وعاقدا للصفقات.

<sup>203</sup> موقع لجنة الانتخابات المركزية الفلسطينية [www.elections.ps](http://www.elections.ps).

<sup>204</sup> كتاب التربية الوطنية الصف السابع الأساسي.

لم يكن لدى (حماس) برنامج واضح ولم يكن لها حضور واضح في مواجهة التطبيع بأشكاله المختلفة، السياسية والثقافية والاقتصادية، ويبدو أنها كانت تعول على مناعة وممانعة الشعب الفلسطيني وهو أهل لهذه الثقة، لكن ذلك لا يشكل عذراً لأحد.

## 5. صف حماس الداخلي والعمل الجماهيري

هذا الموضوع تأثر وأثر في الواقع؛ فقد أدت التطورات المتلاحقة بعد أوسلو، والتغيرات الهائلة في الواقع الفلسطيني، وافتقاد (حماس) منهجية سليمة في التعامل مع المتغيرات إلى إحداث بلبله داخلية، واختلاف، بل وتنافر في الرؤى نتج عنه فصل قيادات تاريخية، وتسرب أعداد من الكوادر المحلية وانصرافهم إلى شؤونهم الخاصة<sup>205</sup>، وانخفاض أو انفضاض جماهيري واضح في شعبية (حماس) في السنوات التي تلت أوسلو، لدرجة أن (حماس) في كثير من المواقع لم تعد قادرة على القيام بنشاط جماهيري، وحين تتمكن لم يكن بالزخم المعتاد والمطلوب، إلا في بعض المناطق ذات النفوذ التاريخي، أو عند وقوع أحداث جسيمة كاستشهاد قادة كبار أو رموز مثل الشهداء يحيى عياش ومحيي الدين الشريف وعادل وعماد عوض الله، وهذا يعود لخصوصية ومكانة هؤلاء الوطنية في أذهان الجماهير؛ لدرجة جعلت السلطة تتعاطى بنوع من "التسامح" مع هذه الأحداث، لكن الفعاليات الأخرى سيما إذا كانت موجهة ضد السلطة أو تأخذ طابع المعارضة فلم تكن لتحظى بجمهور مقبول، فحماس لم تتمكن في كثير من المواقع والأحيان من تنظيم مسيرة أو اعتصام احتجاجاً على الاعتقال السياسي وضد الفساد السلطوي... ويبدو ذلك، بالإضافة لوجود القمع من قبل السلطة، متأثراً بشكل واضح بوضع الحركة الداخلي وحالة الترهل التي سادت في الحركة.

لكن وحتى لا تبدو الرؤية بعين واحدة، فإننا نقر لـ (حماس) بأنها حافظت على بعض أشكال النشاط الخيري والاجتماعي والثقافي، وكأنها عادت إلى مرحلة الإخوان وغاب النشاط السياسي المؤثر بأشكاله المختلفة، واستمرت في تعزيز وحماية ثقافة المقاومة بالحد الأدنى عبر وسائلها التقليدية، المساجد والجامعات والبيانات.

<sup>205</sup> مقابلة مع ناشط.

## 6. فساد السلطة

ظاهرة الفساد في السلطة الفلسطينية في جوانبها المختلفة الإدارية والمالية والأمنية والمهنية وغيرهما، شكلت عامل أرق وتوتر دائم لقطاعات كبيرة من الشعب، وكانت محور اهتمام جل الهيئات والمؤسسات الفلسطينية بل والدولية والوقوف في وجه هذه الظاهرة ومقاومتها، أو محاولة إصلاحها، حتى صارت هذه القضية همًّا فلسطينياً جمعياً، بل ومحل احتجاج لبعض قطاعات ومؤيدي السلطة، فالعبث بأمن المواطن والمحسوبة وتبديد وسرقة المال العام. كل ذلك شكل مادة حراك سياسي ومؤسسي نشط، وتشكلت مؤسسات لمتابعة هذه الظاهرة (الهيئة المستقلة لحقوق المواطن، وهيئة الرقابة الفلسطينية وغيرهما) وصدرت تقارير وغيرت حكومات، و(حماس) تساهم في هذا الحراك الهام بل والخطير بتصريحات سياسية وخطب جمعة في المساجد، وأحياناً بيانات لا تصل إلى معظم الناس. لقد غابت (حماس) عن هذه القضايا ولم تعرها كثير اهتمام، بل لم يصدر عنها نشرة أو دراسة، بل لم تعقد ندوة أو محاضرة، ولم تقدم مشروعاً أو رؤية تجاه هذه القضايا، ولا أظن عاقلاً يقول ما جدوى ذلك؟ إذ أن محاولة وضع حد للفساد وما يجره على المواطنين ومحاولة إنقاذ الإنسان وماله وعرضه بل وفكره واجب مقدس، ولعله أكثر قدسية من المقاومة والجهاد في سبيل الله بل هو أحد أبوابه.

مما سبق يتضح أن حالة من الضبابية والارتباك، وركود في العمل السياسي وتردد واضطراب في الخطاب، وترهل داخلي ساد لدى (حماس)، حتى بدت وكأنها لا تستطيع الحفاظ على فاعليتها إلا في رحي المعركة، هذه الرحي التي حمد أو ضعف أوارها، فحتى في مجال المقاومة فان (حماس) وبعد أن تركت وحدها في الميدان لم تستطع الصمود طويلاً، ولم تتمكن من الحفاظ على ديمومة المعركة، وجاءت انتفاضة الأقصى عام 2000م و(حماس) غير قادرة على إطلاق طلقة واحدة على المحتل، بل احتاجت إلى أشهر عده لاستعادة هذه الإمكانية.

لكن رغم كل ما ذكر لا بد من الإقرار لـ (حماس) بأنها حافظت على جملة ثوابت لديها أهمها :

1. الحفاظ من الثوابت الوطنية المركزية، عدم الاعتراف بإسرائيل وتاريخية فلسطين، الإصرار على حق العودة

...إلخ.

2. عدم التخلي عن خيار المقاومة، كخياراً مركزياً في التعامل مع الاحتلال، وإن شاب هذا الموقف الكثير من

الأخطاء، وكذلك الحفاظ على ثقافة المقاومة مجدها الأدين.

3. الاستمرار في رفض الإقرار بالاتفاقيات الموقعة بين م.ت.ف وإسرائيل والتي رأيت أنها تضر بالمصلحة

الوطنية الفلسطينية.

## التعامل مع الأحداث الوطنية والاستثمار السياسي لها.

سوء التخطيط داء لدى الحركة الوطنية الفلسطينية وقياداتها تاريخيا، وانعدام الخطط بشقيها الاستراتيجي والمرحلي (التكتيكي) لازمة من لزامات العمل الوطني، نتج عنه استدراج وحرف للمسيرة وتضييع للفرص وإثناك للمقاومة والمواطنين بشكل متكرر في فترات مختلفة، وفي بعض الأحيان بنفس السيناريو، وكأن التاريخ الفلسطيني في كثير من الأحيان يعيد نفسه !!! ولست بحاجة لتكون خبيرا أو حتى متخصصا لتلاحظ غياب الخطط الإستراتيجية الواضحة والمحددة، وان كان الجميع يستخدم هذا المصطلح الذي يبدو انهم لا يعرفون عنه سوى الاسم، والخطط المرورية ذات الأهداف المحددة، التي في مجموعها تصب وتسير باتجاه تحقيق الأهداف الإستراتيجية هي في معظم الأحيان غائبة، والأخطر من ذلك أنها عندما توجد تطغى على ما هو إستراتيجي، أو تتحول هي إلى خطط وأهداف إستراتيجية "بمفهوم القيادة".

هذا الداء المتمثل في غياب، والخلط أحيانا، بين الخطط الإستراتيجية والتكتيكية، مع ضرورة التفريق بين الخطط والأهداف، فالأهداف قد تكون واضحة لكن كيف يمكن الوصول لها هذا هو المهم، لم تغفل منه (حماس) التي لم تتمكن من التخلص من نزعتها العربية في هذا المجال، فوقعت هي الأخرى في بعض أخطاء الآخرين، أو كررت أخطاءهم في بعض القضايا وأهمها هذه القضية.

• فهل يوجد لدى (حماس) منهجية العمل الصحيحة التي تعتمد على وضع خطط إستراتيجية وأخرى مرحلية بأهداف ووسائل واضحة؟

• هل تقوم (حماس) بوضع خطط بديلة في حال الإخفاق أو عدم التمكن من تنفيذ الخطة القائمة؟

• هل مشاركة (حماس) في الأحداث الوطنية مبنية على قرارات مسبقة مدروسة وفق خطط محددة ومحكمة؟

• هل تعمل (حماس) على صناعة الأحداث أم أنها تشارك فيها بعد وقوعها؟

• ثم بعد ذلك، (أي بعد وقوع الحدث) هل تقوم (حماس) بتقييم مشاركتها وعملها وتقويمهما؛ لتستخلص

العبر وتتجاوز الأخطاء أو تعدل المسار؟

• هل تقف (حماس) مع نفسها مراجعة ومقيّمة؟

- هل تمكنت (حماس) من استثمار الأحداث الوطنية باتجاه تحقيق الأهداف الوطنية أو حتى الخاصة بها؟
- وإذا حاولت ذلك فما مدى نجاحها؟

أسئلة كثيرة تطرح في هذا الموضوع، والغضب الفلسطيني كبير على قياداته تجاه هذه القضية، وأي تنظيم أو فصيل يخفق في هذا المضمار يكون قد أساء لنفسه وشعبه وقضيته.

ونحن هنا سنحاول الإجابة على ما طرح من أسئلة مستشهدين بالواقع والأحداث، بعيدا عن الستكهن، وأبرز ما يمكن الاستشهاد به والاستفادة منه، الانتفاضة الأولى 1987، الانتفاضة الثانية 2000، وبعض الأحداث بينهما ولعل أقوى الحجج هي التي تكون من الواقع، ويسجلها التاريخ ويشهد عليها الناس الذين عاشوا المرحلة.

### المحور الأول: قلة التخطيط لصناعة الأحداث

بداية أجد نفسي ملزما بأن أفرق مرة أخرى بين الأهداف الإستراتيجية والمرحلية، وبين الخطط الإستراتيجية والمرحلية، ونؤكد على أننا هنا نتحدث عن الخطط وليس الأهداف، إذ إن الأهداف قد يسهل تحديدها خصوصا في حالتنا الفلسطينية لكن الصعب هو وضع الخطط الملائمة واللازمة للوصول لهذه الأهداف، ويأتي هذا التأكيد على الفرق حتى لا يخلط البعض بينهما، فيظن أننا نتجنى على أحد.

من المعلوم أن (حماس) شكلت وانطلقت مع انطلاقة الانتفاضة الأولى عام 1987، ومنذ اللحظة الأولى بدأ الجدل بين القوى الفلسطينية المختلفة حول المسؤولية عن تفجير الانتفاضة، وغاب أو غيب عن الجميع أن الانتفاضة وليدة جملة مركبة من العوامل المتراكمة (الاقتصادية والسياسية والثقافية... إلخ) وأنها وإن كان لا بد لها من أم فأمرها الشعب البطل. مع انطلاقة (حماس) طرح سؤال، ذو علاقة بموضوعنا وهو هل (حماس) صنيعة الانتفاضة أم أن الانتفاضة صناعة (حماس)، نتج عن ذلك جدل ما زال دائرا، ولعل في الإجابة على هذا السؤال مساهمة في التعرف على طريقة أو منهجية (حماس) في التعامل مع الأحداث.

لقد سبق انطلاقة (حماس) جملة من الإرهاصات والتطورات، تحدثنا عنها في الفصل الثاني، التي قادت الإخوان المسلمين للقناعة بضرورة المشاركة الفاعلة في مقاومة الاحتلال، والانتقال من مرحلة ما يمكن تسميته بالمقاومة السلبية، إلى المقاومة الإيجابية، ولكن الشكل النهائي لإخراج هذا النقلة النوعية، لم يكن قد تبلور بعد، ولم



يكن لديهم آلية محددة للتعامل مع هذا التوجه الجديد، فجاءت الانتفاضة الأولى لتصنع وتقدم لهم المخرج، وقد سارع الإخوان، وأحسنوا في ذلك، إلى استثمار هذا الحدث الوطني الذي فاجأ الجميع بشكله وتوقيته، وكان أبرز استثمار للحدث، الذي تواصل وتصاعد بشكل كبير هو الإعلان عن تأسيس وانطلاقة حركة المقاومة الإسلامية (حماس).

الحماسة الكبيرة والمشاركة المتميزة التي قام بها شباب الإخوان (حماس) في الانتفاضة الجديدة، دفعتهم لأن ينحوا نفس المنحنى الذي سلكه الآخرون، من نسبة لإشعال الانتفاضة إلى أنفسهم، فكما تحدثت م.ت.ف وبالتحديد فتح وياسر عرفات، عن أنهم من أشعل الانتفاضة، وأن عرفات وأبو جهاد يديرانها من منفاهما في تونس، أعلنت (حماس) مرارا وعبر وسائل عدة (بيانات، شعارات، خطب، أناشيد) بأنها هي مفجرة الانتفاضة وصانعتها، وإن هذه الانتفاضة هي انتفاضة المساجد والأدي المتوضئة، وقد جاء في أحد البيانات "انتفض الشعب المسلم بقرار من حركة المقاومة الإسلامية (حماس) التي حددت بكل دقة ساعة الصفر في محارِب المساجد"، كما أنهم يدللون على ذلك أيضاً بأن أول بيان صدر في الانتفاضة كان بيان (حماس) الذي صدر بتاريخ 1987/12/14م<sup>206</sup> الذي كان جاهزاً في 1987/12/11، وحال دون نشره وتوزيعه في نفس اليوم الوضع الأمني الصعب، وهذا البيات تضمن تحديداً لمسار الأسبوع الأول للانتفاضة، بينما أول بيان للقيادة الموحدة الممثلة لفصائل م.ت.ف صدر في 1988/1/20م<sup>207</sup>.

لسنا بصدد تفنيد هذه الادعاءات، نفيًا أو تأييدًا، وحشد الدلائل على ذلك لان المجال لا يتسع لذلك، لكننا معنيون هنا بالوقوف على دور (حماس) في محاولة لتحديد منهجيتها في التعاطي مع الأحداث. مع التذكير بأن (حماس) لم تكن موجودة قبل الانتفاضة الأولى، لكن وكون (حماس) امتداداً لفكر وممارسة مناهج ومنهجيات

---

<sup>206</sup> يدور خلاف بين المؤرخين حول تحديد الجهة التي أصدرت البيان الأول في الانتفاضة الفلسطينية الأولى، حيث يحاول كل حزب أو تيار أن يقول: بأنه الذي أصدر البيان الأول في الانتفاضة. يختلف المؤرخ الفلسطيني د. صالح عبد الجواد مع الكاتب في أن حركة حماس هي من أصدرت البيان الأول في الانتفاضة، حيث يشير عبد الجواد إلى أن أول بيان صدر للحركة كان بتاريخ (1988/1/22)، وأن أول بيان صدر في الانتفاضة كان بتوقيع "القوى الوطنية في قطاع غزة" بتاريخ (1988/12/16). للمزيد من المعلومات راجع: عبد الجواد، صالح. "مدخل لدراسة المصادر الأولية للانتفاضة" مجلة آفاق فلسطينية، العدد الخامس، صيف 1990.

<sup>207</sup> الفالوجي، عماد عبد الحميد. درب الأشواك. حماس ... الانتفاضة ... السلطة. دار الشروق: عمان، 2002م، ص 23؛ البرغوثي. الاسلامة والسياسة، مصدر سبق ذكره. ص 80.

الإخوان لا نلجأ في هذا الإطار إلى التفریق بينهما، وقد بيّنا سابقاً أن (حماس) طورت كثيراً على أداء الإخوان حتى تحولت إلى حالة متطورة أو متقدمة من الإخوان.

نستطيع القول بأن (حماس) "الإخوان" لم تكن قد أعدت مسبقاً لإحداث انتفاضة جماهيرية شاملة، وإن كانت فكرت ومارست بعض أشكال المقاومة، ولم تكن قد وضعت الخطط والتصورات لمسيرة هذه الانتفاضة أو مراحلها. بما يدعم فكرة الإعداد المسبق وصناعة الحدث، ويمكننا التذليل على ذلك بما يلي:

أ. الخلافات التي وقعت بين قيادات الإخوان والتي يراها البعض بين القيادة الشابة والقيادة التقليدية، حول طبيعة وشكل المشاركة الإخوانية في الانتفاضة.

ب. تأخر صدور بيان (حماس) الأول عن بداية الانتفاضة، وإن كان بأيام قليلة حيث صدر في 1987/12/14م<sup>208</sup>، ومع أنه سبق بيانات القوى الأخرى، التي كان أول بيان لها بعد شهر من بيان (حماس)، إلا أنه يشير إلى عدم وجود إعداد مسبق.

ت. تأخر "نسيان" انتقال فعاليات (حماس) الكفاحية من غزة (مهد النشأة) إلى الضفة الغربية.

ث. بيانات (حماس) الأولى خلت من برامج أو خطوات تفعيل وتصعيد محدودة كما حدث لاحقاً حيث أصبحت البيانات تشمل على خطوات محددة، وموجهة إلى قطاعات مختلفة.

ج. ارتباك (حماس) وحالة الارتجال في تطوير وسائل المقاومة، كما حدث مع المقاومة المسلحة، وتأسيس كتائب القسم عام 1991م<sup>209</sup> وحتى نقلها إلى الضفة يعتقد البعض بأنه كان قراراً شخصياً وليس حركياً، وقد رفض التنظيم في رام الله استقبال أو التعاون مع أي مجموعة وصلت من غزة إلى الضفة، نظراً لعدم وجود قرار تنظيمي واضح بممارسة العمل العسكري<sup>210</sup>.

الانتفاضة الثانية (انتفاضة الأقصى) التي انطلقت في 2000/9/29م باغتت هي الأخرى الجميع وأربكت

كل القوى العاملة على الساحة الفلسطينية وحتى السلطة الفلسطينية، لم يكن واضحاً لديها كيف ستعامل مع هذه

<sup>208</sup> الفالوجي، مصدر سبق ذكره. ص 23.

<sup>209</sup> موقع انتفاضة فلسطين [www.palintefada.com](http://www.palintefada.com).

<sup>210</sup> مصدر سبق ذكره، مقابلة مع د. محمود الرحي.

الانتفاضة، وما هو المدى المطلوب الوصول إليه، وإلى ماذا تهدف، ناهيك عن الوسائل النضالية المطلوبة والممكنة أو المقبولة، وتقدم الجمهور الفلسطيني كعادته، ليحدد هو المدى والوسائل، فانطلقت المسيرات الجماهيرية الحاشدة وسقط العشرات من الشهداء في الأيام الأولى، ثم بدأت السلطة عبر أدوات عدة تظهر وكأنها من يوجه ويتحكم في الانتفاضة، لكن سرعان ما فعلت (حماس) وقوى المقاومة الأخرى من نشاطها وزاد بشكل ملحوظ تأثيرها على مسيرة وشكل الانتفاضة، إلى أن وصلت الأمور إلى حد تحكم قوى المقاومة وعلى رأسها (حماس)، بمعظم أوراق اللعبة، وقد أدرك ذلك قوى محلية وإقليمية ودولية، وأصبحت (حماس) عنوانا هاما من عناوين العمل الدبلوماسي والسياسي، التي تؤثر بشكل فاعل في اللعبة، وأصبحت الاتصالات الإقليمية والدولية تضع الحوار مع (حماس) في وضع مواز للسلطة، فوفود وشخصيات عربية إسلامية، ودولية لا بل بعضها أوروبية وأمريكية حاورت (حماس) وحاولت التوصل معها لحلول محددة، كان هذا نتيجة المشاركة الكبيرة والمميزة لها في الانتفاضة عبر عمليات مقاومة نوعية.

هذا الدور الحماسي البارز على الصعد المختلفة، جاء نتيجة تفاعل ناجح ومستمر، وإن كان هناك بعض التحفظات والملاحظات عليه، التي ستطرق لها لاحقا، لـ (حماس) مع الأحداث، واستثمار مميز لهذه الأحداث، ولكن كان واضحا أيضا غياب (حماس) عن الإعداد أو التخطيط لصناعة هذا الحدث الهام بل كان واضحا مرة أخرى غياب منهج التخطيط والإعداد المسبق لصناعة الأحداث، وأيضا غياب منهج أو محاولة الاستدراك ووضع الخطط الملائمة أو التقييم واستخلاص العبر، وبإمكاننا التذليل على غياب أو انعدام التخطيط المسبق لصناعة الأحداث، فيما يتعلق بانتفاضة الأقصى بما يلي:

أ. التأخر الملحوظ في تفاعل (حماس) ومشاركتها في أحداث الانتفاضة وخاصة العمل العسكري، الذي أصبح في لحظة ما مطلباً جماهيرياً، وحتى فصائلياً، مع أننا ندرك أن لهذا التأخر عوامل موضوعية أخرى، لكن لو كان هناك تخطيط مسبق لأعدت له عدته، فقد كانت أول عملية لـ (حماس) في 2000/12/22م، ومما يؤكد أن الموضوع ليس موضوع إمكانية، بل موضوع قرار، هو التفعيل

الكبير والمميز لهذا الشكل من المقاومة لاحقاً، هذا التأخر قاد للاعتقاد عند الكثيرين بأن السلطة هي المحرك للانتفاضة وأنها انتفاضة تحريك وليس تحرير.

ب. عدم تقدير (حماس) وخاصة قياداتها لطبيعة وأهمية الحدث، فقيادة (حماس) الخارجية (مشعل، أبو مرزوق، العلمي و نزال) ظهرت في زيارة لإيران لعدة أيام في الأيام الأولى للانتفاضة، فيما مخيمات اللجوء في لبنان وسوريا تغلي، وقيادات الفصائل الأخرى تقود الجماهير في مسيرات ضخمة.

ت. شعور أو تقدير (حماس) في البداية بأن الانتفاضة هي انتفاضة تحريك<sup>211</sup> للمسار السياسي وليس حالة مقاومة مستمرة، وهذا أيضاً يدل على غياب وبعد عن حقيقة ما يدور.

ث. غياب مواقف محددة لـ (حماس) اتجاه بعض القضايا مثل الموقف من الحفاظ على مناطق السلطة الفلسطينية وحدوى ذلك، وكذلك أهداف أو سقف البرنامج المحدد للانتفاضة.

التداخل الخطير الذي يشير لعدم أو سوء التخطيط بين أجنحة (حماس) المختلفة، وبالذات السياسي والعسكري، فجزء من الشخصيات التي عرفت وعُرِّفت على أنها كوادر سياسية ثبت لاحقاً أنها اشتركت في العمل العسكري كما حدث وفق رواية بعض نشطاء (حماس) مع القائد السياسي (جمال منصور) وآخرين<sup>212</sup>.

جدير بالملاحظة أن ما تحدثنا عنه حول عدم التخطيط للأحداث وعدم المشاركة في صياغتها، وما استشهدنا عليه بمثالين كبيرين هي الانتفاضة الأولى والثانية، تكرر في أحداث أخرى عدة كانتفاضة النفق الذي حفر تحت المسجد الأقصى عام 1996م، وهبة الدفاع عن الأراضي عام 1997م التي جاءت رداً على مصادرة أراضي جبل أبو غنيم وبناء مستوطنة جديدة عليه<sup>213</sup>، والتي غابت (حماس) عن بعضها غياباً شبيهاً كامل، لكن حجم هذه الأحداث وتأثيرها لا يدعو إلى أن نسوقها للتدليل بها، كما أن ما سقناه ودللنا به نعتقد بكفايته خاصة أنه مرتبط بأحداث كبيرة ومفصلية في التاريخ الفلسطيني.

<sup>211</sup> مقابلة مع ناشط.

<sup>212</sup> كراس غير مطبوع في سجن النقب كتبه أحد كوادر حماس.

<sup>213</sup> الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) [www.wikipedia.org](http://www.wikipedia.org).

## المحور الثاني: ضعف الاستثمار السياسي

وكما أن سوء أو غياب التخطيط داء فلسطيني فإن سوء وضعف الاستثمار السياسي داء آحر، وهو فلسطينيا قبل أن يكون حماسيا، ولا يستطيع المرء تسجيل إلا حالات محدودة من الاستثمار السياسي للأحداث السياسية طوال تاريخنا الفلسطيني الحافل، فالحركة الوطنية الأولى، ومنظمة التحرير الفلسطينية وكذلك الفصائل المقاومة بما فيها (حماس) عانت من هذا الداء وبشكل مزمن<sup>214</sup>، ولم تتحقق إلا نجاحات قليلة هي أصلا محل خلاف فلسطيني كقيام السلطة الفلسطينية وتمثيل م.ت.ف للشعب الفلسطيني، وسنحاول الوقوف على هذا الموضوع فيما يتعلق بحماس بنفس الآلية، ومع نفس الأمثلة السابقة أي الانتفاضة الأولى والثانية، ولكن بشكل مشترك؛ نظرا للتكرار في التجربة.

ففيما يتعلق بالانتفاضتين، وبالذات انتفاضة الأقصى، أظهرت (حماس) قدرة عالية على تفعيل المقاومة بأشكالها المختلفة وأبدت تفوقا ملحوظا على غيرها من الفصائل، وأوقعت في العدو خسائر كبيرة ومؤثرة، بل إنها تمكنت من دفع الجميع إلى الانخراط القوي والعنيف في المقاومة، فقد نجحت في استدراج البعض إلى أشكال محددة من المقاومة كانت محل رفض واستنكار من قبلهم، فقد قادت المنافسة الشديدة، والخشية من استفتراد (حماس) بالساحة النضالية، والخوف على الشعبية عددا من الفصائل بما فيها فتح إلى القيام بعمليات داخل حدود 1948 (الخط الأخضر) رغم اعتقادها بعدم جدوى ذلك بل وبضرره في بعض الأحيان، وعلى مستوى الجمهور أصبحت (حماس) هي المحرك الرئيسي للمسيرات، فالمساجد هي المنطلق لمعظمها، ومهرجانات (حماس) حضورها قُدر بعشرات الآلاف في معظم الأحيان.

لكن هذا الأداء النضالي المتميز قابله قصور وعدم مقدرة على الاستثمار السياسي سواء على الصعيد الوطني أو الحماسي الذاتي... وعادت هذه الأزمة لتظهر من جديد، ولتبدو القيادة السياسية وكأنها في واد والواقع في واد آخر، ويمكننا استنتاج ذلك من خلال الملاحظات الآتية:-

<sup>214</sup> عيسى، محمود. المقاومة بين النظرية والتطبيق. سلسلة ثقافة المقاوم. اصدار حركة المقاومة الاسلامية "حماس". ص55.

أ. عدم طرح (حماس) مشاريع سياسية محددة فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية. فالمشهد السياسي الفلسطيني يبدو حالياً من أية رؤية حماسية باستثناء ما طرحه محمود الزهار - أحد قادة (حماس) السياسيين - عن رؤية للحل القائم على أساس دولة فلسطينية في حدود عام 1967م<sup>215</sup>، وهذا الطرح تبناه لاحقاً المكتب السياسي الذي كان يرأسه موسى أبو مرزوق، وكذلك إعلان (حماس) المتكرر حول الاستعداد للهدنة غير واضحة المعالم.

وهي بهذا الموقف افتقدت المقومات الأساسية والمداخل الضرورية لفتح العلاقات مع دول مختلفة سيما الأوروبية منها، كما وبدت في كثير من الأحيان كأنها تنتهج سياسة عبثية قائمة فقط على التضحية والاستشهاد، ففي مراحل عدة تساءل الكثيرون: ماذا تريد (حماس)؟! ولم يجدوا إجابة محددة.

وعندما استثمرت مقاومتها داخلياً عبر المشاركة والفوز في الانتخابات التشريعية، لم تستطع أن تستثمر الفوز والنفوذ الشعبي لصياغة مشروع سياسي وإحداث اختراق عربي ودولي، بل على العكس فقد تسبب هذا الفوز بعزلتها ومحاصرتها ومعها الشعب والسلطة.

ب. عدم ممارسة (حماس) أي نوع من المناورة السياسية أو التكتيك داخلياً وخارجياً فالثبات على المواقف حتى فيما هو جزئي منها بقي سيد الموقف، وهذا وإن طبع مواقفها بطابع من المصادقية، إلا أنه بدا وفي عدة مواقف نوعاً من الجمود، ففي الممارسة السياسية تبدو المرونة والمراوغة أو المناورة من ضرورات العمل السياسي، حيث افتقد التاريخ الحماسي إلى المبادرات أو المواقف ذات الطابع التكتيكي، الذي يخدم أهدافاً صغيرة ومحددة ولفترة زمنية محددة، وإذا وجد موقف أو أكثر (كالهدنة) فقد تم التوصل إليه نتيجة ضغوط داخلية وخارجية كبيرة وبدت (حماس) كالمنجبر عليه.

ج. تغاضي (حماس) عن تطورات وأحداث هامة، وذات تأثير كبير على الواقع وعدم إبداء اهتمام و جدية في التعامل معها، مما حال بينها وبين استثمار هذه الأحداث، كما حدث في موضوع جدار الفصل العنصري، الذي شكل أخطر وأعنف خطوة للاحتلال منذ العام 1967 حيث ضم الجدار لإسرائيل حوالي 915000 دونم أي ما نسبته 16.3% من مساحة الضفة الغربية دون احتساب مساحة القدس الشرقية، كما بلغ عدد الفلسطينيين

<sup>215</sup> أبو عمرو. الحركة، مصدر سبق ذكره. ص100.

المتضررين منه 875600 مواطن ما نسبته 38% من سكان الضفة الغربية<sup>216</sup>، و(حماس) لم تتخذ أية خطوات جدية للوقوف في وجه الجدار، مثل عرض مبادرات كوقف عملياتها ولو مؤقتاً داخل الخط الأخضر مقابل وقف بناء الجدار، أو محاولة مهاجمة الشركات العاملة... إلخ من خطوات تعبر عن إدراك جدي لخطورة هذا الجدار، لا بل إن البعض كان ينظر إليه كإنجاز لانتفاضة الأقصى<sup>217</sup>.

د. لم تتمكن (حماس) من استثمار أداؤها الكبير والمتميز حتى اللحظة من أجل تثبيت حضورها في مؤسسات التمثيل الشرعي للشعب الفلسطيني، وخاصة م.ت.ف أو تشكيل أطر ذات شرعية وصلاحيات مثل القيادة الموحدة أو حتى صياغة برامج فلسطينية موحدة، وقد رفضت (حماس) البرنامج التوافقي الذي تم التوصل إليه كبرنامج يحدد أهداف انتفاضة الأقصى، بعد أن وقع عليه عضو القيادة السياسة الشهيد إسماعيل أبو شنب في آب 2002م، وبدت (حماس) وكأنها لا تبدي جدية في التعاطي مع مثل هذا الموضوع رغم أهميته البالغة.

يمكننا أن نختم بالقول إن (حماس) تتفاعل مع الأحداث بمستويات مختلفة ولكنها لا تصنع أحداثاً شأماً في ذلك شأن باقي القوى الفلسطينية، فالحدث الفلسطيني تصنعه حملة من العوامل الموضوعية والذاتية، وغالبا يفجره الشعب، وفي بعض الأوقات الاحتلال إما غباء أو تطرفاً وغلواً أو عن قصد لتحقيق بعض الأهداف، ونهجها الذي تسير عليه، وطريقها في التعامل مع الأمور لا تؤهلها حتى اللحظة لذلك، وعندما تتقدم للتفاعل مع الأحداث فإنها تعيب التخطيط لها، ولا تحدد أهدافاً واضحة لمشاركتها، ولا يبدو أنها تقوم بالوقوف على الأخطاء لتصحيحها، بل يبدو أنها لا تقف عند الإنجازات لتعظيمها واستثمارها، إذ كثيراً ما نجحت السلطة أو م.ت.ف في استثمار ما تقوم به (حماس) كما أسلفنا في موقع سابق، لذا ففي كثير من الأحيان تأتي النتائج على الصعيدين الوطني و الحماسي مغايرة لما ترغبه (حماس)، ولما يخدم أهدافها، كما حدث في الانتفاضة الأولى التي قادت إلى أوصلو، والثانية التي يبدو أنها لن تقود لما هو أفضل، بل لعلها في طريقها لنتج لنا معازل عنصرية، وجدار برلين جديداً، وكما أن (حماس)، على صعيدها الداخلي، دفعت أثماناً باهظة لهذا النهج السياسي، فسقط الكثير من الشهداء في الوقت غير المناسب، وللسبب غير الملائم، مع إيماننا بأن الآجال بيد الله سبحانه وحده، وأمضى المئات من أبنائها سنوات في السجون،

<sup>216</sup> مركز المعلومات الوطني الفلسطيني [www.pnic.gov.ps](http://www.pnic.gov.ps)

<sup>217</sup> مقابلة مع ناشط.

وفي انتفاضة الأقصى كان الثمن أكبر من ذلك بكثير، فقد فقدت (حماس) عددا من مؤسسيها وكبار قادتها وعلى رأسهم مؤسسها الشيخ أحمد ياسين رحمه الله ود. عبد العزيز الرنتيسي ود. إبراهيم مقادمة وإسماعيل أبو شنب وجمال منصور وصلاح شحادة وجمال سليم.

لكن وإنصافا للحقيقة، فإن (حماس) وعبر مراحل تاريخها المختلفة أبدت تطورا في وعيها وأدائها السياسي، فالفارق في الخطاب والتعاطي مع الأحداث والعلاقة مع الآخر (محليا ودوليا) كبير، إلا أنه ما زال دون المتوقع والمطلوب لأننا عند الحكم أو القياس نقف أمام السمات العامة والكلية المؤثرة، ونبني عليها، ولا يصح لنا أن نقيس الأمور ونزفها اعتمادا على الجزئيات أو الاستثناءات.



## أداء حماس على الساحات العربية والإسلامية والدولية (شعبيا و رسميا).

الحضور القوي لـ (حماس) في الساحة الفلسطينية، وأدائها المقاوم النوعي، والشعبية المتزايدة لها على الساحات المختلفة عزز من مكانة (حماس)، وأبرز دورها على الصعد المختلفة، ودفع العديد من الأحزاب والقوى والحكومات الإقليمية والدولية إلى فتح قنوات اتصال معها أو في بعض الأحيان إقامة علاقات مؤقتة أو دائمة، بل إن الدول التي تلتقي مع (حماس) على برنامجها أقامت ما يمكن اعتباره تحالفا معها، لكن الوقوف على طبيعة هذه العلاقة وحجمها وقوتها ليس بالأمر الهين؛ نظرا لما تحاط به من سرية في معظم الأحيان. لذا فتقديرونا لهذه العلاقة، ودور (حماس) فيها سيعتمد على ما تم تناوله (تداوله) في وسائل الإعلام، أو من خلال قراءة لبعض المقاصف، وسنبدا الحديث عن الساحة العربية والإسلامية.

### أولاً: الساحة العربية والإسلامية:

#### أ. شعبيا (جماهير وأحزاب ومؤسسات مجتمع مدني):

لقد ورثت (حماس) جزءا من شعبيتها أو علاقتها مع الجمهور العربي والإسلامي عن الجماعة الأم (الإخوان المسلمين)، فبمجرد الإعلان عن تأسيسها حظيت بتأييد ودعم الأحزاب والمؤسسات والنقابات الإسلامية، وقطاع هام من الجمهور الإسلامي كما في مصر والأردن واليمن على سبيل المثال... وقد أدركت (حماس) ذلك منذ أيامها الأولى، فأفردت لهذه الجماهير جانبا من خطابها عبر بياناتها الدورية، هذا بالإضافة إلى أن (حماس) تعتقد بأن الساحة العربية والإسلامية هي مكتملة وضرورية لمساندة الفلسطينيين، فالقضية الفلسطينية ينبغي التعامل معها -وفق (حماس)- عبر دوائر ثلاث (فلسطينية وعربية وإسلامية) وقد دعت (حماس) وعملت جاهدة على إعادة القضية إلى هذه الدوائر التي أخرجها منها البعض وحصرها في الدائرة الفلسطينية ولم تنقطع عن حث الأمة العربية والإسلامية شعوبا وحكومات على أخذ دورهم الحقيقي تجاه القضية الفلسطينية، وقد حققت في هذا المجال نجاحات ملحوظة عبر توثيق العلاقة مع أطراف عربية مختلفة<sup>218</sup>.

<sup>218</sup> مقابلة مع ناشط.

بيانات (حماس) الدورية، التي كانت تصدر في الانتفاضة الأولى اشتملت على محور ذي باب ثابت عند الحديث عن الفعاليات أو النشاطات تحت عنوان على الصعيد العربي والإسلامي، كانت تخاطب فيه العرب والمسلمين حكومات وجماهير، وقد ركز الخطاب بشكل أكبر على الجماهير العربية والقوى الحية فيه، إلى درجة بدا واضحاً أن (حماس) تعول على المساندة الجماهيرية والشعبية، وأحياناً الحزبية، العربية أكثر بكثير من المساندة الرسمية ففي خطابات ومقابلات عدة مع قيادات الحركة كان يتكرر النداء إلى الجماهير في الأمة العربية والإسلامية<sup>219</sup>.

مع أن (حماس) في كثير من الأحيان كانت تبدي عدم رضاها عن أداء الشارع العربي تجاه القضية الفلسطينية، إلا أنها تقر بأن دعمها الحقيقي عربياً وإسلامياً هو دعم شعبي، مادياً ومعنوياً سيما الدعم المادي منه، فالتبرعات عبر الأفراد والجمعيات والأحزاب تبدو مصدراً مهماً لتمويل (حماس) وبرامجها المقاوم، وهذا الجانب من الدعم لا تتردد (حماس) في الإعلان عنه، ولعل ذلك عائد لأهداف سياسية، حيث أن (حماس) معنية بأن تُظهر أن الشارع العربي والإسلامي يحتضنها ويوفر سناً وحصناً دافعاً، وأن الجماهير تقف إلى جانب برنامجها وسياستها، وهذا مصدر شرعية إضافي لـ (حماس).

وقد كشفت أحداث عدة عن الشعبية الكبيرة التي تتمتع بها (حماس) في الشارع العربي والإسلامي وعن حجم التأييد الذي تتمتع به، ولعل من أبرز ما يمكن الحديث عنه حادثة استشهاد مؤسسها وزعيمها الروحي الشيخ الشهيد أحمد ياسين، وكذلك استشهاد أحد أبرز قادتها الشهيد د. عبد العزيز الرنتيسي، إذ خرجت مئات الألوف من الناس في شوارع عواصم ومدن عربية وإسلامية مختلفة من المغرب غرباً وحتى أندونيسيا شرقاً.. وقد أصبحت شعارات ورايات (حماس) شعارات ورايات تصدح بها وتحملها جماهير عريضة وكبيرة في العالم العربي والإسلامي فلم يعد الشبل أو الفتاة الفلسطينية وحدهما من يرفع شعار وراية (حماس) بل غدا أطفال وأشبال العرب والمسلمين في كل مكان، فالعصبة الخضراء ظهرت في المسيرات والتجمعات في دول عدة، وحتى بعض الدول الأوروبية.

أما على الصعيد الحزبي، فقد عملت (حماس)، واستطاعت أن تبني علاقات بمستويات متفاوتة مع عدد من الأحزاب العربية والإسلامية، سيما الإسلامية والقومية منها، تلك الأحزاب التي بقيت لفلسطين وإسلاميتها

---

<sup>219</sup> أبو عيد، مصدر سبق ذكره. ص74. معظم بيانات حماس تضمنت خطاباً للشعوب العربية والإسلامية.

وعروبتها، وللكرامة والعزة والمقاومة مكان في برامجها، وقد تفاوتت هذه العلاقة بين الأحزاب حسب الدول التي توجد فيها وحسب برامجها، فوصلت إلى حد التحالف والتنسيق العالمي مع البعض مثل (حزب الله اللبناني، جبهة العمل الإسلامي الأردنية، والتجمع اليمني للإصلاح وغيرها) وكانت أقل قوة مع غيرهم وبدت ضمن دائرة ما يمكن تسميته التأييد أو التعاطف مثل الأحزاب القومية في مصر ولبنان والمغرب وغيرها وقد بدا دور (حماس) واضحا في محاولة التنسيق وتقريب وجهات النظر بين الأحزاب الإسلامية والقومية، وقد شاركت في عدة مؤتمرات بهذا الخصوص عقدت في بيروت، كالمؤتمر القومي الإسلامي الذي عقد أول مرة عام 1994م، وصدر عنها مواقف داعمة لبرنامج (حماس) فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية<sup>220</sup>.

رغم ما تقدم، فإن الوقوف بشكل دقيق على طبيعة علاقة حماس مع الأحزاب المختلفة لا يبدو سهلا؛ لعدم توفر معلومات دقيقة حولها؛ لأن هذه الأحزاب وكذلك (حماس) غير معنية بتوضيحها، لاعتبارات عدة أبرزها الاعتبارات الأمنية.

لكن يمكننا ملاحظة أن (حماس) بنت علاقات جيدة مع أحزاب عدة في معظم الدول العربية والإسلامية وخاصة في إيران والأردن، لبنان، مصر، السودان، اليمن، المغرب، الجزائر والكويت، كما تمكنت (حماس) أيضا من بناء علاقة مع ما يعرف بمؤسسات المجتمع المدني، وخاصة النقابات المهنية في أكثر من مكان، ويبرز دور هذه المؤسسات في مساندة (حماس) في أكثر من قضية سيما قضية التطبيع مع (إسرائيل) ولعل الدور البارز في هذا المضمار هو لنقابات مصر والأردن التي تقف مواقف جادة وفعالة إلى جانب المقاومة وضد التطبيع مع إسرائيل، ناهيك عن العلاقة المميزة مع مؤسسات العمل الخيري التي تعمل على تقديم المساعدات لدعم صمود الشعب الفلسطيني عبر العناية بالفقراء والأيتام وأسر الشهداء والبنية التحتية الأساسية (الصحية والتعليمية) ولد (حماس) دور هام ومؤثر في هذا المضمار.

مما سبق يتضح بأن لد (حماس) أداء أو دورا واضحا وهاما على صعيد الشارع العربي والإسلامي، وتأثير برنامجها واضح المعالم، وبالغ التأثير، فقد غدت (حماس) وبرنامجها محل إلهام للجماهير العربية والإسلامية وموطن

<sup>220</sup> الحروب. حماس الفكر والممارسة السياسية، مصدر سبق ذكره. ص195.

فخر وعزة، وتعبيرا ساميا عن الكرامة والكبرياء العربي والإسلامي، وغدت مواقف (حماس) ومقاومتها مادة تنظير لعدد من الأحزاب والقوى العربية والإسلامية، سيما الإسلامية منها؛ لأنها رأت في دور (حماس) في فلسطين تجسيدا لقيمها ومبادئها وأفكارها، فصارت هذه الأحزاب تستشهد على صحة ما تبشر به وتنظر له بأداء (حماس) ودورها في مقارعة المحتل، ولعل من الإنصاف أن نقول إن (حماس) غدت حركة إحياء للشارع العربي والإسلامي، أحييت فيه جملة من القيم والمبادئ والمواقف التي غابت طويلا وتبدلت، كما أعادت له الثقة بنفسه وبأبنائه وأعطته الأمل في مستقبله بعدما كاد ييأس إن لم يكن يئس من نفسه، فقد أثبتت لهم (حماس) أن إمكانية الوقوف في وجه الهيمنة الأمريكية والطغيان الإسرائيلي واردة وواقعية، وأن إرادة الشعوب إذا وجد من يصدق في قيادتهم؛ لا تهزم وأن الحقوق لا تسقط بالتقادم، والظلم لا يمكن أن يتحول إلى عدل، حتى ولو ساندته قوة هائلة، فعادت معاني التحدي والكرامة والصمود لتظهر من جديد في عالمنا العربي والإسلامي.

لكن رغم ذلك، فإن دور الشارع العربي ما زال ضعيفا، من وجهة نظر (حماس) وغيرها، ودون المستوى المطلوب، بل إنهم في كثير من الأحيان كانوا محل انتقاد واستياء، وهذا عائد لعوامل عدة ليست محل اهتمامنا في هذا المقام.

#### ب. رسميا:

لم تتمكن (حماس) من بناء علاقات متينة مع معظم الأنظمة العربية والإسلامية بل لا يبدو أن هناك دولة واحدة مستعدة، أو بالأحرى قادرة على بناء علاقة إستراتيجية مع (حماس)، فالعلاقة مع الأنظمة والحكومات تتراوح ما بين القطعية أو الحد الأدنى من التنسيق، ولم تتحسن أو تتطور إلا في مراحل محددة ولأسباب وأهداف وظروف محددة أيضا، وغالبا ما تأفل وتنتهي مع انتهاء هذه المرحلة وزوال الأهداف والظروف، وحالات استثنائية التي تمكنت فيها (حماس) من إقامة علاقة بمستوى جيد، وتتصف بالاستمرارية مع الأنظمة والحكومات العربية والإسلامية.. وبالملاحظة المتأنية يبدو هذا الأمر عائدا إلى عوامل عدة أهمها:

أ. العامل التاريخي: حيث إن (حماس) كحركة منبثقة عن جماعة الإخوان المسلمين نظر إليها عدد من الدول بنوع من الريبة والشك، فقد كانت جماعة الإخوان قد خاضت صراعات دموية مع عدد من الأنظمة، سيما المصري 1954، 1965 والسوري 1982م، مما جعل هذه الدول تتأني في إقامة علاقات مع (حماس)<sup>221</sup>.

ب. الهيمنة الأمريكية أو الغربية: حيث إن معظم الأنظمة العربية والإسلامية تخضع في سياساتها لهيمنة السياسة الأمريكية وهي في مجملها لا تقوى على اتخاذ مواقف مغايرة لما ترغبه الولايات المتحدة ولا تملك زمام أمورها، ويستثنى من هذه القاعدة صنفان من الأنظمة أو الحكومات الأول: تلك الدول التي تصنف في خانة العداء أو عدم وجود علاقات مع الولايات المتحدة مثل إيران، سوريا وجزئياً لبنان، والثاني: الدول الصديقة للولايات المتحدة والتي تسمح لها أو تعطىها السياسة الأمريكية هامشاً محدوداً للمناورة؛ لأسباب مختلفة، وتبدو فيه وكأنها تعارض أو تقف على النقيض من السياسة الأمريكية، وهذا الهامش محدود جدا مثل بعض دول الخليج، وبدرجة أكبر مصر.

ج. ارتباط عدد من الدول العربية والإسلامية باتفاقيات سلام وأخرى اقتصادية وعسكرية (تركيا، مصر، المغرب وغيرها)، ووجود مصالح مختلفة لعدد من هذه الدول مع إسرائيل، بل لعل وجود بعض الأنظمة مرتبط بوجود إسرائيل.

د. حالة الضعف والتشردم بل والاهتراء العام أو الشامل التي يعاني منها النظام العربي والإسلامي الرسمي، فالحكومات العربية والإسلامية تجلس على كرسي حكم مهزوز وغير مستقر، كما أنه وفي مجمله لا يحظى برضا شعبه وثقته ولولا دعم الأجنبي لما صمدت هذه الأنظمة و لتهاوت الواحد تلو الآخر. هذه الأنظمة التي قتلت كل مشاريع الوحدة والتنمية، كما قتلت آمال وطموحات الشعوب قبل أن تولد، ولم تنم لشعوبها سوى الفقر والجهل والقمع والإرهاب والهزائم.

هـ. في ظل هذا الواقع العربي والإسلامي المهزوم والمهترئ بدأ برنامج ومشروع (حماس) المقاوم مشروعاً غريباً ومرفوضاً من معظم الدول والأنظمة العربية والإسلامية؛ ذلك لأنه يكشف سوءاتهم، ويظهر عجزهم وتخاذلهم، ويتعارض مع مصالح بعضهم، ويذكر البعض الآخر بجرمته تجاه فلسطين وأهلها يوم تأمروا عليها وتخلوا عن أبنائها؛

<sup>221</sup> الحروب. حماس الفكر والممارسة السياسية، مصدر سبق ذكره. ص 165-167.

ولذا ظهر برنامج (حماس) برنامجا غريبا ومزعجا وغير ملائم لواقع العرب والمسلمين ومما زاد هذا البرنامج بعدا عن الواقع المهزوم هو عنوانه الإسلامي الذي يخيف الكثيرين؛ لأنه يحمل في طياته محاولة نهضة إسلامية لا يرغبونها، إذ كيف يرغب ظالم بالعدل، ومستبد بالحرية.

و. أخيرا في عالم ما بعد 11 أيلول 2001م أي ما بعد أحداث نيويورك وواشنطن التي أقم فيها (الإرهاب الإسلامي) وتحديدًا تنظيم القاعدة - وإن لم يثبت ذلك حتى الآن- بالوقوف وراء هذه العمليات، أصبح كل عنوان إسلامي مستهدفا بدءا بالدول الإسلامية، ومرورا بالحركات الإسلامية، ووصولًا إلى الكتاب والمنهاج التربوي الإسلامي، وقد استثمرت إسرائيل ما بات يعرف (بالحرب الدولية على الإرهاب) التي تقودها الولايات المتحدة، والتي عبر عنها الرئيس بوش ذات مرة بأنها حرب صليبية، لتقود حربا شاملة على حركة (حماس)، وبالطبع على الشعب الفلسطيني، محاولة وضع (حماس) والمقاومة الفلسطينية في خانة الإرهاب، وضغطت وقد ساندتها الولايات المتحدة مع دول العالم المختلفة بما فيها دول أوروبا، لوضع (حماس) على لائحة الإرهاب، ومنعت عدداً كبيراً من الدول من تقديم أو السماح بمرور أية مساعدات سواء لـ (حماس) أو للمؤسسات الخيرية التي تشك بأنها تشرف عليها، (وقد نجح هذا المنع إلى حد كبير).

لكن ورغم ما ذكر إلا أننا نستطيع تسجيل بعض الاستثناءات، التي تمكنت (حماس) فيها، ولعوامل وأسباب محلية وإقليمية ودولية لسنا بصدددها، من إحراز تقدم في العلاقة مع بعض الأنظمة والحكومات ساعد في إحرازها، إما مواقف مبدئية تجاه فلسطين وشعبها وقدسيتها أو مصالح سياسية محددة ومرحلية، أو الرغبة في الحفاظ على مكانة خاصة في العالم العربي والإسلامي، وفي الحالة الثانية والثالثة تكون هذه العلاقة غالباً ضمن الهامش المسموح به أمريكياً.

يبدو واضحاً أن (حماس) غير ملومة على هذا الشكل من العلاقة مع هذا النظام العربي والإسلامي الرسمي، وتبدو أسباب هذا الضعف واضحة لدرجة يسهل معها تحميل هذا النظام المهترئ المسؤولية، فحماس أبدت مرونة لدرجة كبيرة في التعاطي مع الأنظمة، وحاولت دائماً تقدير الظروف التي يعيشها النظام، ذلك لأنها لا ترغب في الاستدراج إلى، أو المشاركة في معارك تعتبرها جانبية وغير ضرورية، قد تصرفها عن المعركة الأم في فلسطين وضد

المحتل، وقد بدا ذلك واضحا عندما قرر النظام الأردني إلغاء وجود (حماس) الرسمي في الأردن عام 1999م وكذلك الأمر مع سوريا عندما مورست عليها الضغوط لمنع قادة (حماس) من استخدام أراضيها للعمل السياسي فاكتفى قادة (حماس) بالوجود في سوريا دون ممارسة عمل سياسي، وخاصة إعلامي انطلاقا منه.

### ثانيا: الساحة الدولية:

لا تبدو المعطيات الموثوقة أو الرسمية المتوفرة كافية لتشخيص أداء (حماس) على صعيد العلاقات الدولية، ذلك أن هذه العلاقات في مجملها علاقات إما سرية، أو أهما لا تتجاوز اللقاءات التي تخدم أهدافا لحظية، وبمستويات سياسية غير رفيعة، كذلك التي بدأت بها علاقات (حماس) الأوروبية بعد إبعاد مئات قياداتها وكوادرها إلى الجنوب اللبناني في كانون أول عام 1992م<sup>222</sup>، ونحن بطبيعة الحال نتحدث الآن عن الدول غير العربية والإسلامية. لكن بالإمكان ومن خلال المراقبة والقراءة والتحليل، الوصول إلى تشخيص قريب جدا من الواقع الذي يشير إلى ضعف كبير في علاقات (حماس) الدولية، أو لعله انعدام لها في كثير من الأحيان، وعدم اهتمام بالجهد الدولي حتى عبر المؤسسات الحقوقية والقانونية<sup>223</sup>، وبممكننا إعادة ذلك إلى أسباب ذاتية وأخرى موضوعية..

أما الأسباب الذاتية، فتعود بالدرجة الأولى إلى الجمود أو قلة المرونة السياسية التي أشرنا إليها سابقا، حيث بدت (حماس) للعديد من دول العالم كحركة لا تقيم وزنا للعمل السياسي وبالذات للدور الدولي، فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية، فهي لا تقر بالشرعية الدولية وترى في قراراتها ظلما بينا للشعب الفلسطيني. وقد عارضت كل المبادرات والاتفاقات المقدمة أو المرعية دوليا، وهذا الموقف الدولي ليس غريبا، فقد كان كذلك من م.ت.ف قبل أن تغير في مواقفها.

كما ساعد الخطاب السياسي الحماسي غير الناضج، الذي افتقد في معظم مراحلها إلى اللغة الدبلوماسية والسياسية، في تعزيز هذه النظرة لـ (حماس)، فهي بدت للعالم من خلال خطابها حركة راديكالية متطرفة، لا تؤمن بالعمل السياسي، فخطاب (حماس) الإعلامي الرسمي، وخاصة خطاب قياداتها، لم يخلُ حتى أيامنا هذه، ورغم ما

<sup>222</sup> النواقي، مصدر سبق ذكره. ص61.

<sup>223</sup> يذكر أن السلطة لجأت إلى محكمة العدل الدولية في لاهاي لمنع بناء جدار الفصل العنصري الذي أقامته إسرائيل في الضفة الغربية وحصلت على قرار إيجابي وذلك بتاريخ 2003/12/8م.

طراً عليه من تطور، من المصطلحات والمفاهيم التي تعزز هذه الصورة، فوصف المحتل الصهيوني بيهود أو اليهود، وإظهار المعركة وكأنها مع اليهودية كدين، ووصف الغرب بالصليبي، فأديبات (حماس) ترى أنها تبادل القوى الفلسطينية الاحترام ما دامت لا تعطي ولاءها للشرق الشيوعي أو الغرب الصليبي<sup>224</sup>، وتفسير مواقفهم على أنها جزء من حرب دينية، أضر بصورة (حماس) الدولية، ولعله أضر بصورة القضية الفلسطينية... وإذا كانت (حماس) قد نجحت نسبياً في تطوير خطابها الرسمي، فإن هذا النوع من الخطاب ما زال يسيطر على شريحة كبيرة من كوادرها وأبنائها سيما أئمة المساجد وفي كثير من الأحيان طلبة الجامعات.

من ناحية ثانية فإن (حماس) لم تقم بإعداد كوادر مختصة، قادرة على فهم الواقع الدولي وتكويناته، لتحديد آليات التعامل، ولغة الخطاب الملائمة له، ووقعت في نفس الخطأ الذي وقعت فيه م.ت.ف حيث تجاهلت الشارع (الجمهور) الدولي سيما جمهور الدول المؤثرة، فهي لم تُعد الكادر الملائم لذلك، ولم تقدم أو تعد آليات ووسائل لذلك، وفي نفس الإطار لم تستثمر (حماس) بالشكل المطلوب، مع أنها أحرزت بعض التقدم في ذلك، وجود الجاليات العربية والإسلامية في كثير من دول العالم، وما لهم من حضور من خلال المؤسسات الرسمية والشعبية. كما أن (حماس) لم تستثمر حالة العداوة أو ضعف العلاقة بين بعض دول العالم والولايات المتحدة وإسرائيل، مثل كوبا وكوريا والصين وفنزويلا، ويبدو هذا عائداً لأسباب عدة منها السياسي وهو ما ذكر سابقاً، ومنها الديني أو الفكري كون معظم هذه الدول اشتراكية وشيوعية، وهذا لا يصلح سياسياً كمبرر.

في هذا السياق نستذكر أن جزءاً من هذا الضعف ناجم عن عدم وجود (حماس) داخل م.ت.ف التي تحظى باعتراف دولي واسع، وتنتشر ممثلاتها في أرجاء المعمورة المختلفة، ليظهر ذلك من جديد، عدم صوابية موقف (حماس) تجاه م.ت.ف والمشاركة فيها.

وللأسباب الموضوعية، التي سنتعرف إليها الآن الدور الأكبر في ضعف أداء حماس الدولي، فالنفوذ (المهيمنة) الأمريكية التي تدعم وتحمي النفوذ الصهيوني الدولي يقف حائلاً بل سداً منيعاً أمام عدد كبير من الدول، ويمنعها من إقامة علاقات أو فتح قنوات اتصال ولو بمستوى منخفض مع (حماس)، وليس أدل على ذلك ما يمكن وصفه بإجبار

<sup>224</sup> أبو عمرو. الحركة الإسلامية في الضفة والقطاع، مصدر سبق ذكره. ص 104؛ أبو طه، مصدر سبق ذكره. ص 394.



الاتحاد الأوروبي في شهر 2003/9م على إدراج (حماس) على القائمة الأوروبية للمنظمات الإرهابية<sup>225</sup> ومنعها

من تسهيل أو السماح بتمرير أو إيصال الأموال إلى المؤسسات الخيرية الإسلامية في فلسطين.

هذا بالإضافة لموقف تاريخي من الدول المهيمنة تجاه قوى التحرر والمقاومة، التي ترى فيها خطراً يهدد

مصالحها ونفوذها في بلادها ومحيطها، إذ كيف يسمح لـ (حماس) بإقامة علاقات تساهم في تعزيز شرعيتها، وهي

تحارب قلب النفوذ والمهيمنة الغربية والأمريكية في الشرق الأوسط، وتهدد بمشروعها التحرري مراكز نفوذهم في

العالم العربي والإسلامي وتعري جيشهم الكبير من العملاء الذي تعبوا على إعداده سنوات طوال.

ومما زاد الأمور صعوبة وشكل عائقاً أمام (حماس) وحال بينها وبين وساحات دولية عدة هو وجود

م.ت.ف كمثل وعنوان للشعب الفلسطيني يحظى بشرعية فلسطينية وعربية ودولية، فالحاجة للحديث مع (حماس)

أو محاورتها ليست جدية، خاصة في فترات الهدوء، التي عادةً يتحول فيها دور (حماس) على كافة الجبهات السياسية

إلى دور هامشي.

رافق ذلك حملة من التشويه والتشكيك، وأحياناً التحريض من قبل السلطة الفلسطينية على (حماس) عبر

نفي الشرعية الفلسطينية عنها ومحاولة إظهارها كحركة خارجة عن الصف الوطني، وعبر طلبات رسمية في بعض

الأحيان تدعو إلى عدم التعامل مع (حماس)، فقد وصفها ياسر عرفات (حماس) أمام المجلس الوطني في عمان بتاريخ

1992/10/7م بقبائل الزولو المعارضة لنلسون مانديلا، وقال حينها "مانديلا لم يطلق الرصاص ولكنني لن أكون

مثله بل سأطلق الرصاص وليعلم الجميع هذه الحقيقة"<sup>226</sup>، وعبر المشاركة في مؤتمرات دولية وصفت فيها (حماس)

بالإرهاب، ووضعت خطط لمحاربتها، مثل مؤتمر شرم الشيخ "قمة صانعي السلام" الذي عقده بتاريخ

1996/3/31م وحضره الرئيس الأمريكي والمصري ورئيس الوزراء الإسرائيلي وغيرهم من القادة العرب

والأجانب<sup>227</sup>، فالسلطة تصرفت بشكل غير مسؤول، بل ومحل شك تجاه حركة فلسطينية تحظى بتأييد كبير، مما أثار

سلباً على السلطة في معظم الأحيان، فبدلاً من إصرار السلطة على معالجة أو التعامل مع (حماس) على أنه موضوع

<sup>225</sup> موقع الجزيرة [www.aljazeera.net](http://www.aljazeera.net).

<sup>226</sup> الحروب، خالد. الإسلاميون في فلسطين... قراءات ومواقف وقضايا أخرى. دار البشير للنشر والتوزيع: عمان، 1994م، ص71.

<sup>227</sup> موقع دولة قطر - الديوان الملكي - [www.diwan.gov.qa](http://www.diwan.gov.qa).

فلسطيني داخلي، وافقت بل ودعت وشاركت في التعامل معه كجزء من حالة الإرهاب العالمي... ونسقت واشتركت مع أجهزة مخابرات إقليمية ودولية وبالطبع صهيونية من أجل قمع والقضاء على (حماس).

واستغل الجميع، (السلطة الفلسطينية وإسرائيل وقوى الهيمنة العالمية وما يخضع لها من أنظمة)، العلاقة الفكرية والدينية لـ (حماس)، ببعض قوى التطرف الإسلامي في العالم سيما القاعدة، عاملين بكل قوة على وضع (حماس) في نفس الخانة مع هذه القوى، رغم علم الجميع بأنها لا تتجاوز كونها حركة تحرر وطني فلسطيني، وترفض بكل قوة أن تصنف في غير هذه الخانة. آملين من ذلك إضفاء شرعية على إجراءاتهم تجاهها وحرهم عليها، ولكن وفي معظم الأحيان وخاصة على الصعيد الجماهيري كانت النتائج عكسية، وبدت (حماس) في أعين العرب والمسلمين المدافع عن الحقوق والكرامة، ليس كرامة الفلسطينيين فحسب، بل كرامة الأمة أجمع، وظهرت وكأنها الجدار الأخير في وجه الهيمنة والاستبداد، والحائل دون الاستسلام والخضوع الكامل، فقد وصفت من قبل الكثيرين بأنها رمز الكرامة للأمة وعنوان عزتها وكبريائها، ونكتفي بذكر ما قاله إدوارد سعيد حيث قال "أدرك أن (حماس) هي القوة المنظمة الوحيدة التي تجسد في اللحظة إرادة المقاومة" وقال أيضاً "أبناء (حماس) والجهاد يعبرون عن تمرد جسور على ما يتعرض له الفلسطينيون جميعاً كشعب من مهانة وإنكار للحقوق"<sup>228</sup>. رغم هذا كله فقد تمكنت (حماس)، وخاصة في انتفاضة الأقصى ومن خلال أدائها المقاوم المتميز وحضورها الجماهيري غير المسبوق، وتأييدها الفريد من الشارع العربي والإسلامي، وبداية ظهور بعض التأييد في الشارع الدولي، سيما الأوروبي منه، والتحسين الطفيف على أدائها السياسي وخطابها الإعلامي وخاصة الرسمي منه ومشاركتها في الانتخابات والحكومة الفلسطينية.

تمكنت (حماس) من لعب دور أفضل على الساحة الدولية، ودفع إن لم يكن إجبار عدد من الدول ومن بينها الولايات المتحدة وبشكل أكبر الدول الأوروبية، إلى فتح قنوات اتصال وحوار معها، في محاولة للتوصل إلى حلول أو تصورات للحول، لتهدئة الوضع الملتهب في فلسطين، والذي تشكل (حماس) عنصر الالهاب المركزي فيه، وبدا في هذه القنوات، بالإضافة إلى مطالبة دول عربية سيما مصر وسوريا التدخل لدى (حماس) في بعض الأحيان، إقرار

<sup>228</sup> سعيد. أو سولو 2، مصدر سبق ذكره. ص 41 و 163.

دولي بفاعلية دورها، وإضفاء مهم للشرعية على الوجود، والدور المحلي والدولي لها، وقد كان اللقاء الأول بين (حماس) والولايات المتحدة الأمريكية عبر المستشار السياسي لسفيرها في عمان في كانون ثاني 1992م وتكرر في شباط 1993م. ويعتقد أن إبعاد إسرائيل لحوالي 413 كادراً من كوادر (حماس) إلى الجنوب اللبناني في 1992/12/17م أحدث تحولاً مفصلياً في علاقات (حماس) الدولية، ودشن مرحلة جديدة من التعاطي العالمي مع الحركة<sup>229</sup>.

---

<sup>229</sup> أبو عيد، مصدر سبق ذكره. ص 294. والنواقي، مصدر سبق ذكره. ص 202.

## عوامل الضعف في الأداء السياسي لحركة حماس

نستطيع أن نخلص إلى نتيجة مفادها أن الأداء السياسي، أو الإدارة السياسية لدى حماس، يعاني من ضعف بين وواضح في جوانب عدة، وما يجعل هذا الضعف محل اهتمام أولاً، ومصدر خطر أو قلق وطني ثانياً. ولا بد من التحذير منه، هو الدور الحماسي المتنامي وقوته المتصاعدة، وسيره باتجاه أن يكون مركزياً، إن لم يكن المركزي. وبالذات بعد المشاركة في المجلس التشريعي والحكومة الفلسطينية.

كما تزداد أهمية دراسة هذا الأداء والوقوف على مواطن ضعفه أو قوته عندما يتعلق الأمر بقضية حساسة ومعقدة مثل القضية الفلسطينية، فالبعض يرى أنه ورغم أن (حماس) حركة مقاومة فعالة إلا أنها لا تمثل بديلاً حقيقياً، وهذا أصر عليه إدوارد سعيد حين كتب قائلاً "إذا ما كانت (حماس) تمثل بديلاً حقيقياً على صعيد الحركة الوطنية الفلسطينية أقول فوراً وبلا تردد "لا" لأنني لا أعرف لـ (حماس) رؤية فلسطينية أو قراءة للتاريخ الفلسطيني خارج العموميات"<sup>230</sup>.

بل إن أحد أهم جوانب ضعفه كونه يتعامل مع مثل هذه القضية، فالحكم والتقييم كان مستندا، أو لا بد أن يبقى مستندا إلى ما تحتاجه فلسطين وطنا وشعبا وقضية، من مستوى عال من الحكمة والبراعة في الممارسة والأداء السياسي. وبعد التعرض إلى جوانب هذا الدور أو الأداء الحماسي، يمكننا أن نجمل عوامل ضعفه في الآتي:

### أولاً: عوامل ذاتية (حماسية):

أ. الإرث التاريخي — المرتبط بجملة من المبادئ والآليات التي ورثتها (حماس) عن الجماعة الأم (الإخوان المسلمين)، والتي تم مناقشتها في الفصل الأول من هذه الدراسة، لذا لن نعود إلى مناقشتها مرة أخرى خاصة أن (حماس) لم تحدث عليها تغييراً جوهرياً، وللتذكير فإن هذه القضايا هي:

\* الضبابية السياسية.

\* النزعة والفردية والارتجال.

\* ضعف العمل المؤسسي.

<sup>230</sup> سعيد. او سلو2، مصدر سبق ذكره. ص213.

\* عدم ضمان حرية التعبير.

\* ضعف وطميش دور المرأة<sup>231</sup>.

ب. التقصير في بناء كوادر مختصة أو متخصصة، تتلاءم مع متطلبات ومهام حركة تحرر وطني فلسطيني، فالنقص والعجز في الكوادر المتخصصة يكاد يشمل كافة نواحي ومجالات العمل، بدءاً من القيادة السياسية، التي تفتقد إلى وجود المختصين في العلوم السياسية أو العلاقات الدولية، ومروراً بالمجالات الإعلامية والنقابية والإدارية والبحثية... وانتهاءً بمجالات العمل النسوي.

ت. غياب منهجية التخطيط، وما قاد إليها من غياب الخطط الإستراتيجية والمرحلية الواضحة كما أوضحنا في مقام سابق.

ث. قصر عمر الحركة نسبياً مما يعني قصر عمر التجربة السياسية، وقلة الخبرة والخبراء، مع التذكير أن الإخوان لم يورثوا (حماس) إلا القليل في هذا المجال بالإضافة إلى أن جزءاً من هذا الإرث كان له تأثير سلبي.

فقد كان واضحاً أثر حداثة عهد (حماس) بالسياسة، إلا أن (حماس) تتطور بشكل دائم في مجالات عدة من بينها العمل السياسي، فهي كالشجرة التي تنمو باستمرار، وخلال هذا النمو، تتساقط أوراق وتبتتر جذوع جفت وأصبحت غير صالحة، فقد تخلت (حماس) أو تجاوزت خلال مسيرتها عن عدة أمور، أصبحت غير صالحة ولا تلائم المرحلة.

ج. التربية (المشيخية) المتسمة بالبساطة والقدرية في التعاطي مع كثير من الأمور، وهذه الصفة تنطبق على العديد من القيادات والكوادر، حتى وإن لم يكونوا من أصحاب التخصص الشرعي، فقد تجد الطبيب أو المهندس، ولكنه صاحب شخصية وتربية مشيخية يطيب له التفسيرات البسيطة والقدرية للأحداث، ويتعد قدر المستطاع عن العلمية والمنهجية في التعاطي مع الأمور.

ح. فقر قادة (حماس) بالمعرفة التاريخية والوعي التاريخي (وهذه ظاهرة فلسطينية عامة) وخاصة تجرّبي م.ت.ف. وحرارة فتح.

<sup>231</sup> البعض اعتمد على هذا الموقف للحكم على حماس بالما حركة غير ديمقراطية... سالم، مصدر سبق ذكره. ص 155.

ثانيا: عوامل موضوعية.

لن أطيل في التوضيح والتفسير في هذه العوامل؛ تحاشيا للتكرار، وسأوجز ما أعتقد أنها عوامل موضوعية

مؤثرة فيما يلي:

أ. المشروع الذي تحمله (حماس) يقف في وجه تيار عالمي يدفع باتجاه حل سلمي مع إسرائيل على حساب الحقوق الوطنية التاريخية.

ب. افتقار (حماس) وافتقادها لساحة عمل مستقرة وآمنة، أو قاعدة صلبة يمكنها الوقوف عليها، مما أفقدها عنصر الاستقرار.

ج. عدم وجود حليف عربي أو دولي إستراتيجي قوي لـ (حماس)، يكون له تأثير في السياسة الدولية أو الإقليمية على الأقل.

د. فقدان المساندة العربية والإسلامية والدولية الرسمية (الحكومية) في ظل الهيمنة الأمريكية.

هـ . حالة الاهتراء والتشردم العربية والإسلامية شعبيا ورسميا، وانعدام الوزن الذي يعاني منه العرب والمسلمون دوليا.

و. ضعف ومحدودية المساندة من الحركات والمنظمات الإسلامية والقومية.

ز. القمع والملاحقة لـ (حماس) الدائمة من جهات مختلفة، السلطة الفلسطينية أو إسرائيل وبعض الأطراف الإقليمية والدولية.

ح. ضعف بل غياب المساندة من قبل الفصائل الوطنية الفلسطينية الأخرى سيما المعارضة منها.

## الخاتمة

إن العوامل التي دفعتنا لكتابة هذا البحث حول حركة المقاومة الإسلامية (حماس) وأدائها السياسي والتي أشرنا لها في البداية ازدادت عند الانتهاء منه كمًّا ونوعًا، فمسيرة (حماس) مستمرة بالتقدم بزخم وها هي تتعرض لتحولات دراماتيكية متتالية على الصعد والمستويات المختلفة، وها هي تنتقل من موقع سياسي ووطني لآخر بشكل سريع وكبير مما أدخلها وعبر مستوياتها العضوية والمؤسسية المختلفة في معمعان التحولات السياسية وأحار عددا كبيرا من كوادرها ومؤيديها وكذلك الكتاب والمراقبين، فقد أبدى الكثيرون ممن يعلنون حرصهم على (حماس) وعلى القضية الوطنية الفلسطينية خوفهم على مستقبل الحركة سيما المقاوم منه، وعبروا عن خشيتهم من الانحراف أو الضعف الذي قد تؤول إليه مسيرتها.

هذه التحولات أو التطورات على البرامج والمسارات و المواقع الوطنية والسياسية والتنظيمية التي مرت وما زالت تمر بها (حماس) تحتم على المهتمين بالشأن الفلسطيني والقضية الوطنية من سياسيين وكتاب وباحثين أن يضعوا هذه الحركة في صلب اهتماماتهم، ويقوها تحت المجهر، وأن يجعلوا منها أحد أهم مواد بحثهم ودراساتهم ليس حبا أو كرها، تأييدا أو معارضة لها؛ وإنما لأهمية الدور الذي تلعبه في الشأن الفلسطيني، والتي يبدو أنها مرشحة لمضاعفته مستقبلا. على أنه من الضروري أن يراعى عند البحث الجدية والرغبة الصادقة في الوصول إلى حقيقة المواقف والعمل على معالجتها ودراستها موضوعيا وعلميا بشكل مهني ومحيد والابتعاد عن التنظير، والتنظير المضاد لسياساتها وبرامجها وأدائها، وهو ما وقعت فيه الكثير من الدراسات التي تناولت (حماس) حتى الآن، وهو أيضا ما ندعي أننا حرصنا على الابتعاد عنه، وعدم الوقوع فيه، بل اجتهدنا في معالجة الأمور موضوعيا واحتكمتنا إلى المنطق العلمي أولا، والوطني ثانيا، عند دراستنا لكل مرحلة أو فترة أو سلوك، ففندنا وعارضنا ما اعتقدنا أنه منحاز أو غير موضوعي، أو ما ابتعد عن العلمية والمنهجية في النقاش والمعالجة، ودعمنا وأكدنا على ما هو مهني أو موضوعي أو ما اعتقدنا أنه كذلك، رغم أنني أقر بأن الظرف الذاتي والموضوعي الذي عشته خلال إعداد هذا البحث لم يكن مثاليا بل لعله أثر سلبا على بعض القضايا، فقد حالت ظروف الاحتلال وتعرضي للاعتقال أكثر من مرة دون أن

أجري عددا مهما من المقابلات مع قيادات ورموز سياسية هامة، كما أن الانقطاع عن البحث والعودة إليه أكثر من مرة بسبب الاعتقال كان عاملا قويا سبب في تشتت الأفكار و تبعثر المواد والمصادر أكثر من مرة، ومصادرة الحاسوب من قبل الاحتلال فرض علي إعادة طباعته ومراجعتها والحذف والإضافة أكثر من مرة، فإذا ما ظهرت آثار ذلك في البحث فأستميح القارئ عذرا.

وأخيرا فان المسيرة السياسية والوطنية كما اتضح لنا ديناميكية ومتنامية بشكل كبير، ومتسارع، وهي تقفز من مرحلة لأخرى قفزا محيرا و محيفا في كثير من الأحيان، وقد أدى هذا الأمر إلى أن انتهينا من هذا البحث وحركة حماس تمر في مرحلة تحول نوعي وتاريخي بكل ما للكلمة من معنى، فميادين العمل في المجلس التشريعي والحكومة الفلسطينية ومنظمة التحرير الفلسطينية... إلى غير ذلك من مؤسسات فلسطينية، ستقود حتما إلى تغيرات هائلة على الحركة وهو ما لم نستطع معالجته في هذا البحث، لكنه قطعاً سيكون موضوعاً لأبحاث ودراسات أخرى إذ أن (حماس) تمر الآن في مرحلة صياغة لمواقف ورؤى وطنية هامة كالحل المؤقت، والهدنة (السلام الدائم)، إلى غير ذلك من الموضوعات التي لا يكفي لمعالجتها شعار أو موقف عام، بل بحاجة إلى تفاصيل كثيرة. و إنني لأرجو أن يكون بحثي هذا قد أضاف للمكتبة العربية إضافة نوعية تفيد أطرافاً عدة من سياسيين وحزبيين وباحثين وأكاديميين.



## المصادر والمراجع

### أولاً: المصادر الأولية:

- القرآن الكريم.
- استطلاع رأي أجراه الباحث في سجن النقب بتاريخ 2004/7/4م.
- استطلاع رأي أجرته الهيئة العامة للاستطلاعات بتاريخ 2000\8\3م، [www.sis.gov.ps](http://www.sis.gov.ps).
- استطلاعات رأي للمركز الفلسطيني للبحوث السياسية والمسحية ما بين عامي 2000 و2003م.
- جريدة القدس العدد 1185 بتاريخ 2002/7/23 م.
- مقابلات مع نشطاء وكوادر لحماس تحفظ على ذكر أسمائهم لأسباب شخصية وأمنية.
- كراس غير مطبوع في سجن النقب كتبه أحد كوادر (حماس).
- ميثاق حركة المقاومة الإسلامية (حماس) 18 آب [أغسطس] 1988 ميلادية.
- الرمحي، محمود، مقابلة شخصية مع الباحث. رام الله.
- بيانات حركة المقاومة الإسلامية (حماس).

### ثانياً: المصادر الثانوية:

- أبو طه، أنور عبد الهادي (وآخرون). الأحزاب والحركات والجماعات الإسلامية. الجزء الأول. المركز العربي للدراسات الإستراتيجية: دمشق، 2000م.
- أبو عمر، زياد. أصول الحركات السياسية في قطاع غزة 1948 - 1967م. دار الأسواق: عكا، 1987م.
- أبو عيد، عبد الله (وآخرون). دراسة في الفكر السياسي لحركة المقاومة الإسلامية (حماس) 1987 - 1996م. تحرير: جواد الحمد، إياد البرغوثي. مركز دراسات الشرق الأوسط: عمان، 1997م.

- أحمد، رائف. سراديب الشيطان: صفحات من تاريخ الإخوان المسلمين. الزهراء للإعلام العربي: القاهرة، 1990م.
- البرغوثي، إياد. الأسلمة السياسية في الأراضي الفلسطينية المحتلة. مركز الزهراء للدراسات والأبحاث: القدس، 1990م.
- البرغوثي، إياد. الإسلام السياسي في فلسطين. ما وراء السياسة. مركز القدس للإعلام والاتصال: القدس. 2000م.
- البناء، حسن. مذكرات الدعوة والداعية. دار التوزيع للنشر، القاهرة.
- حبيب، طارق. ملفات ثورة يوليو: شهادات 122 من صناعاتها ومعاصريها. مركز الأهرام للترجمة والنشر: القاهرة، 1997م.
- حمودة، حسين أحمد. أسرار حركة الضباط الأحرار والإخوان المسلمين. الزهراء للإعلام العربي: القاهرة، 1985م.
- محي الدين، خالد. والآن أتكلم. مركز الأهرام للترجمة والنشر: القاهرة، 1992م.
- الحروب، خالد. حماس الفكر والممارسة السياسية. مؤسسة الدراسات الفلسطينية: بيروت، 1996م.
- الحروب، خالد. الإسلاميون في فلسطين ... قراءات ومواقف وقضايا أخرى. دار البشير للنشر والتوزيع: عمان، 1994م.
- خلف الله، أحمد ربيع عبد الحميد. الفكر التربوي وتطبيقاته لدى جماعة الإخوان المسلمين. مكتبة وهبة: القاهرة، 1984.
- رفعت السيد. جماعة الإخوان ... استعادة الإرهاب. مجلة النهج. العدد 54، ربيع 1999م، مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي: دمشق، 1999م.
- سعيد، إدوارد. "أوسلو 2" سلام بلا أرض. دار المستقبل العربي: القاهرة، 1995م.
- سعيد، إدوارد. "غزة - أريحا" سلام أمريكي. دار المستقبل العربي: القاهرة، 1995م.

- سالم، وليد. المسألة الوطنية الديمقراطية في فلسطين. المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية "مواطن": رام الله، 2000م.
- شادي، صلاح. صفحات من التاريخ "حصاد العمر". الزهراء للإعلام العربي: القاهرة، 1987م.
- صايغ، أنيس. الكفاح المسلح والبحث عن الذات، الحركة الوطنية الفلسطينية 1949 - 1993م. مؤسسة الدراسات الفلسطينية: بيروت، 2002م.
- عبد الجواد، صالح. "دراسة في قيادة فتح". مجلة قضايا. العدد الرابع، آب (أغسطس) 1990.
- عبد الجواد، صالح. "مدخل لدراسة المصادر الأولية للانتفاضة" مجلة آفاق فلسطينية، العدد الخامس، صيف 1990.
- العسال، فتحي. الإخوان المسلمون بين عهدين. القاهرة، 1992م.
- عاصم دسوقي "الإخوان وثورة يوليو" مجلة الهلال ص 28 - 44. العدد 3، دار الهلال: القاهرة، 2002م.
- عدوان، عاطف. الشهيد الدكتور إبراهيم مقادمة. القائد والداعية المجاهد. مركز أبحاث المستقبل: غزة، 2004م.
- عبد الكريم، قيس (وآخرون). القبضة المثقوبة، نظرة على المفاوضات والحركة الجماهيرية من مجيء ننتياهو إلى بروتوكول الخليل. شركة دار التقدم العربي للطباعة والنشر: بيروت، 1999م.
- عابدين، محمد عبد القادر وجميل عبد الرحيم حمامي. من أعيان الشريعة في فلسطين (في النصف الثاني من القرن العشرين). الجمعية الأكاديمية للشؤون الدولية: القدس، 1999م. الجزء الأول.
- عيسى، محمود. المقاومة بين النظرية والتطبيق. سلسلة ثقافة المقاومة. إصدار حركة المقاومة الإسلامية "حماس".
- العبيدي، عوني جدوع. جماعة الإخوان المسلمين في الأردن وفلسطين 1945-1970م. صفحات تاريخية. عمان، 1991م.

- غرايبة، إبراهيم. **جماعة الإخوان المسلمين في الأردن**. دار سندباد للنشر: عمان، 1997م.
- فوزي، محمود. **الضباط الأحرار يتحدثون**. مكتبة مدبولي: القاهرة، 1990م.
- قطب، سيد. **معالم في الطريق**، دار الثقافة: رام الله.
- الفالوجي، عماد عبد الحميد. **درب الأشواك. حماس ... الانتفاضة ... السلطة**. دار الشروق: عمان، 2002م.
- كوهين، أمنون. **الأحزاب السياسية في الضفة الغربية في ظل النظام الأردني 1949 – 1967م**. مطبعة القادسية: القدس، 1988م. تعريب خالد حسن.
- ميتشل، ريتشارد. **الإخوان المسلمون**. مكتبة مدبولي: القاهرة، 1982م.
- مجلة شؤون الشرق الأوسط. العدد 64. مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق: بيروت، آب 1997م.
- **منهاج التربية الوطنية**، صادر عن الإدارة العامة للتدريب والتأهيل والإشراف التربوي في وزارة التربية والتعليم العالي، السلطة الوطنية الفلسطينية.
- النفيسي، عبد الله (وآخرون). **الحركة الإسلامية: رؤية من الداخل**. أوراق في النقد الذاتي. مكتبة مدبولي: القاهرة.
- النواقي، مهيب. **حماس من الداخل**. دار الشروق للنشر والتوزيع: غزة، 2002م.
- ممدوح نوفل، **ليلة انتخاب الرئيس**. دار الشروق للنشر والتوزيع: رام الله، 2005م.
- هويدي، فهمي. **القرآن والسلطان**. دار الشروق: القاهرة، ط2، 1999م.
- يوسف، السيد. **الإخوان المسلمون: هل هي صحوة إسلامية**. مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات: المعادي، 1994م.
- يوسف، أحمد. **حركة المقاومة الإسلامية "حماس" حدث عابر أم بديل دائم**. المركز العالمي للبحوث والدراسات.

## الانترنت

- موقع لجنة الانتخابات الفلسطينية المركزية [www.elections.ps](http://www.elections.ps)
- موقع حركة الجهاد على الانترنت "نداء القدس" [www.qudsway.com](http://www.qudsway.com)
- موقع كتائب القسام [www.alqassam.ps](http://www.alqassam.ps)
- موقع قناة العربية [www.alarabiya.net](http://www.alarabiya.net)
- موقع إسلام اون لاين [www.islamonline.net](http://www.islamonline.net)
- موقع الشيخ الشهيد أحمد ياسين [www.ahmedyaseen.com](http://www.ahmedyaseen.com)
- موقع انتفاضة فلسطين [www.palintefada.com](http://www.palintefada.com)
- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) [www.wikipedia.org](http://www.wikipedia.org)
- مركز المعلومات الوطني الفلسطيني [www.pnic.gov.ps](http://www.pnic.gov.ps)
- موقع الجزيرة [www.aljazeera.net](http://www.aljazeera.net)
- موقع دولة قطر –الديوان الملكي [www.diwan.gov.qa](http://www.diwan.gov.qa)